

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الرقم التسلسلي:/2023

إقليم الحضنة ووجهته في العصر الوسيط
-دراسة منوغرافية للفترة العبيدية والحمادية (297هـ -
457هـ/909م-1152م) أنموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص: الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

- عامر خير

إعداد الطالبتين:

- حيزية حروز

- فاطيمة دراوي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

رئيسا

أستاذ محاضر "أ" جامعة المسيلة

-د. فتحي عباس

مشرفا ومقررا

أستاذ مساعد "أ" جامعة المسيلة

-أ.د. عامر خير

ممتحنا

أستاذ التعليم العالي جامعة المسيلة

-أ.د. عبد الغاني حروز

السنة الجامعية: 2024/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1438




شكر وعرّفان

بداية نشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه وإعانتة لنا لنتم هذه
الدراسة.

كما نتقدم بعظيم الشكر والعرّفان إلى أستاذنا الفاضل خير عامر على
توجيهاته السديدة وارشاداته ونصائحه وتوصياته القيمة طيلة فترة القيام
بهذه الدراسة.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كل من مدى لنا يدي العون لإنجاز
هذا العمل المتواضع.





مقدمة



يمتلك المغرب الإسلامي إمكانات هائلة ساهمت في إحداث تحولات هامة معمقة وتوفير الشروط الضرورية لانتقال المجتمع من نمط إلى آخر وباعتبار المسيلة إحدى المدن الداخلية لبلاد المغرب الإسلامي فقد كان لها الدور الكبير في عرض الحدود التي يمكن للمدينة النموذجية أن تبلغها.

تعتبر مدينة المسيلة ضمن إقليم الحضنة ثمرة جهود الخلافة الفاطمية ساهمت في إحداث حركة تمدن في المغرب الإسلامي رغم المدة القصيرة التي تقدر بأقل من خمسة وستين سنة

(296هـ-362هـ/ الموافق ل 907م-973م) التي قضتها لبلاد المغرب، لقد لعبت مدينة المسيلة دورا بارزا في ميادين متعددة إلا أنها لم تلقى الاهتمام الكافي من قبل المؤرخين فقد وردت بعض أخبار مدينة المسيلة متفرقة في بعض المصادر التاريخية خاصة منها التي تناولت المغرب ككل والكتب التي أرخت لدولة المعاصرة للمدينة لا سيما الدول التي تأسست بالمغرب وكذلك كتب الحوليات وكتب الجغرافيا الوصفية وشكلت هذه المادة قاعدة لكتابات بعض الدارسين على غرار المقال الذي نشره الاب بول مايسرا تحت عنوان المسيلة القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي في المجلة التاريخية لمنطقة سطيف والذي عرج فيه على بعض الفترات الهامة من تاريخ المدينة وهناك بعض الدراسات التي لم تعطي الصورة الشاملة المعمقة للمدينة ولم تركز تلك الدراسات عن الدور الذي لعبته المدينة على مدار العصر الوسيط لذلك أردنا في بحثنا هذا التعمق أكثر في تاريخ المنطقة ومعرفة الدور الذي لعبته المدينة على مدار العصر الوسيط ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لموضوع إقليم الحضنة ووجهته في العصر الوسيط دراسة منوغرافية للفترة العبيدية من (297هـ-457هـ/909م-1152م) والحماذية 1007م إلى 1152م أنموذجا.

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع ما يلي:

- الرغبة الملحة في تناولنا للموضوع نظرا للإهتمامنا بتاريخ المنطقة خاصة في العصر الوسيط وبغية التعمق فيه أكثر.
- التعرف على مدى أهمية إقليم الحضنة في العصر الوسيط خاصة في عهد الدولة الفاطمية.
- إبراز أهمية المدن الداخلية الصغيرة ودورها في العصر الوسيط.
- إدراك الأهمية الحضارية لمدينة المسيلة.
- قلة الدراسات حول الموضوع.

- تحفيزنا من طرف الأستاذ المشرف وترغيمه لنا في معالجة الموضوع.

أهمية البحث وأهدافه:

باعتبار المسيلة إحدى المدن الداخلية لبلاد المغرب الإسلامي وبالنظر إلى أهمية دراسة المدن الداخلية الصغيرة والدور الحضاري الذي لعبته في العصر الوسيط وأملا في محاولة تفسير دورها وعلاقتها بمجالها الطبيعي والاقتصادي والسياسي وتفسير أسباب اختيار الفاطميين للمدينة والدور السياسي والاقتصادي للمدينة في تلك الفترة ومعرفة أوضاع الحضنة في عهد الدولة الحمادية.

ومحاولة فهم أسباب تراجعها خصوصا بعد القرن السادس خاصة بعد الهجرة الهلالية إلى المنطقة والحضنة شهدت هذه الأحداث التاريخية الهامة لكونها تتوفر على بيئة جغرافية جمعت بين التل والصحراء وزادها أهمية موقعها الاستراتيجي والحيوي الذي جعلها محطة هامة لتعاقد الشعوب عبر التاريخ ويعتبر تاريخ إقليم الحضنة في العصر الوسيط من أهم الموضوعات المهمة التي يجب على الباحثين دراستها والتعمق فيها أكثر.

الإشكالية:

من خلال دراستنا هذه إجتهدنا في انطلاق من إشكالية هامة وهادفة للإجابة على بعض التساؤلات التي لها علاقة بتتبع التطور التاريخي لإقليم الحضنة ووجهته في العصر الوسيط لتفسير دور الحضنة في عالم العصر الوسيط من جميع النواحي فاخترنا هذا البحث أملا في محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ماهي الظروف التي أحاطت بتأسيس مدينة المسيلة؟
- تفسير دور الحضنة في عالم العصر الوسيط من جميع النواحي وعلاقتها بمجالها الجغرافي والاقتصادي والسياسي.
- دوافع الفاطميين لبناء مدينة المسيلة.
- ماهي أوضاع إقليم الحضنة أثناء حكم الحماديين؟
- ماهي دوافع الهجرة الهلالية لبلاد المغرب؟
- محاولة فهم أسباب تراجع إقليم الحضنة خصوصا بعد القرن السادس الهجري بعد تشكيل مجالات بشرية جديدة بالمنطقة خصوصا منها الهلالية.

المنهج المتبع:

بغية الإجابة على كل ما يتعلق بهذا الموضوع وما يحيط به من ملاحظات اعتمدنا على مستويات من القراءة من أجل استنتاج النص التاريخي، وعليه ركزنا أساسا على المنهج التاريخي الذي يتسم بالدقة والموضوعية في سرد الأحداث ثم المنهج الوصفي في استعراض وتقصي الأحداث التاريخية وفي وصف الموقع الجغرافي لمدينة المسيلة كما استعنا بالمنهج التحليلي في الاستنباط وفي استقراء العوامل التي أدت إلى تطور المنطقة ومعرفة أسباب تراجعها بعد القرن السادس خاصة بعد الهجرة الهلالية إلى المنطقة كما استنتجنا التأثيرات الاجتماعية وكذا الثقافية الوافدة مع الهجرة الهلالية التي يندرج تحتها عنصرين للهجة الهلالية والشعر الهلالي وهذا دور إيجابي لهذه القبائل في المنطقة.

خطة البحث:

تماشيا مع ما توفر لنا من معطيات المادة العلمية المتاحة وكذا حرصا منا على إتباع الخطوات المنهجية في البحث قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول وخاتمة مع ترتيبها ترتيبا موضوعيا إذ تناولنا دراسة الموضوع من خلال متن الذي بدأناه ب:

فصل تمهيدي بعنوان الاطار الجغرافي لإقليم الحضنة حاولنا أن نبين فيه الموقع والحدود الجغرافية لمدينة المسيلة كما عرفنا بيئة المنطقة فتحدثنا على طبيعة المناخ السائد فيها والطابع التضاريسي الغالب عليها والمجاري المائية التي تحتويها ثم تحدثنا في المبحث الثاني عن قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي والعوامل المساعدة على قيامها والمبحث الثالث تطرقنا فيه إلى قيام الدولة الحمادية وأهم منجزاتها الحضارية.

أما الفصل الأول: جاء تحت عنوان الدولة الفاطمية في بلاد المغرب حيث تطرقنا فيه إلى الظروف التي دفعت الفاطميين إلى تأسيس مدينة المسيلة كما تحدثنا على حكم الاسرة الحمدونية لإقليم الحضنة وكيفية دخولهم إلى بلاد المغرب وحكمهم لمدينة المسيلة.

أما بالنسبة للفصل الثاني فعنوانه الحضنة في عهد الدولة الحمادية حيث احتوى على ثلاث مباحث أساسية، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى أحوال الحضنة والمغرب الأوسط في العهد الزيري فبين أصل الزيريين وأوضاع الحضنة والمغرب الأوسط قبل رحيل الفاطميين إلى مصر ثم تحدثنا عن قيام الدولة الزيرية، أما المبحث الثاني ذكرنا فيه أمراء الدولة الحمادية في القلعة كما تحدثنا في المبحث الثالث على تطور إقليم الحضنة في العهد الحمادي.

وصولاً للفصل الثالث الذي قسم هو الآخر إلى ثلاث مباحث تناولنا بني هلال ومواطنهم الاصلية والمبحث الثاني دوافع الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب أما المبحث الثاني تحدثنا فيه عن دوافع الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب، والمبحث الأخير ركزنا فيه على أثر الوجود الهلالي في المجتمع الحضني.

والخاتمة أبرزنا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال ما درسناه مجيبين على الأسئلة المطروحة في المقدمة وأرفقنا البحث بملاحق مشكلة من مجموعة من الخرائط التي تخدم موضوعنا إضافة إلى فهرس للمصادر والمراجع التي تساعد القارئ في اللجوء إليها والاستفادة منها.

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي تناولت تاريخ مدينة المسيلة في العصر الوسيط وبلاد المغرب ككل والكتب التي أرخت لدولة المعاصرة للمدينة لاسيما الدول التي تأسست بالمغرب، كتابات بعض الدارسين على غرار الاب بول مايسرا تحت عنوان المسيلة من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر ميلادي في مجلة الجمعية التاريخية لمنطقة سطيف والمقال الذي كتبه محمد الصالح مرمول تحت عنوان نشأة مدينة المسيلة وتطورها.

وكتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضاراتها لرشيد بورويبة وكتاب دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية للإسماعيل العربي وكتاب دولة بني حماد لعبد الحميد عويس.

أما **الصعوبات** التي واجهتنا طيلة عملية البحث تتمثل أساسا في أن الموضوع متشعب جدا لن تكفيه مذكرة ماستر للإحاطة بكل تفاصيله بسبب أهمية الموضوع واتساع زمن الدراسة وأيضا تكرار المعلومات في المراجع إضافة إلى ضيق الوقت.

عرض المصادر والمراجع:

تتوعت مصادر البحث ما بين كتب الاخبار والتراجم وكتب الرحلات والجغرافيا الوصفية.

1- **كتب الرحلات والجغرافية الوصفية:** لقد وفرت لنا معارف متنوعة سياسية، اقتصادية، اجتماعية ودينية

منها كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري (توفي 487هـ/1094م).

- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفات لأبي عبد الله محمد الشريف محمد بن محمد الإدريسي.

- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن الفتح بن عبد الله بن محمد بن عبد

المنعم الذي يعد موسوعة جغرافية جاء مرتب حسب حروف المعجم.

2- كتب الاخبار:

تعتبر من المصادر المهمة في البحث لما تضمنته من معلومات تاريخية ساهمت في إثراء الموضوع منها:

- كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لإبن خلدون الذي وضع لنا توزيع القبائل البربرية والعربية.
- كتاب البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب لإبن عذارى المراكشي توفي بعد (712هـ/1312م) الذي تناول تاريخ المغرب منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة المرابطية.
- كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (630هـ/1230م) أفادنا خاصة في تحديد تاريخ بعض الاحداث المهمة في البحث.

أما المراجع: التي اعتمدنا عليها فهي كثيرة خاصة التي لها صلة بموضوع البحث منها:

- كتاب هجرة الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان للإسحاق إبراهيم الذي أفادنا في تحديد المواطن الاصلية للقبائل الهلالية.
- كتاب المدينة الإسلامية وتطورها في العصر الوسيط من النصف الثاني للقرن الهجري إلى القرن الهجري الخامس للطاهر طویل.
- كتاب عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب لحسن إبراهيم حسن الذي أفادنا في الفصل التمهيدي.



الفصل التمهيدي



أولاً : الاطار الجغرافي لإقليم الحضنة:

1- الموقع الجغرافي:

يتمتع إقليم الحضنة من الناحية الجغرافية بموقع استراتيجي هام فهو ينتمي إلى منطقة السهول المرتفعة المحصورة بين السلاسل الجبلية المرتبطة في الشمال بالبحر، وفي الجنوب بالصحراء أو ما يعرف بإقليم النجد الذي يشمل المنطقة الممتدة بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي.

يتراوح ارتفاع موقع الحضنة الذي تبدو فيه محاطة بحزام جبلي من الشرق والشمال بين 1400م و 2000م يربط بين سلسلة الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، وهذا التكوين الجيولوجي كان سببا في تسمية الرقعة الجغرافية المحصورة بينهما بالحضنة، وقد شكلت سلسلة جبال ونوغة وبوطالب والمعاضيد وبلزمة قوسا يحده حوض الحضنة من الناحية الشمالية والشمالية الشرقية فيحجب عنه الأفق، ويزيد من عمق الحوض، حيث تكون مرتفعات متتالية من الناحية الشرقية حدا فاصلا بين حوض الحضنة وحوض الزيبان، أين تتناثر مرتفعات منقطعة إلى الجنوب من الحوض هي أشبه بشظايا منفصلة عن جبال الزيبان.

أما من الجهة الجنوبية فتطل مرتفعات أولاد نايل برؤوسها في شكل تضاريس مغايرة للجهة الشمالية، وبهذا الوضع المورفولوجي لا يجد حوض الحضنة متنفسا له سوى من الجهة الغربية حيث تمتد السهول العليا الغربية.¹

تسمح هذه السهول العليا الغربية بمرور المؤثرات الغربية الرطبة بالإضافة إلى وجود سبل الاتصال البشري التي اتخذت من الوديان مسالك لها، كما هو شأن وادي بريكة ووادي القصب ووادي اللحم التي تكون معاير رئيسية بين الحضنة والتل، كما ساهم تقطع مرتفعات الزيبان في تشكيل معاير سهلة بين إقليم الحضنة والزيبان، مما جعل الإقليمين مرتبطين على مر العصور، أما مرتفعات أولاد نايل وجبال الزاب تركت ممرات أساسية بين شمال الصحراء وحوض الحضنة وربطت الصلة بينهما.²

2- التضاريس:

تنوعت تضاريس الحضنة بين جبال وسهول وشطوط نتطرق إليها بالتفصيل فيما يأتي:

أ- الجبال

تعتبر جبال الحضنة حلقة ربط بين سلسلة الأطلس التلي وسلسلة الأطلس الصحراوي، وذلك باتصالها بجبال الأوراس الجنوبية وجبال الحضنة التي تشكل الحدود الشمالية لمنطقة الحضنة، التي تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، يتراوح ارتفاعها بين (1400م) - (2000م) ³ ممثلة في جبال ونوغة (1400م) غربا وجبال الأوراس شرقا، وجبال المعاضيد (1863م) وبوطالب (1800م) المحاذية للسهول القسنطينية شمالا،

¹ محمد البشير شنيبي، حوض الحضنة في العهد الروماني، أعمال الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، 1995م، ص 67

² محمد البشير شنيبي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (اللييس الموريطاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ج 1، ص 160.

³ Sebhi, op. cit., p 50.

الفصل التمهيدي

أما الجهتين الجنوبية والغربية، فلا يزيد على المرتفعات الجبلية الممتدة من جبال الزاب عن (700م) (1000م) في الجهة الجنوبية الشرقية، كما تعتبر جبال بوسعادة، وسالات وجبال أولاد نايل الحدود الجنوبية الغربية للحضنة بارتفاع يتراوح بين (1000م) - (1300م)، وتعتبر هذه السلاسل الجبلية مصدر أودية الحضنة وشطها.¹

نلاحظ أن السلاسل الجبلية المحيطة بالحضنة لم تقف عائقا في وجه تنقلات السكان، ولم تعزل المنطقة على الجوار الجغرافي، وتتخلل تلك المرتفعات بعض الأودية والمسالك التي استغلها سكان المنطقة كمرات للعبور إلى المناطق المجاورة وسبلا للاتصال وبالتالي تعتبر وسيلة لربط الحضنة بإقليم التل شمالاً.²

ب- السهول:

يوجد بالإقليم سهول واسعة تغطي مساحتها ثلثي الحضنة بمساحة قدرت بـ 8600 كلم³ تمتد حتى مشارف الحضنة متنوعة من الناحية الشمالية والشرقية من حيث الارتفاع والانخفاض ونوع التربة كسهول سيدي عيسى وسهول البحيرة، سهول الحضنة ونقاوس شرقا والتي تعتبر مدخل الحضنة الشرقية وهي منخفضة في الجهة الشرقية على السهول القسنطينية المرتفعة، ومن الغرب على السهول الوسطى التالية للجزائر، وهي محاطة بمدن الحضنة الرئيسية : مدوكال في الجنوب الشرقي، نقاوس في الشمال الشرقي، والمسيلة في الشمال وسيدي عيسى في الشمال الغربي، وبوسعادة في الجنوب.⁴

السهول الأكثر انتشارا بالمنطقة هي السهول التي تقطعها الأودية، كالسهول التي أما تقع شرق وغرب وادي القصب وهي أقل ارتفاعا من السهول السابقة الذكر على عكس السهل الجنوبي.⁵

ت- الموارد المائية:

يقول سافورن (Savorin) عن الدراسة الجيولوجية لمنطقة الحضنة أن كلمة الحضنة تنطبق على حوض هيدوغرافي كبير تتكون حوافه من حواجز جبلية تحيط بالسهل الذي يمثل الحوض المستقبل للماء، كما شبه الحوض في شكله بورقة العنب له حدود واضحة في خط توزيع المياه.⁶

فالشبكة المائية للحضنة تتمثل أساسا في الأودية خاصة المنحدرة من الجبال الشمالية والشرقية والتي تتميز بقصرها وانحدارها وعدم انتظام جريانها وذلك وفقا لكمية التساقط، حيث تجري فيها المياه في فصل الأمطار

¹ Despois, op. cit., p 07.

² أم الخير العقون، الموقع الاستراتيجي لمنطقة الحضنة في التاريخ القديم، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران جوان 2012م، عدد خاص، ص 174

³ شنيبي الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ج 1، ص ص 160-161

⁴ Meauak, on. cit.. n. 05

⁵ M'sila et Bousaada Charles Féraud, «Histoire des villes de la province de Constantine, Sétif Bordj Bou-Arredj Constantine, 1871-1872, p 334. » Recueil des Notices et Mémoires de la société archéologique de la province de

⁶ Savorin, op. cit, p 34-35.

الفصل التمهيدي

وتجف صيفاً¹، وبذلك يكون نظام جريان أودية الحضنة مرتبط بتعاقب السنوات الجافة التي تتخللها بعض السنوات الرطبة التي تأتي بفيضانات وأودية الحضنة شأنها شأن كل الأودية العابرة للكتل الجبلية والفاحة لممرات وصل بين الهضاب العليا السهبية والوسطى ينتهي جريانها في المناطق الأكثر انخفاض مشكلة أحواض مائية سرعان ما تجف بفعل نفاذها في القشرة الأرضية أو بفعل أشعة الشمس التي تؤدي إلى تبخرها، غير أن هذه الأخيرة تصب مباشرة في اتجاه السبخة، لتتحول إلى مياه جوفية فتشكل مورداً مائياً آخر، هذا ما جعل معظم أودية الحضنة التي تتبع من السلاسل الجبلية المحيطة بالإقليم من الشمال والشرق تصب في الأحواض المغلقة والشطوط المالحة إلا أنها تتميز بمنسوب مائي قليل².

ومن أهم الأودية التي يتميز بها إقليم الحضنة، وادي اللحم ويعتبر من أهم الأودية في الجهة الغربية، ووادي القصب.

ثانياً - قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:

قبل التعرف عن الدعوة الشيعية وانتشارها في بلاد المغرب الإسلامي وقيام الدولة العبيدية (الدولة الفاطمية) ككيان سياسي مستقل عن الخلافة العباسية في المشرق، فكان لابد لنا من التعرف على نسب الفاطميين.

1- نسب الفاطميين:

ينتسب الفاطميون إلى أول خلفائهم وهو عبيد الله المهدي، بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه³.

وقد اختلف المؤرخون في صحة نسب الفاطميين فمنهم من يدعم ذلك، وبعضهم الآخر يطعنون في هذا النسب، ويرون أن عبيد الله المهدي من سلالة ميمون القداح⁴، فقضية النسب الفاطمي لا زال يحيط بها الكثير من الغموض، لعدم اتفاق المؤرخين حول نسبهم كما سبقت الإشارة، وبقي ذلك موضع خلاف وجدال، ويرجع ذلك إلى الاختلاف السياسي والمذهبي الذي ساد بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا

¹ حليمي المرجع السابق، ص 28-29 ويضيف إصطيفان أن كمية الأمطار بحوض الحضنة قليلة خاصة في الشمال الشرقي والشط التي كانت تعتبر من الصحراء في نهاية القرن الخامس الميلادي، ينظر: إصطيفان إكميل، المرجع السابق، ص 101

² سليمان المرجع السابق، ص 13

³ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تعليق: محمد حسين شمس الدين ونبيل خالد الخطيب دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (د.ت.ط)، ج 5، ص 118؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 40؛ يذكر نسب عبيد الله المهدي إلى: « محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق »، ولا يذكر هذا النسب، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 50، يذكر نسبه بقوله: « أبو محمد عبد الله بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين»، أما ابن حماد المصدر السابق، ص 17-18، فيقول: « فالذي ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم».

⁴ أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرفاوي، مكتبة مدبولي القاهرة مصر، 1997م، ج 2، ص 26

الفصل التمهيدي

امتناع الفاطميين مدة طويلة من الزمن عن الإعلان عن أنسابهم، بالإضافة إلى إخفاء الأئمة الفاطميين لأسمائهم حسب ما أشار إليه سهيل طقوش¹.

وتذكر المصادر التاريخية أن العباسيين حاولوا الطعن في هذا النسب عندما بعث المعتضد العباسي² (279-289 هـ / 892م - 902م) بكتاب إلى محمد ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجل ماسة يغريهم بالقبض على عبيد الله المهدي عندما سار إلى المغرب³، كما قام الخليفة العباسي القادر بجمع عدد من العلماء والأئمة والقضاة، وطلب منهم كتابة محضر طعنوا فيه بالنسب الفاطمي⁴، وأعلنوا فيه أن الحاكم وسلفه أدياء الخوارج ولا نسب لهم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك ينتفي نسبهم العلوي، والانتماء إلى آل البيت، ثم أمر أن يوزع هذا المحضر في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويذهب ابن تغري بردي إلى القول أنهم ينسبون إلى ديسان بن سعيد الخرمي، وأنهم إخوان الكافرين⁵، كما تذكر المصادر التاريخية أن المعز لدين الله الفاطمي لما قدم من إفريقية إلى مصر خرج للقاءه عدد كبير من أشرف مصر : « فسأله أحدهم إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال له المعز : سنعقد مجلسا ونرد عليكم نسبنا، فلما استقر المعز بالقصر، جمع الناس في مجلس عام، وجلس لهم وقال: هل بقي من رؤسائكم أحد فقالوا : لم يبق ، فسل سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر فوقهم ذهباً كثيراً وقال: هذا نسبي، فقالوا جميعاً : سمعنا وأطعنا»⁶ ، وهناك من يقول أن عبيد الله المهدي هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، ويرد أصله إلى الفرس والمجوس، وتصفه أحياناً بعض المصادر بأنه ابن يهودي⁷.

الدعوة الفاطمية:

يعتبر التشيع حسب اعتقادهم هو مبدأ يقوم على حب آل البيت من أهل الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقضي بحصر الإمامة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه نصاً ووصية، ولا تخرج الإمامة من أولاده بعده، وهذه الجماعة التي ناصرته عرفت بالشيعة وهم الذين شايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخصوص، وبايعته

¹ محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام (297-567هـ / 910-1171م)، ط2، دار النفائس، بيروت - لبنان، 2007م، ص 53

² المعتضد العباسي هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم، بوع بالخلافة يوم وفاة المعتمد على الله سنة (279هـ / 892م) توفي سنة (289هـ / 902م) فكانت مدة حكمه تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام، ينظر : محمد الخضري، الدولة العباسية، ط2، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 2004م، ص 277

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 449 سعدون نصر الله تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20-798هـ/640-1492م)، دار النهضة العربي، بيروت - لبنان، 2003م، ص 217

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 449؛ ويذكر أعلام الأئمة الذين شاركوا في كتابة المحضر الذي ينفي نسب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب وهم: « الفقيه أبو الحسن القدوري الحنفي، والإمام أبو حامد الأسفرائيني، أبي العباس الأبيوردي، وأبي الفضل النسوي، وأبي جعفر النسفي وابن الأزرق الشريف الرضى والمرتضي »؛ ينظر كذلك: يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1992م، ج 4، ص 231؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 6، ص 447

⁵ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 4، ص 230.

⁶ عبد الحلیم عويس، قضية نسب الفاطميين أمام منهج النقد التاريخي، ط1، دار الصحوة، القاهرة - مصر ، 1985م، ص 15.

⁷ المقرئزي، الخطط المقرئزية، ج 2، ص ص 26-27 طقوش، المرجع السابق، ص 54 عويس، المرجع السابق، ص 05.

الفصل التمهيدي

بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يرون أنهم أحق بالأمر واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده¹، ويرون أن الشيعة هم دعاة أهل البيت وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش².

انقسم الشيعة إلى فرقتين هما : فرقة الإثني عشرية³ بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق⁴ وولده علي سلسلة واحدة إلى تمام الإثني عشر، وهو محمد المهدي والذين زعموا أنه دخل سردابا، وهم في انتظاره، أما الفرقة الثانية وهي الإسماعيلية⁵، بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق⁶، وينتسب إليها الخلفاء الفاطميون الذين أقاموا الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، وقد اختارت هذه الفرقة مدينة سلمية بالشام⁷ مركزا لدعوتهم، ولجلب الأنصار والمؤيدين للمذهب الشيعي، ومنطلق لدعاتهم لنشر الدعوة الإسماعيلية في أنحاء العالم الإسلامي والمناطق البعيدة عن مركز الخلافة العباسية في بغداد⁸، ومررت هذه الدعوة حسب سهيل طقوش⁹ بمرحلتين في بداية انطلاقتها : مرحلة الإعداد العقائدي النظري تولاه كل من الداعيتين أبو سفيان¹⁰ والحلواني، ومرحلة الدور العملي الذي قام به الداعي أبو عبد الله الشيعي.

ففي المرحلة الأولى لا يمكن اعتبار اختيار الشيعة الإسماعيلية لبلاد المغرب الإسلامي كمهد لنشر مذهبهم وأفكارهم الشيعية من محض الصدفة بل أن دخول أبا سفيان والحلواني إلى بلاد المغرب كان مخطط له بدليل

¹ الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 144.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 214، ويذكر أنهم كانوا يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي بالخلافة بالنصوص الجلية وعدل عنها الصحابة إلى غيره فوجب البراءة ممن عدل عنها، ينظر: المصدر نفسه، ج 3، ص 450.

³ الإثني عشرية وهم الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا قطعية ساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا : الإمام بعد موسى هو ابنه علي الرضا، ثم بعده النبي، ثم بعده علي بن محمد النقي، وبعده الحسن العسكري الزكي، وبعده ابنه القائم المنتظر وهو الثاني عشر وهذه هي طريقة الإثني عشرية، ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 171.

⁴ موسى الكاظم هو أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد سنة (129هـ / 746م) وقيل سنة (128هـ / 745م)، وهو أحد الأئمة الإثني عشرية، أقام بالمدينة أيام هارون الرشيد وفي سنة (179هـ / 795م) أخذه هارون الرشيد معه إلى بغداد عندما قدم إلى العمرة في رمضان وحبسه حتى وفاته، توفي سنة (183هـ / 799م) وقيل سنة (189هـ / 805م) ببغداد حيث نكر أنه مات مسموما، ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، مج 5، ص 308-309 المصدر نفسه، مج 5، ص 310.

⁵ الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وهو الابن الأكبر له، وقد اختلفوا في موته في حياة أبيه جعفر الصادق، منهم من يقل لم يموت وأنه أخفى موته خوفا من خلفاء بني العباس، وعقد محضرا واشهد عليه عامل المنصور بالمدينة، ومنهم من أن موته صحيحة، وبقاء الإمامة في أولاده من بعده ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج 1، ص 170.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 450.

⁷ سلمية من أرض حمص من بلاد الشام، الحموي، المصدر السابق مج 3، ص 272؛ ابن خلدون، المصدر السابق ج 4، ص 41.

⁸ عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب الإسلامي، ط 1، مكتبة مدبولي القاهرة - مصر، 1994م، ج 3، ص 49.

⁹ طقوش، المرجع السابق، ص 63. 5 أبو سفيان: أرسله جعفر الصادق مع الداعي الحلواني لنشر الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، وصل إلى مرماجنة ونزل في موضع يقال له تالا، وتزوج امرأة من البربر، وبني مسجد، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 41؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 50 كتب التعريف في الهامش).

¹⁰ أبو عبد الله الشيعي هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، من أهل صنعاء، وقيل من أهل الكوفة، كان الممهد القيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وموطد أركانها، كان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة، كان أكثر علمه علم الباطن، أرسل إلى اليمن ليتعلم أصول المذهب الشيعي، وأخذ أسرار الدعوة عن ابن حوشب، وهو من أرسله إلى المغرب، كان يعرف مذهب الإمامة الباطنية، عرف بالمحتسب لأنه عمل محتسبا في سوق الغزل في البصرة، وعرف بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب الباطنية ينظر: ابن خلدون المصدر السابق، ج 3، ص 451؛ ابن حماد المصدر السابق ص 19؛ القاضي النعمان المصدر السابق، ص 15؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 450.

الفصل التمهيدي

ما قاله لهم جعفر الصادق للداعيين عندما بعثهما بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر»¹، وكان ذلك سنة (145هـ/762م) وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقان²، وكان دخولهم إقليم إفريقية في الوقت الذي كانت فيه الوالي محمد بن الأشعث يحاول إرجاع الهدوء للمنطقة التي كانت تعيش حالة من الاضطرابات التي أثارها حركة الخوارج في المنطقة³.

وأما الحلواني فتقدم حتى وصل إلى سوجمار⁴، فنزل بموضع يُعرف بالناظور⁵، وقد اشتهر بفضلته وعلمه وعبادته، وجلب إليه عدد كبير من القبائل، وتشيع كثير منهم على يديه من قبائل كتامة، ونفزة⁶ وسماتة⁷، فيكون حينئذ بين دخولهما بلاد المغرب ووصول الداعي أبو عبد الله الشيعي⁸ مائة وخمسة وثلاثون سنة، وتوفي أبو سفيان⁹ قبل قدوم أبي عبد الله الشيعي، أما الحلواني فقد عاش دهرا طويلا، حتى لحق به الداعي أبو عبد الله الشيعي¹⁰.

وقد ساعد أبو سفيان والحلواني على سرعة انتشار دعوتها بين القبائل البربرية من الكتاميين كثرة عددهم¹¹، ومما لاشك فيه أن النشاط الذي قام به الداعيان في نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب قد مهد الطريق لمن جاء بعدهما ليجد الأرضية ملائمة لبذر بذور الدعوة الشيعية، وعليه فإن المهمة التي أوكلت إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي لم تكن سوى تتويجا لمرحلة سبقت¹²، وتكملة للمرحلة القادمة من الدعوة التي تتطلب رجلا قادرا على تكوين القوة العسكرية التي تساعد على إقامة دولة قوية واسعة الأطراف.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 41.

² القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 23.

³ فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ / 909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات ترجمة: حماد الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1994م، ص 78.

⁴ اختلفت المصادر التاريخية حول تسمية هذا المكان، فعند القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 64، سوجمار؛ أما ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 41، أطلق عليه اسم "سوف جمار، في حين ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 450، ذكره باسم "سوق حمار"، ولم تحدد لنا المصادر في حدود ما اطلعت عليه موقعه.

⁵ الناظر : حصن في جبال بجاية المنيعه، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 176؛ طقوش، المرجع السابق ص64

⁶ نفزة وهي مدينة صغيرة تقع بالمغرب بالقرب من مدينة طبرية التونسية وبالقرب من ساحل البحر، وهي قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان، ينظر: الحموي المصدر السابق، مج 5، ص 296

⁷ سماتة وهي من بطون نفزاوة مدينة صالحه، ذات سور تقع على طريق سجماسة من إفريقية، وأن بقاياهم مقيمون بنواحي القيروان ينظر: ابن حوقل المصدر السابق، ص 92؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 150-152

⁸ يذكر المؤرخون أن أبا عبد الله الشيعي وصل إلى بلاد المغرب سنة (280هـ/893م)، ينظر: الدشراوي، المرجع السابق، ص 78.

⁹ توفي أبو سفيان في مارجنة، وقبره بها يعرف مكانه، ومكان مسجده إلى اليوم، ينظر : القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 24

¹⁰ يذكر القاضي النعمان أن الحلواني ترك ابنة يقال لها أم موسى، ومات بالناظور من أرض سوجمار أين يوجد قبره ومسجده، ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 24.

¹¹ الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 53.

¹² طقوش، المرجع السابق، ص 65.

الفصل التمهيدي

وأما عن المرحلة الثانية من الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب فكانت بقيادة أبي عبد الله الشيعي الذي انتقلت الدعوة على يده من مرحلة الإعداد النظري إلى الدور العملي وبناء الدولة¹.

وأما عن كيفية مجيئه إلى بلاد المغرب تذكر لنا المصادر التاريخية أن أبا عبد الله الشيعي انضم إلى قافلة الحجاج اليمنيين، وخرج معهم إلى مكة المكرمة، وكان ذلك في سنة (279هـ/893م)، فلما وصل إلى مكة² المكرمة اجتمع مع حجاج كتامة، ولا شك لم يكن ذلك من باب الصدفة لأن الجماعة تضم رجالات كتامة ورؤسائهم، وفيهم من تلقى المذهب الشيعي على يد الحلواني ومن أهم بطون كتامة³، وتقرّب إليهم بما أظهره لهم من علم وفقه وزهد⁴، واكتسب صداقتهم وطلب أن يرافقهم في طريق عودتهم إلى بلاد المغرب زاعماً أنه يريد مصر لطلب العلم، إلا أن الكتاميين استطاعوا إقناع الداعي أبو عبد الله الشيعي أن يصحبهم إلى بلاد المغرب⁵.

توجه أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد المغرب رفقة الكتاميين، ولم يظهر لهم مراده، وفي أثناء الطريق كان يسألهم عن أخبار بلادهم وقبائلهم⁶، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية فقالوا له: « ما له علينا طاعة ولا حكم أكثر من أن نقول إنه سلطان، قال: وكم بينكم وبين موضعه؟ قالوا: مسيرة عشرة أيام ... قال: فأنتم قبيلة واحدة؟ قالوا: يجمعنا اسم كتامة ثم نفرق قبائل وأفخاذا وبيوتات ... قال: أمركم متفق؟ قالوا: لا نحن نحارب بعضنا بعضاً ثم نصطح بعد القتل، ويصالح القوم منا قوما ويحاربون آخرين... قال: فإن دهمكم غيركم تجتمعون؟ وكان غرضه هو معرفة أحوال البلدان والعشائر، والحصول على بعض المعلومات حول وضعهم السياسي والاجتماعي، وكل ما من شأنه أن يفيد مهمته السرية، ولم يكشف عن نواياه الحقيقية⁷، وفي سنة (288هـ / 901م) وصلوا إلى أرض كتامة⁸.

¹ طقوش، المرجع السابق، ص 65

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 451؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 29.

³ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 151 ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 124؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 29؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص ص 41-142 حيث ذكر بعضاً من رجالات كتامة وهم: « موسى بن حريث كبير بني سكتان من جملة شعوبهم، وأبو القاسم الورنجومي من أخلاقهم، ومسعود بن عيسى بن ملال المساكتي، وموسى بن تكاد ... ».

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 450؛ ابن خلدون المصدر السابق، ج 3، ص 451.

⁵ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص 31-132 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 450

⁶ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 151 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 42.

⁷ الدشراوي، المرجع السابق، ص 84؛ عصام الدين عبد الرؤوف الدقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق. القاهرة مصر، (د.ت.ط)، ص 132

⁸ القاضي النعمان المصدر السابق، ص 136 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 451 النقي، المرجع السابق، ص 172.

الفصل التمهيدي

من قبل في بلاد المغرب عن طريق الأدراسة مما أدى إلى سهولة مهمة الداعي أبو عبد الله الشيعي¹، وعند وصوله إلى موضع إيكجان² الذي تسكنه قبائل بني سكتان من بطون كتامة³، وفيها فج الأخيار فقال لهم ما سمي هذا الفج إلا بكم، وأن اسم كتامة مشتق من الكتمان، والكتمان من شروط الدخول في الدعوة⁴. وقد بدأ واضحا تأثير الداعي أبو عبد الله الشيعي في مجتمع كتامة، بما أظهره من علم وأخلاق حسنة وحسن المعاملة، مما أدى إلى التفاف عدد كبير من القبائل حوله على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية⁵، فيذكر ابن الأثير: «وأناه البربر من كل مكان وعظم أمره»⁶، وبذلك أحرز الداعي أبو عبد الله الشيعي من النجاح ما جعل شهرته تتعدى إيكجان، إلا أنه لقي معارضة داخلية من قبل بعض زعماء القبائل الكتامية الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم في المنطقة⁷، خاصة بعد كشفه عن عقيدته الشيعية، لأنهم ظنوه مجرد رجل صالح يدعو إلى الدين والخير⁸، وبدأ هؤلاء يستعرضون ما قاله له حريث الجميلي: «ما كان أطول سفرنا معك ونحن في غفلة عن مثل هذا منك»⁹.

وبذلك أثارت دعوته ردود أفعال مختلفة بين القبائل الكتامية، لأن الدخول في الدعوة لم يبلغ في تلك المرحلة درجة الإجماع حسب قول سهيل طقوش¹⁰، ومع ذلك فاعلان الداعي أبو عبد الله الشيعي للكتاميين أنه صاحب البذر الذي ذكره لهم أبو سفيان والحلواني¹¹ لم يشكل أي عقبة جدية في مسيرة الدعوة الشيعية، عند بعض قبائل كتامة بل ازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره، لما أظهره لأهل المغرب من علم وفضل¹².

ومع ذلك فهذا الانتشار الواسع الذي عرفته الدعوة الإسماعيلية أدى إلى تفرق البربر والقبائل الكتامية¹³، فيذكر ابن الأثير أن الأمر وصل إلى أن: «تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر»¹⁴، لأن المجتمع الذي أقامه الداعي

¹ السنوسي موسى آدم صالح " الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وجهود المعز لدين في بسط سيادتها على مصر"، مجلة جامعة السلام، مصر، نوفمبر 2016م، العدد 03، ص 1187 النقي، المرجع السابق، ص 173.

² إيكجان ناحية بالمغرب من بلاد البربر، تسكنها القبائل الكتامية أقام بها الداعي أبو عبد الله الشيعي ويسميتها دار الهجرة، الحموي، المصدر السابق، ص 1، ص 273؛ ويذكر الحميري أنه جبل بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 71.

³ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 37؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 451؛ حيث يطلق عليه "إيكجان" نجدها كذلك عند ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 42.

⁴ يذكر المقرئ أنه سألهم عن فج الأخيار فتعجبوا من ذلك، ولم يكونوا ذكروه له ينظر: المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 56-57؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 451؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 37؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس مكتبة الأسرة، 2004م، ص 141.

⁵ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 37.

⁶ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 451.

⁷ طقوش، المرجع السابق، ص 68.

⁸ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 37.

⁹ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 57.

¹⁰ طقوش، المرجع السابق، ص 68.

¹¹ المرجع نفسه، ص 68.

¹² محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، (د.ت. ط)، ص 23.

¹³ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 58.

¹⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 451.

الفصل التمهيدي

أبو عبد الله الشيعي أثر على النظام القبلي السائد بين كتامة وغيرها من القبائل البربرية، وأصبحت السلطة فوق سلطة مشايخ القبائل، وبذلك هدد سلطتهم داخل القبيلة، نتيجة تحويله المصالح القبلية إلى مصالح عامة تتصرف إلى غير قبيلة داخل المجتمع الشيعي مما تسبب في حدوث تصادم بين مختلف بطون كتامة¹.

2- قيام الدولة الفاطمية:

نتيجة التطورات التي عرفتها الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب، والتي توجت بنجاحها في تثبيت دعائم الحكم في القيروان بواسطة زعماء القبائل الكتامية، بالإضافة إلى بسط نفوذ الشيعي في أرجاء عديدة من بلاد المغرب دفعت هذه الأمور بعبيد الله المهدي إلى التوجه نحو بلاد المغرب² تلبية للدعوة التي وجهها إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي³.

وبطبيعة الحال لم يكن الطريق نحو بلاد المغرب سهلاً على عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم، إذ علم الخليفة العباسي بخروجه من سلمية بالشام إلى بلاد المغرب، فأصدر أمر بالقبض عليه وعلى أتباعه⁴، فوصل إلى مصر، فما كان على عبيد الله المهدي سوى أن يتخفى في زي التجار، وكان والي مصر آنذاك عيسى النوشري، وصله كتاب من الخليفة العباسي يأمره بالقبض عليه⁵، ولم يجد عبيد الله المهدي من حل سوى تقديم الأموال من أجل المرور في البلدان التي تخضع وتدين بالولاء والتبعية للخلافة العباسية في بغداد، وهذا ما فعله كذلك مع عامل مصر عيسى النوشري⁶.

واصل عبيد الله المهدي زحفه إلى بلاد المغرب، فبلغ برقة، ومنها إلى طرابلس، وفي طريقهم إلى إيكجان، بعث أبو العباس⁷ وجماعة من الكتاميين إلى الداعي أبو عبد الله الشيعي يبشره بقرب ظهوره ويخبره أنه في طريقه

¹ طقوش، المرجع السابق، ص 68.

² طقوش، المرجع السابق، ص 74.

³ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 119؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 453؛ حيث يذكر أن الداعي أبو عبد الله الشيعي أرسل إلى عبيد الله المهدي رجلاً من كتامة ليخبره بما فتح الله عليه، وأنهم ينتظرونه؛ الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 64 الصلابي المرجع السابق، ص 45 سرور، المرجع السابق، ص 25.

⁴ القاضي النعمان المصدر السابق، ص 98-99 المقرئزي اتعاط الحنفا، ج 1، ص 60؛ السنوسي، المرجع السابق، ص 188.

⁵ ابن حماد المصدر السابق، ص 18؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 192؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 44؛ المقرئزي، اتعاط الحنفا، ج 1، ص 60 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 453؛ علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1972م، ص 52-53؛ النقي، المرجع السابق، ص 175.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 44 المقرئزي، اتعاط الحنفا، ج 1، ص 60 القاضي النعمان، المصدر السابق ص 99؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 454؛ يذكر أن عبيد الله المهدي تم القبض عليه من قبل عامل مصر، إلا أنه أنكر حاله، ولم يزل يخوفه ويتلفه، فأطلق سراحه وخلق سبيله، ويذكر كذلك أنه أعطاه في الباطن ما لا حتى أطلقه فرجع بعض أصحاب النوشري عليه بالنوم، فقدم على إطلاقه، وأراد إرسال الجيش وراءه ليردوه؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 144؛ السنوسي، المرجع السابق، ص 188.

⁷ أبو العباس: محمد بن أحمد بن زكريا أخو الداعي أبو عبد الله الشيعي، كان في رفقة عبيد الله المهدي في رحلته إلى بلاد المغرب، فلما وصل إلى طرابلس بعث أبا العباس إلى القيروان، وأمره أن يلحق به إلى كتامة، فاكشف أمره وقبض عليه زيادة الله، ولما تأسست الدولة الفاطمية وتولى الحكم عبيد الله المهدي قام بقتله مع أخاه عبدا الله الشيعي، سنة (298هـ/911م)، وأمر بدفنهما في بستان القصر، ينظر المقرئزي اتعاط الحنفا ج 1، ص 61؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 145 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 1461 ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 192؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53.

الفصل التمهيدي

إليه، فعلم زيادة الله بأمرهم وألقى القبض عليهم¹، وكان عبيد الله المهدي يتقدم باتجاه إيكجان حيث وصل إلى حدود كتامة، ثم تراجع عن الذهاب إليها، واتجه نحو سجلماسة لأنه علم بسجن أبي العباس²، وصل عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم إلى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار³، فأكرمه وكسب تقديره وعامله معاملة حسنة، لأن عبيد الله المهدي قدم له أموال، وهي طريقته المعهودة ليأمن الوقوع في أيدي الحكام وسجنه⁴، إلا أن هذا الصفاء لم يدم طويلا حيث وصل كتاب من زيادة الله يخبره بأن الرجل الذي يدعو إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي عندك، فقام بالقبض عليه وسجنه⁵.

وأما الداعي أبو عبد الله الشيعي فقد أسقط دولة الأغالبة، واستولى على عاصمتهم رقادة، وكان ذلك سنة (296هـ / 909م)⁶، واستخلف عليها أخاه أبو العباس، وتوجه إلى سجلماسة لتخليص عبيد الله المهدي⁷، ولما وصل إلى سجلماسة قام بحصارها⁸ إلا أن الداعي أبو عبد الله الشيعي خشي المهدي، فبعث له برسلا وأبلغه بعدم رغبته في على إقدام اليسع بن مدرار عن قتل عبيد الله⁹ القتال، وأنه قدم لحاجة وليس للحرب¹⁰، إلا أن اليسع بن مدرار قام بقتل الرسل، وأصر على المواجهة العسكرية، فلم يصمد طويلا أمام جيوش الداعي أبو عبد الله الشيعي، فتغلب عليه¹¹.

ودخل المدينة وأطلق سراح عبيد الله المهدي وابنه، أما اليسع بن مدرار فقد لاذ بالفرار تحت جناح الظلام متوجها نحو الجنوب¹²، وتمت مبايعة عبيد الله المهدي بيعة عامة في سجلماسة، وسلم إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي الأمر¹³، ثم سار إلى القيروان، وهكذا نجح الشيعة الإسماعيلية في إقامة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب،

¹ القاضي النعمان المصدر السابق، ص 99-1100 طقوش المرجع السابق، ص 76؛ النقي، المرجع السابق ص 1175 مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 144 الغنيمي المرجع السابق، ج 3، ص 65 سرور، المرجع السابق، ص 26

² طقوش، المرجع السابق، ص 76.

³ اليسع بن مدرار: هو صاحب سجلماسة قام بسجن عبيد الله المهدي وابنه أبو القاسم، وخلصه الداعي عبد الله الشيعي فهرب اليسع فأدركته العساكر وأمر بضربه وطيف به في العسكر في سجلماسة، ثم جمع أهله وهرب، فلحق به عبد الله الشيعي وقتله وقتل أهله، ينظر القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 281؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 47.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 45 المقرئزي، اتعاط الحنفا، ج 1، ص 62؛ سعدون، المرجع السابق، ص 225؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 472؛ طقوش، المرجع السابق، ص 76؛ حيث يذكر أن عبيد الله المهدي استأجر دارا تليق به واتصل ببعض أهالي القيروان، وبعثهم إلى أبي عبيد الله الشيعي، واشترى بعض المماليك لخدمته، ما يدل على أنه كان حرا طليقا في سجلماسة.

⁵ المقرئزي، اتعاط الحنفا، ج 1، ص 62؛ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 101؛ الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 64

⁶ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 149-150؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 46؛ النقي، المرجع السابق، ص 176.

⁷ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 152.

⁸ ابن حماد، المصدر السابق، ص 21؛ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 153.

⁹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 454؛ طقوش، المرجع السابق، ص 77.

¹⁰ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 460.

¹¹ القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 170 يذكر أن الداعي أبو عبد الله الشيعي: عبا عساكره ودنا من المدينة، وخرج إليه اليسع بن مدرار بمن معه، فما لبث أن اقتحمته الخيل في المدينة بعد أن ناوشها ساعة، وقتلوا من أصحابه جماعة « طقوش، المرجع السابق، ص 77

¹² ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 152 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 454.

¹³ مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 145.

الفصل التمهيدي

وكان ذلك سنة (297/910م)¹، وانقرض ملك بني الأغلب بالمغرب الأدنى، وملك بني المدرار بسجلماسة، وملك بني رستم بتيهرت².

أ- ولاية عبيد الله المهدي (297-322هـ / 910-934م):

بعد سقوط دولة الأغالبة، ودخول أبي عبد الله الشيعي إلى القيروان، قام باستدعاء الإمام الفاطمي المستتر عبيد الله المهدي في سلمية بالشام لكي يتولى مقاليد الحكم في بلاد المغرب بعد أن تأكد أبي عبد الله الشيعي من الانتشار الكبير للمذهب الشيعي واستقرار الأمور في المنطقة، ونجاح الدعوة في البلاد³.

وبطبيعة الحال تمت مبايعته البيعة العامة، ثم نزل في قصر من قصور رقادة ومن معه⁴، واتخذها حاضرة له، وأمر بأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، وبذلك تسلم مقاليد الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بصفة رسمية⁵، بعد مبايعته بالإمامة كان لابد عليه من تنظيم أمور الدولة الفاطمية، فقام بوضع تنظيمات سياسية وإدارية ودينية، تضمن لدولته الأمان والاستقرار والاستمرار، وقد حدد سياسته في خطابه التقليدي، وأنه سيكون عادلا في سياسته مع الرعية⁶.

وشرع عبيد الله المهدي في توزيع المهام التي تكفل له تثبيت أركان دولته، وتأمين الهدوء والتوسع في الخارج، حيث أرسل عمالا إلى الولايات المختلفة، واختارهم من زعماء القبائل الكتامية، وممن يثق بهم من أهل المغرب الذين أظهروا الولاء والطاعة للإمام⁷، وأمر أبو عبد الله الشيعي بجعل بلاد المغرب تحت سلطة الدولة الفاطمية، حيث تمكن سنة (298هـ/911م) من إخضاع بعض بلدان المغرب الأوسط والأقصى، والقبائل الزناتية المتمركزة في جنوب بلاد كتامة، الذين دخلوا في طاعته⁸.

وبعدما استقامت البلاد لعبيد الله المهدي، ودان له العباد، بأمر الأمور بنفسه حسب قول ابن الأثير⁹، وأمسك بشؤون الدولة، وأدرك مدى الخطر الذي يُشكله أبو عبد الله الشيعي على حكمه نظرا لما يتمتع به من محبة

¹ طقوش، المرجع السابق، ص 77.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 1455 المقرزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 166 الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 166 ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص ص 191-192

³ الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 61

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 461؛ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 158؛ يذكر أنه نزل في القصر المعروف بالصحن، ونزل ابنه أبو القاسم يقصر أبي الفتح ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53.

⁵ المقرزي اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 66؛ ابن الخطيب المصدر السابق، ص 51 طقوش، المرجع السابق، ص 77؛ النقي، المرجع السابق، ص 177؛ محمد الصالح مرمول السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 55.

⁶ طقوش، المرجع السابق، ص 79؛ النقي، المرجع السابق، ص 177

⁷ ابن خلدون المصدر السابق، ج 4، ص 47؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 461؛ يذكر أنه: قسم عليهم أعمال إفريقية دون الدواوين، وجبى الأموال، واستعمل العمال عليها جميعها، فاستعمل على جزيرة صقلية الحسن بن أحمد بن أبي خنزير، وجعل قاضيا بصقلية إسحاق بن المنهال « سرور، المرجع السابق، ص 27.

⁸ النقي، المرجع السابق، ص 177؛ السنوسي، المرجع السابق، ص 179 .

⁹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 461؛ المقرزي اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 67.

الفصل التمهيدي

وثقة بين القبائل الكتامية، مما يُضعف مكانة عبيد الله المهدي، ويحد من صلاحياته في الدولة الفاطمية، وذلك لأن نفوذ أبو عبد الله الشيعي كان كبيرا في بلاد المغرب¹.

فأمر بقتل الداعي أبو عبد الله الشيعي وأخيه أبا العباس سنة (298هـ/911م)² على الرغم من أن الدولة الفاطمية تدين بقيامها وتأسيس ملكها في بلاد المغرب إلى الداعي أبو عبد الله الشيعي، وهذا ما أكده ابن الأبار بقوله: « وهو الذي مهد لملك عبيد الله، وشد سلطانه»³، وبني أساس بيت الفواطم في مملكة المغرب حسب قول ابن أبي دينار⁴.

وبعد مقتل الداعي أبو عبد الله الشيعي وأخاه أبو العباس ثارت فتنة كادت تعصف بحكم عبيد الله المهدي في بلاد المغرب قادها رجال قبيلة كتامة.

وانتقلت معظم المصادر التاريخية التي بين أيدينا على أن بناء المهديّة من قبل عبيد الله المهدي كان سنة (303هـ/916م)⁵، وانتهى من بنائها سنة (306هـ/919م)⁶، وانشأ فيها دار للصناعة، وشيد فيها الأسواق والقصور والدور ومخازن الطعام⁷، ويذكر ابن حماد أنه أمر ببناء قصر له وقصر لابنه أبي القاسم، وأمر بهدم قصور بني الأغلب في جميع بلاد إفريقية.

وفي سنة (315هـ / 928م) اضطربت المغرب حسب قول ابن خلدون، فبعث عبيد الله المهدي ابنه أبو القاسم مع جيش قوي من كتامة وأولياء الشيعة⁸، فاستطاع بعد اصطدام كبير مع القبائل الزناتية أن يعيد للفاطميين الكثير من نفوذهم في المنطقة، فقد فر محمد بن خزر وأصحابه وتمكن أبو القاسم من فتح مزاتة ومطماطة⁹ وهوارة، ونواحي تيهرت قاعدة المغرب الأوسط ورجع إلى المهديّة وفي طريقه أسس مدينة المسيلة¹⁰.

¹ طقوش، المرجع السابق، ص 82 سرور، المرجع السابق، ص 27.

² معظم المصادر التاريخية ذكرت سنة (298هـ / 910م)، وهي السنة التي قام فيها عبيد الله المهدي بقتل الداعي أبو عبد الله الشيعي وأخيه أبو العباس ينظر ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 461؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 192؛ يضيف بقوله: « وأمر بدفنهما في بستان القصر المقريري اتعاط الحنفا، ج 1، ص 68؛ يذكر أنه: صلى عليه وقال: رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك، ابن أبي دينار المصدر السابق، ص 53؛ ابن خلدون المصدر السابق، ج 4، ص 48

³ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 192.

⁴ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53.

⁵ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 192 المقريري اتعاط الحنفا، ج 1، ص 70؛ ابن خلدون، المصدر السابق ج 4، ص 49؛ أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدوادري، كنز الدرر وجامع الغرر الدرّة المضية في أخبار الدولة الفاطمية تحقيق: صلاح الدين المنجد، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة - مصر 1961م، ج 1، ص 108؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53.

⁶ سعدون المرجع السابق، ص 229.

⁷ النقي، المرجع السابق، ص 179؛ سرور، المرجع السابق، ص 29.

⁸ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 191؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53؛ ابن خلدون، المصدر السابق ج 4، ص 150 طقوش، المرجع السابق، ص 111.

⁹ مطماطة مدينة قريبة من مدينة فاس بالمغرب، على نهر ملوية، وهي مدينة كبيرة وكثيرة الزرع، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 543

¹⁰ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 50-51 عن (تأسيس مدينة المسيلة سوف نتطرق للمدينة بالتفصيل في العنصر الموالي)

الفصل التمهيدي

وفي سنة (322هـ/934م)¹ توفي عبيد الله المهدي وكان عمره ثلاث وستين سنة، بعد أن وسع سلطانه في بلاد المغرب²، ودام حكمه أربع وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما حسب ابن الأبار³، وقد كان يتولى الأمور بنفسه وليس له وزير ولا حاجب⁴.

ب- ولاية محمد القائم بأمر الله : (322هـ - 334هـ / 934-946م)

كنيته أبو القاسم بن عبيد الله المهدي⁵، ولد بسلمية بالشام سنة (277هـ/891م)⁶ تولى الخلافة بعد وفاة عبيد الله المهدي سنة (322هـ / 934م)⁷، فقام مقام أبيه واتبع سيرته.

وشهدت بلاد المغرب في عهد أبي القاسم قيام عدة ثورات من بينها خروج ابن طالوت في ناحية طرابلس فحاصرها، فأرسل أبو القاسم جيشا وقتله⁸، لأن الأوضاع تدهورت في بلاد المغرب الأقصى بعد عبيد الله المهدي وتقلص النفوذ الفاطمي في تلك النواحي إلى حد كبير نتيجة خروج موسى بن أبي العافية عن طاعة الفاطميين⁹، فبعث إليه أبو القاسم القائد ميسور الفتى على رأس حملة عسكرية لاسترجاع سلطة الفاطميين على المغرب الأقصى، فلما وصلت الجيوش الفاطمية إلى مدينة فاس¹⁰ حاصرتها فاستسلمت المدينة في آخر الأمر، وتمكنت الجيوش الفاطمية من إخضاع المنطقة وطرد موسى بن أبي العافية وأخذ ابنه أسيراً.

¹ ذكرت العديد من المصادر التاريخية السنة التي توفي فيها عبيد الله المهدي ينظر: ابن أبي دينار المصدر السابق ص 153 ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 206؛ ابن حماد المصدر السابق، ص 26، حيث يذكر سبب وفاة عبيد الله المهدي بقوله: وكانت وفاته من دواء سقاه إياه ابن الجزائر... لنفوس كان يشكوه؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 173 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 99؛ ابن الأبار المصدر السابق، ج 2، ص 192؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 47

² النوادري المصدر السابق، ص 207؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 199 ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 47.

³ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 192 المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 73؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 99؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 119

⁴ النوادري، المصدر السابق، ص 207.

⁵ ابن حماد المصدر السابق، ص 129 النوادري، المصدر السابق، ص 110، يذكر أن أبو القاسم «كن اسمه بسلمية عبد الرحمان، فلما صار بالمغرب مع أبيه تسمى محمدا»

⁶ المقرئزي اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74، يذكر أن سنة ولاية في (280هـ / 893م)؛ النوادري، المصدر السابق، ص 110.

⁷ ذكرت العديد من المصادر التاريخية السنة التي تولى فيها أبو القاسم الخلافة بعد وفاة والده عبيد الله المهدي الذي عهد له بالخلافة من بعده ينظر ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 48 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص 29؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53؛ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 208؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 99 المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74.

⁸ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51، يذكر أن ابن طالوت: «زعم أنه ابن المهدي وحاصر طرابلس؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 99؛ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 209.

⁹ فاس: مدينة مشهورة كبيرة في المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر بها عيون وأودية، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 230

¹⁰ الدشراوي، المرجع السابق، ص 242-243.

الفصل التمهيدي

وقد عرفت فترة حكم أبو القاسم فتوحات عظيمة في مدائن الروم بصقلية، كما وجه أسطولا بحريا قويا إلى جنوة¹ وافتتحها²، وفي سنة (323هـ / 935م) وجه حملة عسكرية لفتح مصر، فدخل الإسكندرية إلا أنه مرة أخرى لقي مواجهة من قبل الإخشيد فهزمهم، فانسحبت الجيوش الفاطمية إلى برقة³.

ولقد عرف عهد أبو القاسم عبيد الله خروج أبي يزيد بن مخلد بن كداد⁴، ففي سنة (332هـ / 944م)⁵ اشتدت شوكته وكثر أتباعه⁶، فقد استولى على مدن عديدة في بلاد المغرب، فذكر ابن الخطيب أنه: «استولى على البلاد واستباحها وفتح القيروان وسواها»⁷، مما دفع أبو القاسم إلى الاعتصام منه بالمهدية وهذا ما أكده ابن عذاري بقوله: «... وفي سنة 332هـ اشتد أمر أبي يزيد بأفريقية حتى فر أمامه أبو القاسم الشيعي إلى المهدية من رقادة»⁸.

وأخذت المهدية تستعد الحصار طويل فما كان على أبو القاسم سوى حماية المدينة ببناء الحصون وحفر الخنادق من حوله⁹، ووجه رسائل إلى القبائل البربرية الكتامية والصنهاجية يطلب منهم المساعدة لفك الحصار على المهدية¹⁰، واستمر أبو القاسم في خطته الدفاعية لإنهاك قوة عدوه وذلك بالقيام بتحركات محدودة لتأمين طرق المواصلات المؤدية إلى المهدية وتأمين الحماية القوافل التموين التي تمر على المدينة¹¹، في الوقت

¹ جنوة مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الشام، وهي مدينة قديمة البناء حسنة الجهات بها عدد كبير من السكان وكثيرة المزارع والعمارات أهلها يمارسون التجارة ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 173.

² ابن الخطيب المصدر السابق، ص 153 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 53؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 209، يذكر: أن الأسطول البحري كان بقيادة يعقوب بن إسحاق المقرئ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74، ويقول أن أبو القاسم في هذه الحملة: «سبى وغنم في بلدة جنوة؛ أما ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 52، يذكر أن الجيوش الفاطمية عند فتحهم لجنوة... مروا بسردانية من جزر الفرنج فأثخنوا فيها، ثم مروا بقرقيسا من سواحل الشام فأحرقوا مراكبهم».

³ المقرئ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 74؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 52؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 209، يذكر أن الحملة إلى مصر كانت بقيادة: «زيدان وبعث معه عامرا المجنون، وأبا زرارة وجماعة من عساكر برقة الذين بها من كتامة».

⁴ يزيد بن مخلد بن كداد هو من أصل زناتي صار على المذهب النكاري الخارجي، خرج على الدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي عرف بصاحب الحمار، ينظر: المقرئ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 85؛ ابن خلدون، المصدر السابق ج 7، ص 18؛ ابن أبي دينار المصدر السابق، ص 55 (سوف يتم تعريفه بالتفصيل في العنصر الموالي ثورة أبي يزيد)

⁵ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 189 ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 216.

⁶ المقرئ اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 175 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 189؛ ابن الخطيب، المصدر السابق ص 53

⁷ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 153 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 189، يقول أن أبو يزيد: «زحف على بلاد القائم وحاصر باغية وهزم الجيوش الكثيرة عليها ثم حاصر قسطنطينية... وفتح تبسة... ومجانة... ودخل مرجنة... ثم أنه هزم كتامة وأنفذ طائفة من عساكره إلى سيبية وفتحها... وسار للأريس وفتحها»

⁸ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 216.

⁹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 56، يذكر: «وبلغت هزيمة ميسور إلى القائم بالمهدية فاستعد للحصار، وأمر بحفر الخنادق» ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 56.

¹⁰ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 56؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 53، وعن طلب أبو القاسم المساعدة من القبائل البربرية يقول: «بعث القائم إلى رؤساء كتامة والقبائل وإلى زيري بن مناد ملك صنهاجة بالمسير إلى المهدية فتأهبوا لذلك».

¹¹ طقوش، المرجع السابق، ص 126.

الفصل التمهيدي

الذي كان فيه أبو يزيد يواصل حصاره على المهديّة، توفي أبو القاسم عبيد الله المهدي في المهديّة سنة (334هـ / 946م) وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر، وعمره خمس وخمسون سنة¹.

ت - ولاية المنصور بالله إسماعيل : (334-341هـ / 946-953م)

هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بالله بن عبيد الله المهدي الملقب بالمنصور ولد بالمهديّة وقيل القيروان بالمغرب سنة (302هـ/915م)² تولى الخلافة بعد وفاة والده أبو القاسم سنة (334هـ/946م)، وعمره اثنان وثلاثون سنة³.

كما عرف المنصور بالخصال الحميدة، فقد كان حليماً ثاقب النظر، يمتاز بالفصاحة وشجاعة لا مثيل لها له القدرة على الارتجال⁴ وهذا ما ذكره ابن أبي دينار أنه كان: « يرتجل الخطبة »⁵ ، ويقود الجيوش بنفسه عينه والده أبو القاسم ولما للعهد منذ أن تولى الحكم ووفقاً للتعاليم الإسماعيلية وهو لم يتجاوز العشرين⁶، وكانت الدولة الفاطمية عند تولية المنصور الخلافة تمر بظروف صعبة نتيجة الضربات المتكررة من قبل أبي يزيد وأتباعه من البربر، حتى انحصر نفوذ الفاطميين في بلاد المغرب في المهديّة وباقي البلاد أصبحت تحت سيطرة أبي يزيد⁷.

ولما استوفى له الأمر جد في قتال أبي يزيد، فخرج في طلبه حسب ابن أبي دينار⁸، وسرعان ما قويت الجيوش الفاطمية بعد انضمام القبائل الصنهاجية إليها والتي من المؤكد كان لها تأثير بالغاً في سير الأحداث على حساب أبي يزيد الذي أصبح مضطراً إلى الاختباء لما لمسّه من قوة جيوش الفاطميين⁹.

¹ ذكرت العديد من المصادر التاريخية وفاة أبو القاسم عبيد الله المهدي ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص218؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص58؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص55؛ الدواداري، المصدر السابق ص110؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص32 المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص86؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص10

² هناك اختلاف بين المصادر التاريخية حول السنة التي ولد فيها المنصور حيث يذكر ابن عذاري ولد سنة (302هـ / 915م)، ينظر: ابن عذاري المصدر السابق، ج1، ص218؛ ابن حماد المصدر السابق، ص32، يقول أن المنصور: « ولد بالمهديّة سنة 299هـ وقيل 302هـ ؛ أما الدواداري، المصدر السابق، ص116، قال: «ولد بالمغرب سنة 301هـ وقيل 300هـ. »

³ كل المصادر التي بين أيدينا تتفق على أن المنصور تولى الخلافة سنة (334هـ / 946م)، ينظر: ابن عذاري المصدر السابق، ج1، ص218؛ ابن حماد المصدر السابق، ص32؛ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص54؛ المقرئزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص88؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص210؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص57-58

⁴ ابن عذاري المصدر السابق، ج1، ص218؛ المقرئزي اتعاظ الحنفا، ج1، ص188؛ الدشراوي، المرجع السابق ص274؛ طقوش، المرجع السابق، ص133.

⁵ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص58.

⁶ طقوش، المرجع السابق، ص134.

⁷ الدشراوي، المرجع السابق، ص276.

⁸ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص59.

⁹ الدشراوي، المرجع السابق، ص296.

الفصل التمهيدي

وبدأ المنصور في مطاردته وعجز أبي يزيد عن المقاومة مما أدى به إلى الفرار من مكان إلى آخر وكانت نهاية هذا الفرار أن انهزم وقتل وانتهى بذلك فصل من فصول ثورات الخوارج ضد الفاطميين في بلاد المغرب¹. وتتويجا لهذا الانتصار الكبير وتفاؤلا بالنصر على ثورة أبي يزيد الذي اكتسح بلاد المغرب ولم يكن بمقدور أحد أن يقف في وجهه قام المنصور ببناء مدينه له سنة (336هـ / 948م)، أطلق عليها اسم المنصورية² كما فعل أسلافه³ الفاطميون من قبل وجعل لها أربعة أبواب⁴ ثم رجع إلى المهديّة وأقام بها حتى اكتمل بناء المنصورية ورجع إلى قصره بها⁵ واتخذها حاضرة له وأصبحت مركزا تجاريا هاما⁶.

ورغم الانتصار الكبير الذي حققه المنصور على أبي يزيد والقضاء عليه في ضواحي مدينة المسيلة، لم يهدأ المغرب بل ازدادت الثورات في عهد المنصور، إذ بمجرد الفراغ من المعركة الأخيرة مع أبي يزيد بلغه نبأ. تواصلت انتصارات المنصور بفضل جيوشه القوية حنكته العسكرية واستنباقه للإحداث، ففي سنة (340هـ/951م) وبعد علمه بعزم ملك الروم التحرك نحو المهديّة بعث أسطولا بحريا كبيرا إلى صقلية⁷، إلا أن فرحته بالانتصار لم تدم طويلا، فقد توفي سنة (341هـ/952م) بعدما دامت خلافته سبع سنين⁸، ورغم قصر فترة حكمه للدولة الفاطمية مقارنة بالخلفاء الفاطميين الذين حكموا في بلاد المغرب.

ولاية المعز لدين الله : (341-365هـ/952-976م)

هو معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، كنيته أبو تميم معد لقب بالمعز لدين الله، ولد بالمهديّة سنة (319هـ / 931م)، ولما بلغ من العمر اثنان وعشرون سنة⁹ تمت مبايعته بالخلافة في عهد أبيه المنصور، وجددت له البيعة بعد وفاة أبيه سنة (341هـ / 952) عمل المعز لدين الله منذ توليه الحكم على القضاء على الاضطرابات، ففي سنة (342هـ / 953م) أرسل جيشا إلى جبل الأوراس¹¹ الذي كانت تسكنه

¹ ابن حماد المصدر السابق، ص 44؛ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 220 الغنيمي المرجع السابق، ج 3، ص 81؛ سرور، المرجع السابق، ص 31

² المنصورية يطلق عليها صبرة، وهي مدينة بالقرب من القيروان من نواحي إفريقية، وهي مدينة كبيرة بناها الخليفة الفاطمي المنصور إسماعيل سنة (337هـ / 949م)، وسماها المنصورية، تفاؤلا بانتصاره على أبي يزيد الخارجي، وعمرها

³ أسواقا واستوطنها وصارت منزلا للملك، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص 211؛ أما ابن عذاري فيذكر أن المنصور أسسها سنة (336هـ / 948م)، ينظر: ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 219

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 219.

⁵ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 59

⁶ الغنيمي، المرجع السابق، ج 3، ص 81 النقي، المرجع السابق، ص 182.

⁷ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 59

⁸ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 241؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 59؛ ابن خلدون، المصدر السابق ج 4، ص 58؛ ابن حماد المصدر السابق، ص 148 ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 219؛ الداوداري، المصدر السابق، ص 116.

⁹ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 221؛ ابن حماد المصدر السابق، ص 48؛ الداوداري، المصدر السابق، ص 119؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 58؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 243؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص 327.

¹⁰ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 160؛ الداوداري، المصدر السابق، ص 119؛ ابن الخطيب، المصدر السابق 48

¹¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 158؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 243؛ ابن حماد، المصدر السابق 48.

الفصل التمهيدي

قبائل بنو كملان ومليلة وبعض القبائل من هواره حسب ما أورده المقرئزي¹، وكانت هذه القبائل من أشد المساندين لثورة الخوارج وقد قاد المعز لدين الله الجيش بنفسه². كما استطاع القائد الفاطمي جوهر الصقلي³ إخضاع الثائرين على السلطة الفاطمية في بلاد المغرب كتيهت وفاس وسجلماسة وإرجاعهم إلى طاعة الفاطميين، وفرض سلطانهم على الأقاليم. وبطبيعة الحال كان عهد المعز لدين الله في المرحلة المغربية من أزهى عهود الخلافة الفاطمية، وحققت الدولة إنجازات كثيرة في عهده، حيث استطاع فتح مصر⁴ والتي كانت أمنية الفاطميين منذ أيام عبيد الله المهدي بعد أن استحال عليهم فتح الأندلس⁵، وذلك بفضل القائد جوهر الصقلي الذي دخل مصر سنة (358هـ / 969م) وفتحها وقام ببناء القاهرة⁶ بأمر من المعز لدين الله الفاطمي⁷، ثم عزم المعز الرحيل عن بلاد المغرب سنة (361هـ / 972م) والمسير إلى مصر⁸، واستخلف على إفريقية بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي⁹. وفي سنة (365هـ / 976م) توفي المعز لدين الله في مصر، وعمره خمس وأربعون سنة وقيل ستة وأربعون سنة¹⁰، وكانت خلافته ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر ومنها مقامه بمصر سنتان وتسعة أشهر، وبقيتها في بلاد المغرب¹¹، تولى الخلافة بعده ابنه أبي منصور نزار الملقب بالعزیز بالله¹².

ثالثا : قيام الدولة الحمادية:

¹ المقرئزي، اتعاظ الحلفاء، ج 1، ص 93؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 243.

² الدشراوي، المرجع السابق، ص 332.

³ جوهر الصقلي هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي، كان من موالى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ومن كبار قادته رحيل عن إفريقية سنة (358هـ / 969م)، وقام ببناء القاهرة وأرسل الجيوش إلى دمشق ومكث بمصر حتى وصل إليه المعز لدين الله الفاطمي، وفي سنة (364هـ / 975م) عزله المعز عن دواوين مصر وجباية الأموال، توفي سنة (381هـ / 991م) بمصر ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، مج 1، ص 375؛ ابن تغري بردي المصدر السابق، ج 4، ص 29.

⁴ الصالح مرمول، المرجع السابق، ص 203.

⁵ سالم، المرجع السابق، ج 1، ص 634.

⁶ القاهرة مدينة عظيمة بنيت على ضفاف نهر النيل في مصر، بناها جوهر الصقلي، فانتقل إليها المعز لدين الله سنة (362هـ / 973م) وأطلق عليها اسم القاهرة المعزية، وصارت عاصمة للدولة الفاطمية في مصر تضم العديد من المنشآت المعمارية، وفيها الأزهر الشريف ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 301.

⁷ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 309؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 62؛ ابن حماد، المصدر السابق 50.

⁸ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 228؛ المقرئزي اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 100؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 62.

⁹ بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي: هو بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من قبيلة صنهاجة تولى حكم بلاد المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر سنة (362هـ / 973م)، حيث استخلفه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على إفريقية والمغرب كله ماعدا طرابلس وأجدابية وبرقة وكناه أبا الفتوح، وسماه يوسف وهو مؤسس بني زيري في بلاد المغرب، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205-1206 ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 228؛ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 92؛ ابن الأثير المصدر السابق، ج 7، ص 333-334 ابن أبي دينار، المصدر السابق ص 74؛ ابن خلكان المصدر السابق، مج 1، ص 286.

¹⁰ ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 229؛ ابن حماد المصدر السابق، ص 54؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق 64.

¹¹ ابن حماد المصدر السابق، ص 155 ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 229؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق 65-64.

¹² العزيز بأمر الله هو نزار العزيز بالله ولد بالمهدية سنة (956/344م) وولى العهد سنة (365هـ / 976م) وهو في الثانية والعشرين من العمر، وستر وفاة والده المعز لدين الله كان غير سفاك للدماء محبا للصيد والخيل، حسن الخلق وأديبا وشاعرا، توفي سنة (386هـ / 996م) وله اثنتان وأربعون سنة، فكانت ولايته خمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وخمسة وعشرون يوما، ينظر: ابن حماد المصدر السابق، ص 55-156 المصدر نفسه، ص 57.

الفصل التمهيدي

تعتبر الدولة الحمادية من ابرز الدويلات التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي، وكان ظهورها إذانا بقيام كيان سياسي مستقل أدى دورا هاما في الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية في المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة، فقد شهدت فترة قيام الدولة الحمادية على الصعيد المحلي بداية الانفصال الفعلي عن الدولة الزييرية، ذلك أنها عرفت فترات من الصراع من أجل البقاء وإرساء دعائم ملكها ومشروعيتها وقيامها وانفصالها كدولة مستقلة بذاتها في المغرب الأوسط، إلى فترة البقاء والاستمرارية والتطور الحضاري وبناء عاصمة لملكها في إقليم الحضنة.

ولكن قبل الحديث عن التاريخ السياسي لقيام الدولة الحمادية، يجدر بنا التعرف عن مؤسس هذه الدولة حماد بن بلكين.

1- مؤسس حماد ونشأته:

قبل استعراض التاريخ السياسي والعسكري لقيام الدولة الحمادية في المغرب الأوسط عامة واقليم الحضنة خاصة يجب أن نتعرف على شخصية حماد بن بلكين ودوره في بناء القلعة وتأسيس الدولة الحمادية، وذلك من خلال التعرف على طبيعة هذا المؤسس قبل التأسيس، والتي أظهرته كقائد قوي يطمح إلى تحقيق النزعة الاستقلالية عن الدولة الزييرية¹.

(374هـ / 983م)²، كقائد قوي من قادة صنهاجة: يحمي أخاه المنصور وأبناءه، ويصد ثورات القبائل الزناتية التي تهدد استقرار الدولة الزييرية في المنطقة³.
أما من حيث النسب هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي من قبيلة صنهاجة، والتي كانت على قول ابن خلدون: « من أوفر قبائل البربر.

نشأ حماد في كنف الدولة الفاطمية حيث تربى في القصور مع أبناء الخلفاء والأمراء من الأسرة الحاكمة في بلاد المغرب، حيث كان أبوه بلكين وجده زيري الساعد الأيمن للدولة الفاطمية في بلاد المغرب⁴ فقد تلقى في قصر الخلافة الفاطمية جميع مقومات الشخصية الإسلامية، فانطوت شخصيته على مجموعة من الصفات المتميزة يرجعها البعض إلى المحيط الذي عاش فيه، أما البعض الآخر فيعدها إلى عامل الوراثة، فقد طبعت عليه ظروف حياته أن يكون رجل سياسة وحروب⁵.

¹ بن قرية، المرجع السابق، ص 75.

² المنصور بن بلكين هو المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، ولي الإمارة سنة (374هـ/985م) بعد وفاة والده بلكين، بمدينة أشير، كان كريما وسماحا، جوادا، صارما، توفي سنة (386هـ / 996م) ودفن بالمنصورية، دامت مدة حكمه اثني عشرة سنة، ينظر: ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 239؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 208

³ عويس، دولة بني حماد، ص 52؛ الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 268، حيث يذكر: أن المنصور استعان بحماد في قتال القبائل الزناتية وكسر شوكتهم التي كانت تهدد استقرار صنهاجة وتطمع في حكم بلاد المغرب، وذلك من خلال الحروب مع زناتة، فلمع اسم حماد كقائد عسكري ناجح كان يهدف إلى تحقيق أهداف الدولة الصنهاجية.

⁴ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 268.

⁵ عويس، دولة بني حماد، ص 51.

الفصل التمهيدي

وقد برز حماد على الساحة السياسية كرجل حرب بامتياز، في الفترة الممتدة من ولاية أخيه المنصور (374-386هـ/985-996م)، إلى غاية ولاية باديس بن المنصور (386 406 هـ / 996-1015م)¹، وقد تمكن حماد أن يبرز كشخصية قوية في خضم هذه الأحداث الحربية، واستطاع أن يفرض شخصيته عليهم، ويصبح الملاذ لحل مشاكلهم الداخلية والخارجية².

توفي حماد بن بلكين في شهر رجب سنة تسع عشر وأربعمائة (419هـ/1028م) فعندما خرج إلى تازمرت³ في ناحية القلعة منتزها، فمرض بها ومات، وحمل جثمانه إلى القلعة.

2- تأسيس مدينة القلعة :

لم تستطع الجيوش الزيرية التي أرسلها باديس بن المنصور بن بلكين لحرب القبائل مغراوة وبني يفرن⁴ بالمنطقة مما دفعه بالاستتجاد بعمه حماد بن الزناتة من القضاء على قوة .

بلكين لصد هذه حركات المعادية للسلطة الزيرية وإخمادها⁵، لكن هذا الأخير انتهاز الفرصة مستغلا في ذلك حاجة الدولة إليه ليتقدم بشروط تمكنه فيما بعد بالاستقلال بالمغرب الأوسط.

ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله : «.... وشرط له ولاية أشير والمغرب الأوسط، وكل بلد يفتحه..»⁶ بالإضافة إلى حرية اختيار مكان إقامته⁷، اعتبر حماد هذه الاتفاقية بمثابة الوثيقة الشرعية والاعتراف الضمني بقيام دولة بني حماد كدولة مستقلة معترف بها من قبل السلطات الزيرية في القيروان⁸ وبعدها سمح باديس بن المنصور لعمه حماد باختيار مقر إقامته الجديد⁹، فاستقر رأيه في نهاية الأمر على قلعة اسمها قلعة أبي طويل كما ذكرها البكري¹⁰ وصاحب الاستبصار الذي يصفها بقوله : « مدينة قلعة أبي طويل وهي قلعة حماد وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم »¹¹.

¹ باديس بن المنصور : هو باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، تولى الحكم سنة(386هـ / 996م) وتوفي سنة (406هـ / 1015م)، ينظر : ابن خلدون المصدر السابق، ج 6، ص 1209 ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 267

² عويس، دولة بني حماد، ص 47.

³ تازمرت هي نفسها تازملت الحالية التي تبعد ب 80 كيلومتر غربي بجاية قبل الوصول إلى بني منصور، وهذا نظرا للتقارب اللفظي للكلمتين، ينظر: روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 194.

⁴ بني يفرن هم بطن من بطون زناتة يتمركز وجودهم في إفريقية وجبل الأوراس والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 15-16.

⁵ ذكر ابن خلدون السنة التي جرت فيها الحرب بين حماد وزناتة بقوله : ودفعه لحرب زناتة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالمغرب الأوسط من مغراوة وبني يفرن ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227؛ الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 69؛ أبو زراق المرجع السابق، ص 64، يبين نوايا باديس من وراء استتجاده بعمه حماد بقوله : « للتخلص منه وحسدا له وخوفا منه لدهائه وشجاعته » الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 36

⁶ أبو رزاق، المرجع السابق، ص 164 الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 36.

⁷ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 226.

⁸ بن قرية، المرجع السابق، ص 83.

⁹ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 36.

¹⁰ البكري، المصدر السابق، ص 59

¹¹ الاستبصار، ص 167.

الفصل التمهيدي

وفعلا شرع حماد سنة (398هـ/1007م)¹ في تأسيس مدينته الجديدة التي سميت باسمه، وأصبحت منذ ذلك التاريخ تعرف باسم قلعة بني حماد، وكانت القلعة في موضع يحقق لمؤسسها أغراضه السياسية والعسكرية في المنطقة²، وما من شك في أن المزايا الإستراتيجية التي تمتع بها هذا الموقع هي التي لفتت إليه نظر حماد بن بلكين، بعدما استقر له الأمر في منطقة الزاب والحضنة، وأغرته ببناء القلعة لتقوم بالدور السياسي الذي قامت به أشير في عهدها الأول، قبل أن تأخذ القيروان كثيرا من نفوذها³، بنيت القلعة على منحدر وعرف فوق سفوح جبل تاقريست على الحدود الشمالية لسهول الحضنة، وعلى أرض مسطحة تشكل امتداداً لجبل تاقريست إلى سهول المسيلة⁴ وفي هذا يقول الإدريسي : وأعلى هذا الجبل متصل بسيط من الأرض منه ملكت القلعة «...»⁵.

وفي حقيقة الحال وفق حماد في اختيار موقع مدينته لتكون حصناً منيعاً وحاضرة لملكه المنتظر⁶، يقول صاحب الاستبصار : « وهي في جبل عظيم وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال، وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة، وهم كانوا ملوك إفريقية أيام بني عبيد »⁷ استقر حماد في القلعة بدلا من أشير لأنها تتيح له السيطرة على سهول الحضنة ومراقبة تحركات القبائل الزناتية الثائرة على الزيريين ورغم هذه الأهمية الإستراتيجية للمدينة الجديدة إلا أن حماد بن بلكين لم يهمل مدينة أشير العاصمة الأولى لصنهاجة⁸. إن تأسيس مدينة القلعة وجعلها عاصمة للدولة الحمادية فيما بعد الحق ضربة موجعة بالمسيلة التي أخلت من سكانها، الذين رحلوا لتعمير القلعة ودمرت ديارهم حتى لا يكون لهم أمل في العودة إليها⁹، وهذا ما يدعمه قول ابن خلدون ونقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخربهما¹⁰ .

¹ بالنسبة للسنة التي شرع فيها حماد في بناء القلعة، فالمصادر التاريخية تتفق على أن ذلك كان سنة (398هـ/1007م) أمثال ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227؛ باستثناء الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 390، الذي يقول أن مؤسس المدينة هو حماد بن بلكين : هو أول من أحدثها في حدود سنة 370هـ؛ في حين روجي إدريس لا يستبعد ذلك بقوله: ليس هناك ما يدعو لرفض هذا الإدعاء، ينظر: روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 98.

² بن قرية، المرجع السابق، ص 83.

³ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 121.

⁴ بوروية، المرجع السابق، ص 20 جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 189؛ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 119-120.

⁵ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

⁶ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 98.

⁷ الاستبصار، ص 167؛ وقد وصف البكري حصانة القلعة بقوله: « وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة»، ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 49.

⁸ بوروية، المرجع السابق، ص 20؛ بن قرية، المرجع السابق، ص 84.

⁹ Maissere, op.cit, p18.

¹⁰ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227.



الفصل اول: إقليم الحضنة
في عهد الدولة الفاطمية



أولاً- تأسيس الفاطميين لمدينة المسيلة

يلاحظ المنتبع لتاريخ المغرب الأوسط أن ظهور الدولة الفاطمية وبعدها الزيرية والحمادية كان له أثر كبير في إنشاء العديد من المدن في بلاد المغرب في هذه الفترة كأشير والمسيلة، وقلعة بني حماد وبجاية، وهي تمثل المستوى التطبيقي للفكر الإسلامي في ميدان العمران¹، كل هذه المعطيات جعلت المدن تختلف وتتنوع باختلاف وظائفها وظروف إنشائها ومواقعها ومواضعها².

1- ظروف تأسيس المسيلة:

لقد ارتبط تأسيس العديد من المدن في بلاد المغرب الإسلامي بأساطير وروايات من أجل إعطاء قدسية معينة حول هذه المدينة أو تلك، لكن ذلك قد لا يؤيده الواقع، خاصة وأن هذه الأساطير تحاول أن ترسم نوعاً من اللاواقعية، إلا أن الأسطورة تبقى موروثاً شعبياً تحاول تفسير قضايا معينة ضمن سياق غير واقعي في أغلب الأحيان³.

وحول تأسيس مدينة المسيلة عثرنا على العديد من الروايات التي مازلت تتداول إلى يومنا هذا بين سكان المنطقة في تفسيرهم سبب تأسيس وتسمية المدينة، ومن ضمن تلك الروايات نجد:

- **الرواية الأولى:** تنص على وفود شخصية دينية مرموقة أو ما تعرف بالوالي الصالح من المغرب الأقصى، وهو صاحب إلهام روجي ورباني وكان ينوي بناء مسجد في الموقع الذي تقف عنده جماله، وهذا الموقع الذي حل به هذا الرجل الرباني أصبح بعد تأسيس المسجد نواة المدينة الجديدة، وقد لقب بين أهالي المنطقة "بوجملين"، والمسجد مازال إلى يومنا هذا⁴.

- **الرواية الثانية:** وتدور حول قدوم شخص من خيبر بالحجاز شخص يدعى "تليس" حيث استقر على الضفة اليسرى من وادي القصب والذي يعرف بوادي سهر سابقاً وبني له ولمرافقيه بعض المباني التي أحاطت بها فيما بعد مساكن وتجمعات أخرى، وخلال الهجمات التي قام بها الخوارج، هدمت المباني وصارت خربة، اشتقت منها اسم "خربة التليس" وهو الحي الذي يقع على الضفة اليسرى لواد القصب حالياً جنوب القنطرة الرابطة بين الضفة الغربية والشرقية لمدينة المسيلة⁵.

وهناك روايات أخرى ارتبطت باسم مدينة "المسيلة"، في صياغة بعض الأقوال المتوارثة لدى سكان المدينة، ترجع تسمية المدينة إلى كلمة المسيل أو مدينة المياه السائلة وهذه التسمية مرتبطة بتعدد المجاري المائية التي

¹ بوطارن مبارك وآخرون الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، د.ت. ط)، ص ص 79-80

² محمد عبد الستار عثمان المدينة الإسلامية عالم المعرفة، الكويت، 1988م، ص 96.

³ غنية عباسي، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط، دراسة مونوغرافية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية الآداب والحضارة الإسلامية قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، فسنطينة، 2011-2012م ص 17

⁴ وبخصوص هذه الرواية ينظر : Maïessera, op.cit, p . 103

⁵ صالح يوسف بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، ط1، منشورات حضارة الجزائر، 2009م، ص 11، يذكر أن هذه الرواية لم تحدد تاريخ الثورة الخارجية التي تم فيها تهديم المدينة، هل هي قبل سنة (122هـ/740م) أو التي قام بها أبو يزيد صاحب الحمار والتي ضربت فيها الجهة الشرقية من بلاد المغرب.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

تتوفر عليها المنطقة منذ عصور قديمة، والدليل على ذلك وجود بقايا آثار قديمة تعود إلى الفترة الرومانية تمثلت في قنوات المياه والسدود والأحواض لسقى الأراضي الزراعية أو تزويد المنطقة بمياه الشرب مثل وادي القصب ووادي لقمان ووادي اللحم¹، فنجد (Maïessera) مثلا يذكر بأن تسمية المدينة لها علاقة وطيدة بطبوغرافية موقعها، وذلك لقربها من مسيل الماء.²

وهذه الروايات مختلفة فيما بينها، إلا أن جلها ترجع تأسيس مدينة المسيلة إلى القرن السابع ميلادي، ولا شك بأن التقارب اللغوي الذي فرضته هذه التسمية هو الذي دفع سكان المدينة إلى تداول مثل هذه الأساطير والروايات والتي لا نرى فيها تطابقا لفظيا كليا³، وفي الحقيقة فإن الروايات التي ارتبطت بتأسيس مدينة المسيلة لا تعتمد إلى نصوص تاريخية محددة وواضحة، بل هي مجرد روايات تداولها سكان المنطقة حاولت في أغلبها أن تربط بين الدلالات اللفظية وتسمية المدينة ويمكن القول أن بعد عام (296 هـ / 909م) ظهر عبيد الله المهدي الفاطمي بالمغرب الأوسط كشخصية على رأس سلطة سياسية ودينية، وكخصم قوي للإمامة الإباضية في بلاد المغرب التي تحكم تيهرت والمجالات الإباضية ساهم وبشكل كبير في ظهور عدة مدن في المنطقة⁴. ومن الواضح أن بوادر عداء زناتة للدعوة الإسماعيلية ظهرت منذ أن قام الداعي أبو عبيد الله في إيكجان، واشتد هذا العداء بعد إسقاط الإمارة الأغلبية، وحدث أن أرسل أبو عبد الله الداعي وفدا إلى سجلماسة في مهمة إلى عبيد الله المهدي وهذا ما تم ذكره سابقا، لكن أعضاء الوفد لقوا مصرعهم في طبنة، وعلى يد جماعة من رجال زناتة، وقد اشتدت حركة المقاومة الزناتية للوجود الفاطمي بعد استيلاء الداعي على رقادة ثم دخوله تيهرت، وذلك

نظرا لوقوع المدينة في قلب مضاربهم⁵.

ومن هنا نستطيع القول أن العداوة بين الطرفين كانت هي بؤرة الصراع في سير الأحداث التاريخية في بلاد المغرب عامة والحضنة والمسيلة خاصة⁶، فالسياسة التي اعتمدها الدولة الفاطمية لإنجاح مشاريعها ومخططاتها في بلاد المغرب وفتوحاتها وتوسعاتها في المشرق، أحدثت نوع من القطيعة المذهبية والسياسية بينها وبين القبائل البربرية، ففي حدود سنة (311هـ/924م) تصدت قبيلة مغراوة⁷ من القبائل الزناتية للسلطة الفاطمية، وألحقت الهزيمة بجيش عبيد الله المهدي، وقد زعزعت هذه الأحداث المغرب كله حسب ابن خلدون⁸، وقد وجد

¹ هذه الرواية متداولة عند مشايخ ومتقفي المدينة، أن تأسيس المدينة قرب مصدر المياه (واد القصب) بموقع يقع في مسيل الماء " لهذا أطلق عليه اسم المسيلة، ينظر : Feraud, op.cit, p 327 ؛ بيرم كمال، حول اسم ونشأة مدينة المسيلة: مساهمة تاريخية، مجلة الآثار، المجلد 01، العدد 01، ص 138.

² Majessera, op.cit, p 09

³ عباسي، المرجع السابق، ص 18.

⁴ Maïessera, op.cit., p 04

⁵ طقوش، المرجع السابق، ص ص 88-89

⁶ بن قرية، المرجع السابق، ص 12.

⁷ مغراوة: هم بطن من بطون زناتة وهم قوم رحالة يتمركزون بين المسيلة وتيهرت ينظر: الإدريسي، المصدر السابق ص 158

⁸ Maïessera, op.cit, p 05؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

الخليفة الفاطمي نفسه مجبرا على إرسال ابنه أبي القاسم إلى جبال سالات حيث تتواجد قبيلة بني برزال، فعاد الاستقرار بالمنطقة ثم رجع أبي القاسم بن عبيد الله المهدي أدراجه نحو الحضنة ليؤسس في طريق العودة مدينة المسيلة¹.

2- ظروف تأسيس مدينة المسيلة :

إن القبائل الزناتية وعلى رأسها قبيلة مغراوة بقيادة محمد بن خزر، والقبائل البربرية الأخرى المستقرة بالمغرب الأوسط أو بمجالات الحضنة ذات الميول الخارجي الإباضي أصبحت تشكل خطرا كبيرا على النفوذ الفاطمي في المنطقة، فكان على عبيد الله المهدي من إرسال حملة عسكرية بقيادة ولي عهده أبو القاسم للقضاء على هذه التمردات، وتتفق المصادر التاريخية على الظروف التي تم فيها تأسيس مدينة المسيلة ويجمعون على أن هذا التأسيس تم في طريق عودة أبي القاسم عبيد الله بعد إخضاعه للقبائل البربرية في المغرب الأقصى². وقد قدم لنا الداعي إدريس تفاصيل كثيرة ومهمة عن هذه الحملة، وقد أورد أن أبا القاسم بعدما جهز جيشا كبيرا وحاشدا ، وبدأ زحفه نحو المغرب في يوم الخميس من شهر صفر سنة (315هـ / 928م)³، وهذا ما ذكره كذلك ابن الأثير بقوله : «... وسير المهدي العلوي صاحب إفريقية ابنه أبا القاسم من المهديّة إلى المغرب في جيش كبير في صفر، بسبب محمد بن خزر الزناتي ... أنه ظفر بعسكر كتامة فقتل منهم خلقا كثيرا فعظم ذلك على المهدي فسير ولده ... وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت...»⁴، وأيضا ابن عذارى بقوله: « في سنة (315هـ / 928م) خرج أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي من المهديّة يريد المغرب... من صفر وكان طريقه على القيروان، ثم نزل الأربس، فأقام بها أياما حتى اجتمعت إليه العساكر، سار إلى باغية ثم إلى كتامة وتقدم إلى جبل فيه بني برزال »⁵.

ويضيف Maïessera أن السياسة الفاطمية المتمثلة في فرض الضرائب على السكان لفائدة حروبهم ضد الإباضية، أضرت بالسكان اقتصاديا وهذا ما أدى إلى قيام الثورات ضدهم.

تفاصيل أكثر عن سياسة الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي ينظر: الصالح مرمول المرجع السابق، ص 75.76

¹ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 05 Maïessera, op.cit, p 05 (183)

² ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 36؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 215 النويري، المصدر السابق ج 24، ص 60 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 50-51؛ الهادي روجي إدريس الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان (د.ت. ط)، ج 2، ص 42، وينكر كذلك أن الجيوش الفاطمية بعدما أحرزت عدة انتصارات على الأدارسة الذين تراجعوا في اتجاه المغرب الأوسط ومليلة، كما استطاعت مواجهة قبيلة مغراوة، وكان المغراويون ينتقلون تحت قيادة محمد بن خزر في جميع أنحاء المغرب الأوسط، وقد أعلنوا الثورة على الفاطميين وقتلوا مصالة بن حبوس، فغادر أبو القاسم المهديّة لتهدئة المغرب الأوسط وانتصر على المغراويين، ينظر كذلك: محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 1991م، ص 59

³ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 215-216.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 36.

⁵ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 191.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

إلا أن أبو القاسم استطاع القضاء عليها وفر محمد بن خرز في الصحاري، وفتح مزاتة ومطماطة وهوارة وسائر الإيباضية والصفيرية من نواحي تيهرت إلى ما وراءها¹، فلما رجع أبو القاسم من حملته وهو في طريقه إلى إفريقية خط برمحه في الأرض صفة مدينة وسماها المحمدية²، أي أن أبو القاسم خط برمحه في الأرض شكل بنائها وهو راكب على فرسه، وسماها المحمدية، وحسب ابن عذارى فإن أبا القاسم لما توجه إلى المغرب وجد مقاومة عنيفة عند جبل بني برزال ومنه توجه إلى الريف حيث تمكن من إعادة السيطرة الفاطمية على هذه المناطق، وبعد هذا الانتصار، عاد أبو القاسم إلى العاصمة سالكا الطريق الكبير الذي يمر على الهضاب العليا للحضنة، فأسس مدينة المسيلة³، أما ابن حماد يقول: «هدن أبو القاسم المغرب، وقضى منه المآرب وانصرف وفي الصرافة هذا مر بواد سهر فاخطت مدينة المسيلة ورسمها برمحه وهو راكب على فرسه»⁴.

3- الدوافع الفاطمية لبناء المدينة:

يمكن توضيح الدوافع الحقيقية التي جعلت أبي القاسم عبيد الله المهدي يقوم بتأسيس مدينة المسيلة بعد انتصاره في المغرب الأقصى على الزناتيين، هو تأمين الحدود القريبة ذلك أنه وهو في طريق العودة إلى المهديّة، أدرك أن القبائل الزناتية سوف تعود للثورة من جديد⁵، وسوف تستغل هذه الفجوة لمهاجمتها لأن الحدود الشمالية الغربية آمنة للحلف القوي بين الفاطميين، والكتاميين فعند قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب كان البربر من أنصارهم خاصة قبيلة كتامة، فأخذوا بيد الفاطميين، منذ قيامهم على أيام عبيد الله المهدي، فلما تأسست دولتهم اتخذ خلفاء الفاطميين بطانتهم منهم وجعلوهم من أهل الدولة⁶، كما أن الفاطميين لا يخشون شيئا من منطقة قسنطينة⁷، الشيء الذي جعل أبو القاسم يتأكد من أن الخطر الزناتي أتى عن طريق الحضنة ومسالك الصحراء⁸ وهي مواطن لتلك القبائل المتنقلة من مكان إلى آخرى.

في الحقيقة لا يمكن تحديد مواقع زناتة بنفس الدقة التي نحدد بها موقع قبائل صنهاجة مثلا، لأن زناتة غير مستقرة في مكان ما، بل هم رحالة ويحدث ذلك لأسباب عديدة إما بسبب الضعف، أو تجزئة السلطة السياسية والإدارة الناتجتين عن افتقار بلاد المغرب إلى الوحدة الجغرافية وإلى توزيع معقول لمختلف المناطق⁹.

¹ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 215-216؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 42.

² محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: عبد العزيز مطر، مراجعة عبد الستار أحمد فراج، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1994م، ج 8، ص 42 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 36؛ المقرئ، اتعاظ الحنفاء ج 1، ص 172؛ الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 65.

³ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 191.

⁴ ابن حماد، المصدر السابق، ص 24.

⁵ محمد الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، مجلة سيرتا معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، 1980م العدد 04، ص 29

⁶ جرجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ت. ط، ج 4، ص 234

⁷ قسنطينة مدينة تقع في الجهة الشرقية في المغرب الأوسط، وهي قلعة كبيرة جدا، وحصينة عالية، تحيطها المزارع والبساتين، وكانت في الماضي الغابر عاصمة نوميديا (سيرتا)، دخلها الإسلام في القرن الأول الهجري، وعرفت ازدهارا كبيرا في عهد الدولة الحمادية، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ص 4، ص 349.

⁸ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 76.

⁹ بن عميرة، المرجع السابق، ص 17-23

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

وبما أن سهول الحضنة من أهم المسالك المؤدية إلى إفريقية والمتغلب عليها يمكنه السيطرة على الطريق الرابط بين إفريقية وبقية بلاد المغرب¹، دفع أبو القاسم إلى بناء حاضرة عسكرية بإمكانها صد تمرد القبائل الزناتية على الدولة الفاطمية وحماية حدود الدولة من جهة الحضنة والصحراء.

وقد ذكرت المصادر الجغرافية بعض المسالك المؤدية إلى المسيلة، كابن حوقل الذي يذكر الطريق الرابط بين المسيلة وإفريقية مروراً بمقرة وطبنة وطريق آخر من القيروان إلى المسيلة يمر على بلاد كتامة والأريس²، أما الإدريسي فذكر الطريق الرابط بين المسيلة وتلمسان وهو الطريق الذي يؤدي إلى المغرب الأقصى³، وبذلك أصبحت المسيلة تحظى بمكانة مميزة في شبكة الطرق المؤدية إلى المغرب.

وبطبيعة الحال فإن تأسيس مدينة المسيلة واختيار موقعها، كان محل تفكير عميق من طرف مؤسسها أبو القاسم عبيد الله المهدي، فالظروف السياسية والعسكرية السائدة في تلك الفترة تتطلب منه التركيز أكثر والتمتع في الخطوات التي يخطوها لتحقيق هدفه في إخضاع القبائل البربرية المستقرة في منطقة الحضنة وضواحيها والمناطق الأخرى في بلاد المغرب الأوسط⁴.

ويبدو أن أبا القاسم توقع ازدياد خطر تلك القبائل البربرية على سلطانهم في بلاد المغرب، لذلك عمد إلى بنائها في وسط بعض بطون وفروع تلك القبائل، يقول الإدريسي في هذا الشأن: « ويسكنها من البربر بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته ومزاتة »⁵ والتي تسيطر على السهول الشمالية للمنطقة حتى واد القصب، بينما قبيلة عجيسة على جبال المعازيد⁶.

ومن الواضح أن بعد العاصمة المهدية عن المنطقة، صعب على الفاطميين التحكم فيها وفرض سلطتهم عليها، هذا ما دفع أبو القاسم إلى وضع أسس قاعدة مجالية جديدة في إقليم الحضنة مهمتها كذلك مراقبة مضارب زناتة وفروع البتر، وحماية النفوذ الفاطمي في المنطقة⁷.

وعند الشروع في تأسيس مدينة المسيلة، قام أبو القاسم بن عبيد الله المهدي بنقل بعض القبائل البربرية التي تسكن المنطقة من مكان بنائها إلى فحص القيروان لأنه كان يتوقع الخطر منها أكثر من غيرها⁸، وهذا ما أكده المقرئ بقوله: « وكانت خطة لبني كملان، فأخرجهم منها إلى فحص القيروان كالمتموقع منهم أمراً ، فلذلك

¹ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 76 ، يذكر بأن هذه السهول تضيق في الجهة الشمالية بين الجبال والشطوط

² ابن حوقل المصدر السابق، ص 86-87.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

⁴ عبد القادر قرمان مدينة المسيلة النشأة والتطور في العهد الإسلامي، دفاثر الملتقى المسيلة، 2009م، ص 33 (مداخلة غير منشورة)

⁵ وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية بطون وفروع هذه القبائل عند ذكرهم تأسيس مدينة المسيلة أمثال: الإدريسي المصدر السابق، ص 156؛ ابن

حوقل المصدر السابق، ص 85؛ البكري، المصدر السابق، ص 59 الحميري، المصدر السابق، ص 556.

⁶ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 76.

⁷ قرمان، المرجع السابق، ص 33.

⁸ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 151 النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 70 Maisserra, op.cit, p 08

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

أحب أن يكونوا قريباً منه، وهم كانوا أصحاب أبي يزيد الخارجي ...¹ وهي سياسة تهجير قصرية السكان التي اعتمد عليها الفاطميون في بعض الأحيان، إذا ما رأوا في ذلك مصلحة سياسية وعسكرية للدولة الفاطمية.² وعليه فإن سياسة الفاطميين في نقل القبائل البربرية إلى فحس القيروان كانت لتسهيل مراقبتهم والتحكم فيهم، بعدما لمس أبو القاسم العداوة الشديدة لهذه القبائل للفاطميين وبذلك لم يبق في المنطقة سوى قبيلة عجيصة، التي عمرت المدينة الجديدة بعد اكتمال بنائها.³

ثانياً - حكم الأسرة الحمدونية لإقليم الحضنة:

لقد عرفنا فيما سبق أن منطقة الحضنة عرفت عبر التاريخ تأسيس عدة مدن كبرى خضعت لحكم دول مختلفة، وأن المسيلة نفسها عرفت تعاقب أسر حكمتها مدة من الزمن منها الأسرة الحمدونية.

1- أصل بني حمدون ودخولهم إلى بلاد المغرب :

اختلفت المصادر التاريخية حول نسب بني حمدون، فإذا بكلام ابن حيان القرطبي فإن أصول هذه الأسرة تعود إلى جدهم حمدون بن سماك بن سعيد بن إبراهيم... بن أحمد بن عبد الحميد الجزامي⁴، في حين يرجع ابن خلدون والبكري وابن حماد نسبهم إلى حمدون بن السماك بن مسعود بن منصور الجذامي⁵ نسبة إلى قبيلة جذام اليمانية القحطانية⁶، وعرف بلقب ابن الأندلسية وجدهم الأكبر هو عبد الحميد وقد هاجرت عائلته من الشام إلى الأندلس⁷ ونزل بقرية ألبيرة⁸، من قرى قلعة يحصب⁹، ويذكر بعض المؤرخين أن دخول جدهم الأكبر

¹ المقرئزي، اتعاط الحنفا، ج 1، ص 72.

² صالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 29، حيث يذكر أن عبد الله المهدي، قد منع عامة الناس من السكنى في المهديّة، وخصص لهم ضاحية من ضواحيها هي زويلة، ومن ثم أصبحوا وكأنهم تحت الإقامة الجبرية، ففي النهار يقصدون المهديّة التي توجد بها دكاكينهم ومحلاتهم التجارية ليمارسوا بها مختلف أعمالهم، وبالليل يعودون إلى أسرهم بزويلة وقد قال له بعض المقرئين إليه، أن رعيتك في عناء فقال له: لكنني أنا في راحة لأنني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم، وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم، فأنا أمن غائلتهم بالليل والنهار، وبذلك يتجنب أي خطر يهدده ولو على حساب مصلحة الرعية.

³ الهوارية بطيب، المكانة الجيوسياسية التي شكلتها مدينة المسيلة الحمدونية في الإستراتيجية الفاطمية، دفاثر الملتقى، المسيلة، 2009م، ص 29. (مداخلة غير منشورة).

⁴ أبي مروان ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1965م، ص 33

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 107؛ البكري، المصدر السابق، ص 59؛ ابن حماد المصدر السابق، ص 24.

⁶ البكري، المصدر السابق، ص 59؛ ابن حيان المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص 33؛ ابن خلدون، المصدر السابق ج 4، ص 107؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص 85 اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

⁷ ابن حيان المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص 33؛ ابن عذارى المصدر السابق، ج 2، ص 242؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص 85، إلا أنه يطلق على قرية البيرة "بالمرية".

⁸ ألبيرة من بلاد الأندلس تقع شرق قرطبة بينها وبين غرناطة ستة أميال حولها أنهار كثيرة، نزلها جند دمشق من العرب وكثير من الموالي، فقد أسسها الإمام عبد الرحمان بن معاوية وأسكنها مواليه، ثم خالطهم العرب بعد ذلك ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 28.

⁹ يحصب هي قرية في البيرة بالأندلس كانت تعرف بقلعة بني سعيد، وعرفت بقلعة يحصب نسبة إلى يحصب من حمير، لكثرتهم في هذه القلعة، ينظر: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1997م، ج 1، ص 297.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

عبد الحميد إلى الأندلس كان مع الجنود الشامية¹ التي استقرت بإسبانيا²، ومن الملاحظ أن هذه الجيوش الشامية التي دخلت الأندلس كانت تضم عددا كبيرا من أفراد قبيلة جذام اليمينية، ومن المحتمل أن يكون عبد الحميد الجزامي من بينهم فيقول المقري: « وكثر أهل الشام ولم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد، وأنزل أهل دمشق ألبيرة لشبهها بها وسماها دمشق»³.

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن حفيده حمدون هو الذي انتقل إلى المغرب ونزل ببجاية فيقول ابن حيان: « ثم تنقل حفيده حمدون إلى بجاية، فنزل بواد بها ... فاستقر بها ونسله...»⁴، وصاحب الداعي عبد الله الشيعي ودخل في الشيعي على إفريقية وانتشر المذهب الشيعي في بلاد المغرب، ظهر علي بن حمدون⁵.

2- ولاية علي بن حمدون:

لما تولى عبيد الله المهدي حكم إفريقية، أصبح علي بن حمدون أحد المقربين إليه وزادت رتبته عنده، فقد كان يحمل الرسائل إلى دعاة الإسماعيلية في المشرق، بسبب ما كان يتميز به من فطنة ونكاه⁶، ويذكر ابن خلدون أن علي بن حمدون رافق عبيد الله المهدي في رحلته إلى سجلماسة⁷، وبذلك نجح في مهمته مما دفع عبيد الله المهدي إلى جعله مرافقا لولي عهده أبي القاسم، فقد صحبه في خروجه العسكرية للقضاء على ثورات البربر في المغرب⁸.

وبطبيعة الحال فإن الحملة العسكرية التي قادها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي إلى المغرب، كشفت عن الأهمية الإستراتيجية لإقليم الحضنة والخطر الذي قد يسببه عدم القدرة في التحكم في تلك القبائل البربرية التي تسكن المنطقة⁹، فتم تأسيس مدينة المسيلة لتكون الخط الدفاعي الأول في وجه القبائل البربرية التي قد تستهدف عاصمة الخلافة بالقيروان وبعد انتهاء عملية بناء المدينة ولى عليها علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي¹⁰،

¹ هذه الجيوش الشامية أرسلها الخليفة الأموي هشام بن عبد المالك إلى المغرب، للرد على الهزائم التي لحقت بالجيوش الأموية على يد بعض القبائل البربرية النائرة من ذوي النزعة الخارجية وكان ذلك سنة (123هـ/741م)، تفاصيل أكثر ينظر: ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 55-56 المقري المصدر السابق، ج 1، ص 236

² اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

³ المقري، المصدر السابق، ج 1، ص 237.

⁴ ابن حيان المقتبس في أخبار بلدة الأندلس، ص 33-34؛ ابن عذارى المصدر السابق، ج 2، ص 242 اليعلاوي المصدر السابق، ص 49؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص 85.

⁵ ابن عذارى المصدر السابق، ج 2، ص 1242 إلا أن فرحات الدشراوي يذكر أن عائلة بني حمدون كانت على المذهب الشيعي قبل دخولها إلى بلاد المغرب ينظر الدشراوي، المرجع السابق، ص 85

⁶ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلدة الأندلس، ص 34.

⁷ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 107.

⁸ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 215؛ ابن حيان المقتبس في أخبار بلدة الأندلس، ص 34؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 50؛ ابن عذارى المصدر السابق، ج 2، ص 242؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 72.

⁹ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 47.

¹⁰ لقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية والجغرافية ولاية علي بن حمدون على المسيلة أمثال: ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 215، يذكر وكان الأمير أبو القاسم بن عبيد الله أمر ببناء مدينة المسيلة سنة 313هـ، وجعل المتولي

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

فيقول البكري¹: « وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي »² وهذا ما نجده عند ابن حوقل : « هي مدينة محدثة، استحدثها علي بن الأندلسي أحد خدام آل عبيد الله وعبيدهم »³ ، أما ما سيرا (Maïessere) يذكر أن المدينة ولي عليها علي بن حمدون الجذامي والملقب بابن الأندلسي لأن أسرته هاجرت من مدينة دمشق إلى الأندلس وأقامت مع الدولة الأموية هناك⁴. ولقد كان علي بن حمدون مع أخيه محمد وأبيهما حمدون من قادة الدولة الفاطمية ودعاتها⁵، ويذكر ابن خلدون بأنه اتصل بالمهدي وأبي القاسم بالمشرق قبل نشأة الدعوة، وبعثوه من طرابلس إلى عبد الله الشيعي فأحسن اللقاء والانصراف، ولزمهم أيام اعتقاله بسجلماسة، وبقي في خدمة الفاطميين إلى أن اختط أبي القاسم مدينة المسيلة⁶.

ويبدو أن أبا القاسم اختار علي بن حمدون دون سواه لبناء مدينة المسيلة لأن علي بن حمدون لما خرج معه في حملته العسكرية إلى المغرب، اختبر خلالها إمكاناته، وذكاءه فوجده خادما مطيعا، وأهلا لتحمل المسؤولية⁷ ولأنه من صنائع دولتهم حسب ابن خلدون⁸، فكلفه ببنائها وجعله واليا عليها وعلى كامل إقليم الزاب⁹ الذي كان يمتد جنوبا إلى الواحات وغربا إلى حدود صنهاجة بأشير وشرقا إلى قسم من الأوراس¹⁰، انتقلت قاعدة الزاب من طبنة إلى المسيلة، وامتد عملها على الحضنة إلى حدود عمل باغاية شرقا، ويجاور وطن صنهاجة شمالا وغربا وبه من سكان زناتة كثير ، ومنهم في جنوب المسيلة بنو برزال أهل جبل سالات، وأنجب علي بن حمدون ابنين: جعفر ويحي نشأ ببلاط أبي القاسم بالمهدية وربيا مع أولاده وكانت أم جعفر قد أرضعت المعز لدين الله فصار أخوين بالرضاع¹¹.

ومن الواضح أن بنو حمدون شكلوا سدا منيعا أمام خطر تحركات بنو خزر الذين مثلوا أهم وأقوى حليف لبني أمية في المغرب، ففي سنة (317هـ / 930م) زحف أميرهم عبد الله بن خزر المحاصرة قاعدة الفاطميين المستحدثة (مدينة المسيلة) ، وقد تحاشى حاكمها علي بن حمدون مواجهه، نظرا لضخامة القوة المهاجمة،

¹ لبنائها ابن الأندلسي، واستعمله بعد ذلك عليها البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 59؛ الإدريسي، المصدر السابق ص 155؛ ابن حوقل المصدر

السابق، ص 58؛ الحميري، المصدر السابق، ص 558؛ ابن حماد المصدر السابق ص 24؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51.

² البكري، المصدر السابق، ص 59.

³ ابن حوقل المصدر السابق، ص 58.

⁴ Majessere, op.cit, p 09

⁵ اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4 ، ص 107.

⁷ الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص ص 28-29

⁸ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51.

⁹ بعد تأسيس المسيلة انتقلت العاصمة إليها بدلا من طبنة، ينظر: المصدر نفسه، ج 4، ص 107؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 47.

¹⁰ اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

¹¹ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 47، يقول: « وأرضعت أم جعفر الأمير معد الذي سيتولى الخلافة فيما بعد باسم المعز لدين الله » اليعلاوي

المرجع السابق، ص 49.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

فاعتصم بقلعة في جبل بالقرب من المسيلة، إلا أنه فشل في اقتحام أسوار المدينة ثم غير وجهته نحو تيهرت ومنع عنها الإمدادات والدعم¹.

وعند وفاة عبيد الله المهدي سنة (322هـ / 934م) توجه إلى المهديّة معزياً لأبي القاسم عن وفاة أبيه ومهنئاً له بالولاية، وأقام عنده شهور، حيث كان يقضي فترة ولايته بين تسيير شؤون إمارته بالمسيلة، وبين التنقل إلى المهديّة ليكون في خدمة أبي القاسم ومساندته، وكان في أثناء فترة غيابه يستخلف ابنه جعفر في حكم إقليم الزاب².

وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه في سنة (324هـ/936م) عانت بلاد الزاب من بعض القلاقل التي دفعت علي بن حمدون، إلى تخريب مدينة المسيلة، والظاهر³ أن هذا التخريب كان شكلياً فقد بقيت مدينة المسيلة مقراً لجعفر بن علي بن حمدون بعده⁴، لكن من المؤكد أنهم أخلطوا بين المسيلة ومدينة أدنة التي توجد بينها وبين المسيلة مرحلة وبينها وبين طنبه مرحلتان⁵، وقد أشار البكري أن علي بن حمدون خلال ولايته الإقليم الزاب، قام بتخريب مدينة أدنة القريبة من المسيلة سنة (324هـ / 936م) في أثناء رجوع ميسور الفتى من حملته العسكرية من المغرب الأقصى، مما تسبب في خلوها من السكان⁶.

ولما كانت ثورة أبي يزيد وأضرمت إفريقية نارا وفتنة حسب قول ابن خلدون، وكتب أبو القاسم إلى علي بن حمدون أن يجند قبائل البربر ويوافيه، فسار الجيش لفك الحصار على مدينة المهديّة، والتحمت قواته بابي يزيد ملحقة الهزيمة بهوارة، ومسيطرة على مدينة تيجيس وباغاية، فالتقى الجيشان مرة أخرى ناحية باجة⁷ بأبوب بن أبي يزيد واشتد القتال بينهما، فانهزم علي بن حمدون⁸، وقتل سنة (334هـ/946م) ولى ابنه جعفر بعد ذلك أعمال المسيلة والزاب⁹.

منه نستخلص أن علي بن حمدون حكم إقليم الزاب في عهد الدولة الفاطمية، واتخذ من مدينة المسيلة عاصمة لإمارته بعد قيامه ببنائها وتعميرها لتصبح حاجزاً لتقدم القبائل البربرية الزناتية، أما باقي القبائل البربرية الأخرى الثائرة في وجه الفاطميين فقد استطاع إخضاعها وجعلها في طاعة الفاطميين.

¹ ابن حيان، المقتبس، ج 5، ص 259

² ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص 34.

³ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 214 البكري، المصدر السابق، ص 144

⁴ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت. ط)، ج 3، ص 168

⁵ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 47.

⁶ البكري، المصدر السابق، ص 144؛ الحميري، المصدر السابق، ص 20.

⁷ باجة بلد كبيرة بإفريقية، أولية قديمة فيها آثار من البناء الأول، ولها حصن قديم مبني بالصخر وأقن بناؤه، تعرف بباجة القمح لكثرة حاطتها، بينها وبين تنس يومان، وهي على جبل يعرف بعين شمس لكثرة عيون الماء العذب بالمدينة فيها حمامات وفنادق وكثيرة الأمطار والأنهار، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 314؛ الحميري، المصدر السابق، ص 75.

⁸ عن دور المسيلة في فك الحصار عن المهديّة ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 107؛ رشيد بروية الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1977م، ص 11؛ شهاب المرجع السابق ص 127

⁹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108؛ الاستبصار، ص 172 اليعلاوي، المرجع السابق، ص 50؛ شهاب المرجع السابق، ص 127.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

تمكن علي بن حمدون أثناء فترة حكمه من تحقيق رغبات الخلفاء الفاطميين، وإظهار المستوى الرفيع في خدمة الخلافة الناشئة، حيث جعل من مدينة المسيلة مخزنا كبيرا للمؤن خزنت فيها الحبوب والزيوت والأنواع المختلفة من الأغذية، وتكفل باحتياجات الجيوش المتوجهة لإخماد الثورات بالمغرب الأوسط والأقصى¹، كل هذا أهله لأن يكون أحد أركانها المعتمدين في تنفيذ سياساتها فكانت ولايته على الزاب، والعهد إليه ببناء المدينة، بداية لمشواره السياسي²، وبلغت المدينة في عهده من الحضارة وال عمران ما جعلها قبلة للعلم والأدب، فقصدها أرباب الثقافة من كل الجهات، والفضل في ذلك إلى علي بن حمدون³.

3- ولاية جعفر بن علي بن حمدون:

تولى جعفر بن علي بن حمدون عمل المسيلة وما يليها من بلاد الزاب⁴ بمساعدة أخيه يحيى، بعد وفاة أبيه سنة (334هـ / 946م) وقد ذكرنا فيما سبق أنه سير شؤون الحكم في إقليم الزاب عند تواجد والده علي في المهديّة وقد ظهر منه استقلال وضلاعة ومهارة بخصال من الأدب والبراعة حسب ما ذكره ابن حيان⁵، حيث تميزت فترة حكم جعفر بن علي بالتعقيد نظرا للانتشار الواسع لثورة أبي يزيد في أماكن عديدة من بلاد المغرب بما فيها إقليم الزاب⁶.

ولعل أبرز حدث وقع لجعفر بن حمدون أثناء ولايته على المسيلة والزاب هو زحف أبي يزيد الخارجي على الإقليم والتحصن بجمال الحضنة القريبة من مدينة المسيلة وسط مؤيديه من قبائل البربر الخوارج⁷، مما جعل مدينة المسيلة قاعدة للعمليات العسكرية ومقر للخليفة الفاطمي المنصور وهذا ما سوف نلاحظه أثناء مطاردة المنصور لأبي يزيد.

والجدير بالذكر أن المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها لم تذكر لنا تفاصيل دقيقة عن الدور الذي قام به جعفر بن علي في ثورة أبي يزيد، بالنظر إلى الدور الذي لعبته أسرة بني حمدون في توطيد أركان الدولة الفاطمية، والدور الذي قامت به مدينة المسيلة كقاعدة عسكرية في إقليم الزاب، باستثناء بعض المؤرخين أمثال ابن حماد الذي يروي تفاصيل دقيقة عن الثورة، ويكتفي بذكر الكتاب الذي بعثه جعفر صاحب المسيلة إلى المنصور، يخبره فيه بالقبض عن رجل أدعى الإمامة وأثار فتنة سياسية ودينية في جبل الأوراس بقوله: « وسار إسماعيل... إلى طبنة، فأقام بها أيام كثيرة وورد عليه كتاب جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة

¹ ابن حماد، المصدر السابق، ص 24 25 بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص ص 87-88.

² شهاب المرجع السابق، ص 124.

³ محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 110.

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 215، ويضيف بقوله: « وصار أميراً على الزاب كله ».

⁵ ابن حيان المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ص 34-35.

⁶ في هذه الفترة بين (334هـ - 336هـ / 946-948م) استفحل أمر صاحب الحمار وكثر أتباعه من البربر وشملت ثورته أجزاء كبيرة من المغرب وهذا ما يأتي ذكره فيما بعد في ثورة أبي يزيد ودور المسيلة في إخمادها، ينظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 393؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص 58-59 ابن حماد المصدر السابق، ص ص 35 136 ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص ص 219-220؛ ابن خلدون المصدر السابق،

ج 4، ص ص 55-56؛ سالم المرجع السابق، ج 2، ص ص 229-230

⁷ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص ص 392-393

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

والزباب يخبر بمحبوس عنده ثار بجبل أوراس، واجتمعت عليه قبائل كثيرة من زواوة¹ وصنهاجة وعجيسة «...»² ، أما الداعي إدريس فقد ذكر مشاركة جعفر في جيش المنصور أثناء توجه أبو يزيد إلى جبال الحضنة بقوله : « وعباً عساكره فجعل في الميمنة جميلة ولهيصة من قبائل كتامة وجعفر بن علي صاحب المسيلة »³.

ونظرا لما أبداه علي بن حمدون من ولاء مطلق للخلافة الفاطمية، فقد حفظ الخليفة المنصور الفاطمي مكانته ودور عائلته بأن أورث أولاده جعفر ويحي حكم المسيلة واقليم الزاب⁴، ويذكر ابن خلدون أن هذا قد تم بعد القضاء على ثورة أبي يزيد بقوله : « ولما انقضت فتنة أبي يزيد عقد المنصور على المسيلة لجعفر بن علي بن حمدون وأنزله بها وأخاه يحيى، واستجدوا بها سلطان ودولة »⁵.

وبعد وفاة المنصور سنة (341هـ/952م) تولى بعده ابنه المعز لدين الله⁶ الحكم وكان جعفر بن علي رفيع المنزلة عند المعز فكانت علاقتهم قوية فوصلت المودة بينهما إلى إهداء المعز فرسه إلى جعفر⁷، ومن الراجح أن العلاقة بين الخليفة الفاطمي وعامل الزاب يرجع سببها إلى صلة القرابة التي تربطهما فهم أخوان من الرضاعة وقد نشأ وتربيا معا في بلاط الدولة الفاطمية⁸.

ومن الواضح أن المسيلة في عهد جعفر بن علي بن حمدون شهدت تقدما كبيرا في جميع الميادين، يذكر فقد ابن خلكان أنه : « كان سخيا كثير العطاء مؤثرا لأهل العلم »⁹ غرس فيه أبوه حب الثقافة والاعتناء بأهلها، فقصده العلماء والشعراء¹⁰، أمثال ابن هاني الأندلسي¹¹.

¹ زواوة: بلد بين إفريقية والمغرب، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 155.

² ابن حماد المصدر السابق، ص 36-37، ويضيف بقوله: ورجع من طينة، فأناه جعفر بن علي بن حمدون بهدية منها خمسة وعشرون فرسا ومثلها بخباء... وأناه بالثائر المنكور»، ذكر كذلك هذا الدور عند روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 53.

³ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 393.

⁴ شهاب المرجع السابق، ص 127.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108، وقد حددتها المصادر التاريخية سنة (336هـ / 948م).

⁶ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 511؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 58.

⁷ ابن حيان المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص 35.

⁸ أبي علي منصور العزبزي الجوزري، سيرة الأستاذ جوذر، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، (د.ت. ط)، ص 129

⁹ ابن خلكان المصدر السابق، مج 1، ص 360

¹⁰ الطمار، المرجع السابق، ص 110.

¹¹ فهاجر إلى بلاد المغرب، وقد سمع بجعفر بن علي وجوده، فقصده، فمدحه بقوله:

خلقت شهابا يضيء الخطوب ولست شهابا يضيء الظلم

تشيع فيكم لساني ومن تشيع في قوله لم يسلم

وقد خلد ابن هاني الأندلسي جعفر بقصائد كثيرة مثل:

خليلي أين الزاب منى وجعفر وجنات عدن بنت عنها وكوثر

خليلي ما الأيام إلا بجعفر وما الناس إلا جعفر ، دام جعفر

وله أيضا قوله:

والمشربات الديرات ثلاث الشمس والقمر المنير وجعفر

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

ويبدو أن ابن هاني استعذب الحياة في ذلك إقليم الحضنة وظل وفيما يشعره للأسرة الحمدونية¹، كما اهتم جعفر بالبناء والتعمير وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله : « أنه بني القصور والمنتزهات »²، بالإضافة إلى ما ورد في شعر ابن هاني الأندلسي، عندما يصف قصورها، خاصة القصر الذي بناه جعفر لابنه إبراهيم والذي لا نعرف موقعه بالضبط³.

لم يكتب للعلاقات الودية والثيقة بين المعز لدين الله وعامل المسيلة الدوام إذ سرعان ما تدهورت وساءت حتى انتهت بالطبيعة بينهما، فالنجاح الذي وصل إليه جعفر في إدارة إقليم الزاب جعله محل اتهامات كثير من منافسيه⁴، بالإضافة إلى عدم رضى المعز عن تصرفات جعفر والذي رفض دفع مبلغ معين لبيت المال، حسب ما ذهب إليه روجي إدريس حيث وجه جوذر رسالة إلى جعفر بن علي يطلب منه بذل المزيد من المال لإرضاء الخليفة الذي كان ناقما عليه، ووعده جعفر بأنه سيحاول تلبية هذا الطلب، وذكر له أنه وقع ضحية بعض الوشاة ربما يقصد به بلكين⁵.

بالرغم من نصيحة جوذر بقبول الاقتراحات المتعلقة باقتطاع ضرائب المسيلة والزاب الفائدة الخلافة، إلا أن جعفر أدرك كان الإقدام على هذا الأمر إنما يعني حرمانه من صلاحيته الجبائية وتمكينه من مرتب سنوي ثابت⁶، فجاء رده في رسالته إلى المعز بقوله: يا مولاي صلي الله عليك، هذا بلد كثير القول فيه تطاول المتقلبون إليه فالواجب عقده علي من طلبه، ولا يذهب مال مولانا خسارة، وفي على حسن نظره لجعفر ما يعيش به ويستمر بقية عمره «، للمعز النفقات التي ستنتف في أغراض أخرى، مضيفا أنه لا يستطيع أن يضيف إلى الفائض الذي كان يدفعه لبيت مال سوى مبلغ طفيف⁷.

ويبدو أن هذه المبررات التي قدمها جعفر بن علي في جوابه لم تقنع المعز لدين الله فقد خاطب خادمه جوذر حول هذا الأمر قائلا: « يا جوذر وقفنا على كتاب جعفر، والله ما أدري ما أقول في ذلك، لكن محلك من أنفسنا وموضعك من رضانا يمنعا أن نطوي عنك ما عندنا سرا وجهرا ... والبلد الذي هو به فوالله الذي لا إله إلا هو لقد بذل لنا فيه جماعة من الأولياء، والعبيد سبعين ألف دينار في السنة وأقل وأكثر ، فرفضنا أقوالهم ولم تغير نعمتنا

ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، مج 1، ص 360 - الطمار ، المرجع السابق، ص ص 110-112

¹ الطمار ، المرجع السابق ، ص 111 ، يذكر أن ابن هاني الأندلسي طاب له المقام بالزاب فيقول:

إنما الزاب جنة الخلد فيها من نداء غصارة التفريق

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108 والبكري، المصدر السابق، ص 59، يذكر أن للمدينة أسواق وحمامات.

³ البعلبلي، المرجع السابق، ص 56، يقول ابن هاني الأندلسي:

الكني إلى القصر المشيد تحية فقد حدث الركبان عنه فأكثروا.

⁴ المرجع نفسه، ص 50.

⁵ روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 66.

⁶ المرجع نفسه، ج 1، ص 66.

⁷ الجوزري، المصدر السابق، ص 129.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

عنده ضنا منا به وبأنه يفى بدون ذلك...»¹.

وقد وضع المعز لدين الله الفاطمي في رسالته أنه لن يسلط أي عقوبة عن جعفر بن حمدون ويبقيه على ولاية المسيلة والزاب بقوله : « وجعفر فقد علم الله رغبتنا في إصلاح أموره وإجرائها على السداد والبقاء النعمة عليه »، وذكر المعز في رسالته عن الأسباب التي جعلته يتعامل مع جعفر بليونته وصبر أولها من أجل جوندز والعلاقة التي تربطه بجعفر بن حمدون بصفته معلمه ومربيه بقوله : « من أجلك وأنه منسوب إليك »² ، والثانية كانت من أجل والده علي بن حمدون وما قدمه للدولة الفاطمية من خدمات ساهمت في تثبيت أركان الدولة الفاطمية في بلاد المغرب بقوله : « لأبيه وموضعه من رضاء مواليه »، والثالثة من أجل جعفر ومكانته في الدولة وكفاءته في إدارة وتسيير إقليم الزاب ودوره في حماية حدود الدولة الفاطمية من هجمات القبائل الزناتية بقوله : « لنفسه فقد أشدنا بذكره ورفعنا من رتبته وما عند ولينا وعدونا »³.

ورغم توتر العلاقات بين المعز لدين الله الفاطمي وجعفر بن حمدون إلا أنه فضل المسامحة والتحلي بالصبر⁴ من معه وهذا ما أكده قوله : « لكننا نؤثر الصبر ونحمل على أنفسنا من حيث لا نغير نعمة أنعمنا بها على أولياننا وعبيدنا، فلو طالبو أنفسهم لنا بمثل ما نطالب به أنفسنا لهم لكانوا السعداء في الدنيا والآخرة »⁵.

ويبدو أن زيري بن مناد الصنهاجي⁶ وابنه بلكين استغل الوضع المتوتر بين المعز وجعفر بن علي وحاولا تأليب الخليفة عليه لاتهامه، بميله إلى زناته وتشيعه للأمويين حيث يرجع روجي إدريس الخلاف بين بلكين وجعفر إلى الانتصارات التي أحرزها بلكين في عهد أبيه زيري بن مناد على الزناتيين ومطاردتهم حتى ضواحي المسيلة، وهذا التصرف لم يرض أمير الزاب والمسيلة جعفر بن علي بن حمدون⁷، ومع ذلك حاول الخليفة الفاطمي المعز أن يصلح بينهما، فاستدعى الطرفين إلى جلسة خاصة لفك النزاع بينهما⁸، وهذا يدل على أن الخلافات بينهما كانت خطيرة، والتي جعلت المعز يسعى بنفسه إلى إصلاح الأمور بينهما، فكانت المقابلة شديدة وصعبة مما جعله يتحلى بالصبر معهم، للحفاظ على صلاح الأحوال هذا ما صرح به إلى خادمه جوندز الذي عبر عن سروره بما انتهت إليه جلسة الصلح من حسم الخلاف بينهما⁹.

¹ المصدر نفسه، ص ص 129-130

² المصدر نفسه، ص 129

³ المصدر نفسه، ص 129

⁴ الدشراوي، المرجع السابق، ص 354.

⁵ الجوزري، المصدر السابق، ص 131.

⁶ زيري بن مناد الحميري الصنهاجي أول أمير صنهاجي بني مدينة أشير ، وحصلها أيام خروج أبي يزيد مخلد، أعطاه المنصور ولاية تيهرت وأعمالها، وكان حسن السيرة وكانت بينه وبين زناته حروب كثيرة، قتل سنة ستين وثلاثمائة في أيام المعز لدين الله ينظر النويري، المصدر السابق، ج 24، ص ص 87-91؛ ابن خلكان المصدر السابق، مج 2 ص 343؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 203-205

⁷ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص ص 64-65، ويضيف أن الأمويين كان لهم جواسيس في المسيلة، مثل ذلك الجاسوس المدعو عثمان بن أمين الذي لم يتخذ جعفر بن علي أي إجراء ضده في حين رشيد بوروية يرجع ذلك بأن جعفر كان يكره زيري بن مناد وابنه بلكين ولم يعنهما في محاربتهما لزناته بل لم يأخذ أي تدبير الإزالة دسائس أتباع الأمويين بالمسيلة، ينظر : بوروية، المرجع السابق، ص 511.

⁸ بوروية، المرجع السابق، ص 11؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 66.

⁹ الجوزري، المصدر السابق، ص ص 101-1102 روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 66

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

ومن الواضح أن الصلح لم يدم طويلا بين جعفر أمير الزاب وبين بني زيري إذ سرعان ما تحول إلى صراعات بين الطرفين، خاصة بعدما عزم المعز لدين الله الفاطمي الرحيل إلى مصر، فقد فكر فيمن سيخلفه في بلاد المغرب¹، وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه في البداية وقع اختيار المعز على جعفر بن علي ونظرا للشروط التي وضعها جعفر بن علي بن حمدون، غير المعز لدين الله وأيه وجعل بلكين بن زيري خليفة له في بلاد المغرب².

والملاحظ أن جعفر بن علي ليست له عصبية تحميه، وليس له وزن بين القبائل البربرية مثل كتامة وزناتة، وصنهاجة، بالإضافة إلى الجفاء الذي كان يسود العلاقة بين بني زيري وبني حمدون بحكم الجوار في الأعمال، والتنافس على السلطة³، في محاولة لتقرب من الخليفة الفاطمي والاجتهاد في خدمته من أجل توسيع في ولايتهما ويمنح لهما امتيازات أكبر⁴، هذا الضغط على بني حمدون دفعهم إلى إقامة تحالف وثيق مع زناتة حليفة الأمويين القوية في المغرب بالإضافة إلى توحيد إمكانياتهم في مواجهة صنهاجة ممثلة الفاطميين⁵، وبذلك ولاء جعفر بن حمدون للخلفاء الفاطميين لم يكن صافيا ولا ثابت بدليل تمرده في آخر أمره على المعز⁶ بمجرد تعيينه لبلكين بن زيري على أمر بلاد المغرب وقطع الدعوة وانضمامه إلى صفوف زناتة⁷.

وقد وصف النووي⁸ استقبال القبائل الزناتية لجعفر بن علي بقوله : « ولما وصل جعفر إلى زناتة، قبلوه أحسن قبول، وقدموه على أنفسهم، فبلغ الخبر زيري، فبادر بالخروج إلى جعفر »⁹ في عدد من صنهاجة فالتقى معه

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، ص 393؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 228

² سوف تذكر الشروط التي وضعها جعفر بن علي بالتفصيل في الفصل الثالث رحيل الفاطميين وقيام الدولة الزيرية)، ينظر المقرئ، الخطط المقرئية، ج 2، ص 32 بورويبة، المرجع السابق، ص 13

³ الفيلاي، العلاقات السياسية، ص 192 اليعلاوي، المرجع السابق، ص 50.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108؛ اليعلاوي، المرجع السابق، ص 50.

⁵ شهاب المرجع السابق، ص 131.

⁶ اليعلاوي، المرجع السابق، ص 50.

⁷ عن قطع جعفر بن حمدون للدعوة الفاطمية، ينظر : الدويري، المصدر السابق، ج 24، ص 91، حيث يرجع أسباب قطع الدعوة إلى أن المعز أمر ببناء دار ابن رياح، وهي المعروفة في القيروان بدار الإمارة، فشاعت عند الناس أنها بنيت الجعفر بن علي، وأنه يعطي ولاية إفريقية، وأن المغرب كله يعطي لزيري، فعظم ذلك على جعفر بن علي وأراد أن لا يكون

⁸ لأحد معه في المغرب ولاية، في حين يذكر ابن الأثير : « كان بينه وبين زيري محاسبة، فلما كثر تقدم زيري عند المعز لدين الله ساء ذلك جعفر، ففارق بلاده ولحق بزنانة »، ينظر : ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 334 مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوبايا، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م، ص 96؛ أما روجي إدريس فقد قيل أن جعفر كان طامعا في أن يكون الرئيس الأوحد لبلاد المغرب بأسرها، ينظر : روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 67؛ أما ابن أبي دینار فيرجع سبب قطع الدعوة : « لما عزم المعز الرحيل إلى الديار المصرية شاع بين الناس أن المعز يريد أن يستخلف يوسف بن زيري على جميع بلاد إفريقية، فعظم ذلك على جعفر بن الأندلسي ينظر : ابن أبي دینار المصدر السابق، ص 172 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108؛ بورويبة، المرجع السابق، ص 111 بن عميرة، المرجع السابق، ص 236

⁹ النووي، المصدر السابق، ج 24، ص 191 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 1334؛ ابن خلدون، المصدر السابق ج 4، ص 108؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 67.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

وكانت وقعة عظيمة¹ بين صنهاجة بقيادة زيري بن مناد وزناتة بقيادة الخير بن محمد²، ويذكر أن زيري بن مناد اطلع على رسائل، كان جعفر بن حمدون قد أرسلها إلى زناتة، تحتوي معلومات عن تحركات زيري ومواطن ضعفه فضلا عن ذلك فقد وجد عند محمد بن خزر فرسا لجعفر بن علي كان الخليفة قد منحه إياه فاستغل ابن زيري ذلك واتهمه بالخيانة، مما جعل المعز لدين الله يكتب بعزله عن ولاية المسيلة وإقليم الزاب³. وبطبيعة الحال فإن تحالف جعفر مع القبائل الزناتية، سينتج عنه ربط العلاقة مع الأمويين في الأندلس، حيث بعث جعفر بن علي أخاه يحيى بن علي، وبعض شيوخ زناتة إلى الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، بقرطبة يؤدون الطاعة باسمه ويؤكدون البيعة ويلتمسون العون والنصرة⁴، وكان من الطبيعي أن تحتضن زناتة حليفها، مدفوعة بعدة اعتبارات ولعل من أهمها أنه شريك جديد وقوة عسكرية لا يستهان بها مضافة إلى صف المعارضة للحكم الفاطمي، والأهم من ذلك أنها لا تغلق الطريق أمام القوى الأخرى الموالية للفاطميين إذا ما اختارت خيار آخر⁵، وهذا التحالف أثار مخاوف زيري بن مناد مما جعله يتعجل في مواجهتهم في معركة فاصلة، انتهت بمقتله سنة (360هـ/971م)⁶.

وبذلك أدرك الإمام المعز لدين الله الفاطمي انعكاسات ذلك على نفوذه السياسي والعسكري، بما يشكل خطرا ليس على الوجود الفاطمي في المغرب وإنما على أهدافه في المشرق كذلك، لذلك سارع إلى احتواء الموقف⁷ بتحريض من بلكين بن زيري هذا الأخير الذي حاول الثأر لأبيه فيذكر النويري أن المعز خرج في : « أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، فأوغل في ديار زناتة وقتل منهم في مواطن كثيرة خلقا لا يحصيهم إلا الله، واستولى على تاهرت والمسيلة وطبنة وباغاية، وبجاية وبسكرة وجميع المدن بالمغرب حتى لم يبق الزناتة شيء منها »⁸ ، وبذلك نجح في القضاء على قوة بني حمدون بالزاب مما أدى إلى هروب جعفر إلى الأندلس⁹. وذكرت العديد من المصادر التاريخية هروب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن مناد الصنهاجي، والتحاقه بالخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، والأسباب التي دفعته للهروب يقول ابن أبي دينار : « ولما علمت

¹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 173 الدويري، المصدر السابق، ج 24، ص 91.

² حدثت هذه المعركة في شهر رمضان حول أسوار تيهرت ينظر: ابن عذارى المصدر السابق، ج 2، ص 1343 بن عميرة، المرجع السابق، ص 237 الخير بن خزر هو أمير مغراوة من قبائل زناتة ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، من ص 33 إلى ص 38؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 179. (تم ذكرها في الهامش).

³ شهاب المرجع السابق، ص ص 131-132.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205؛ مفاخر البربر، ص 97؛ ويذكر الفيلاي بعض أسماء شيوخ زناتة أمثال: عبدون بن الخير بن محمد بن خزر، ومسعود بن عطية بن عبد الله بن خزر، مقاتل بن أبي خزرون بن أبي العزيز خزر الفيلاي، العلاقات السياسية، ص 194.

⁵ شهاب المرجع السابق، ص 132.

⁶ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 90.

⁷ شهاب، المرجع السابق، ص 132.

⁸ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 91 ، ويضيف أنه استولى على المغرب الأوسط، وطارد زناتة إلى ما وراء نهر ملوية بالمغرب الأقصى؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 205؛ ابن أبي دينار المصدر السابق، ص 73؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 237؛ روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 69 بن عميرة، المرجع السابق ص 237؛ الفيلاي، العلاقات السياسية، ص 197؛ بورويبة، المرجع السابق، ص 12

⁹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 334؛ ابن الأبار ، المصدر السابق، ج 1، ص 306.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

زناتة أن يوسف بن زيري يطالبهم بدم أبيه أضمرت الغدر الجعفر وعزموا على إمساكه فلما أحس بذلك فر إلى الأندلس»¹، أما النويري يذكر : « ثم أحس جعفر أن زناتة يريدون الغدر به وأنهم ندموا على قتل زيري، فاحتال لنفسه ودخل الأندلس »² ، وبذلك أكد جعفر عن انفصاله التام عن الفاطميين وانضمامه إلى القبائل الزناتية وبني أمية في الأندلس.

ويبدو أن هذه القطيعة أثرت بشكل كبير على الفاطميين، بسبب خسارة حليفين كبيرين لهما في بلاد المغرب، جعفر بن علي وزيري بن مناد الصنهاجي، كما كان لها تأثير مباشر على المعز لدين الله الفاطمي الذي قال : « النكبتان معا : فساد الأندلسي وخلعه، وهزيمة زيري وقتله، فاشتد ذلك عليه وأقلقه » حسب ما ذكره صاحب مفاخر البربر³ ، وبذلك تقلد بلكين أعمال أبيه في أشير وأضاف له مدينة تيهرت والمسيلة وإقليم الزاب، والأراضي التي سيتم فتحها على يده من بلاد زناتة وهذا ما أكده النويري بقوله : « فلما اتصل بالمعز لدين الله ما فعله يوسف بزنانة، أعجبه ذلك، وسر بقتلهم، فزاده على ما كان لأبيه، المسيلة وأعمالها التي كانت لجعفر»⁴. أما أثر القطيعة على جعفر بن علي، فقد تمثلت في الخسارة السياسية وذلك بزوال إمارة بني حمدون في المسيلة وإقليم الزاب، وضياح حلمهم في حكم إفريقية وبلاد المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، وبالمقابل كان رحيلهم مكسبا لخصومهم من بني زيري فقد أصبح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي خليفة للفاطميين في بلاد المغرب⁵.

وقد اختلفت المصادر التاريخية في سنة وفاة جعفر بن علي بن حمدون فيذكر ابن أبي دينار انه بقي في الأندلس : « ولم يزل هناك إلى أيام الوزير ابن أبي عامر، فقتله سنة سبع وستين وثلاثمائة، وبعث برأسه إلى بلكين »⁶.

ثالثا- تطور إقليم الحضنة في العهد الفاطمي:

لم يقتصر دور بني حمدون في المسيلة وإقليم الحضنة على تأمين حدود الدولة الفاطمية، وقمع تمرد القبائل البربرية الثائرة في وجه الدولة، بل دورهم تعدي الدور العسكري الذي تأسست من أجله المدينة، إذ قاموا بعدة إنجازات في مختلف الميادين منها سياسية وعسكرية واقتصادية وعلمية بالإضافة إلى إنجازات عمرانية كبناء المدن من بينها مدينة المسيلة، وكل هذه النشاطات التي قام بها الفاطميون في المنطقة كانت متأثرة بالسياسة

¹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 72.

² النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 91؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 7، ص 334؛ ابن الأبار، المصدر السابق ج 1، ص 306

³ مفاخر البربر، ص 97.

⁴ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 92؛ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 7، ص 334.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205.

⁶ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74؛ في حين ابن عذارى المصدر السابق، ج 2، ص 280، يذكر أنه: « في سنة 372هـ قتل جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي ؛ أما ابن خلكان يقول : « وهرب إلى الأندلس فقتل بها في سنة أربع وستين وثلاثمائة »، ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، مج 1، ص 360

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

العامّة للدولة، والظروف التي عرفتھا البلاد ومعظمھا أنشئت لخدمة أغراضھا السیاسية بالدرجة الأولى وتقوية نفوذھم في بلاد المغرب.

1- عسكريا :

بطبيعة الحال لقد تحكّم الهدف الاستراتيجي بالدرجة الأولى، ثم العامل الزمني في السیاسة التي سلكتھا الدولة الفاطمية في حكمھا لبلاد المغرب، ونتج عن هذه السیاسة التي طبقتها مشاكل كادت تعصف بالدولة، وأثرت على الأوضاع بها من جميع النواحي السیاسية والاقتصادية والاجتماعية، ويظهر ذلك من خلال تلون سیاسة الدولة بألوان شتى تتماشى مع الأوضاع وسعيا لتحقيق أهداف إستراتيجية¹.

وبالتالي فالسیاسة الفاطمية التي انتهجتها في بلاد المغرب قامت أساسا على أمل كسب أهل إفريقيا والمغرب الأوسط²، وسرعان ما أدرك الفاطميون استحالة ذلك نظرا لكثرة الثورات والحركات المعارضة للسلطة التي عملت على خنقها في مرحلة النشأة³، وهذا الأمر الذي أشار إليه سهيل طقوش توضيح الأوضاع التي كانت سائدة في البلاد أثناء حكم الفاطميون بقوله : أنه منذ تولي عبيد الله المهدي الحكم في بلاد المغرب رأى نفسه مضطرا للتصدي للثورات التي أثارتها القبائل البربرية الضاربة في المغرب وخاصة القبائل الزناتية ويبدو حسبه أن هذه الثورات كانت بدافع العصبية القبلية والروح الإقليمية، والتنافس بين زناتة وكتامة على زعامة بلاد المغرب⁴، مما دفع بالدولة الفاطمية إلى إقامة منشآت عسكرية تمثلت في جهاز دفاعي قوي في تخوم تلك المساحات الشاسعة التابعة لبلاد الزاب والخاضعة لسلطة القبائل الزناتية⁵.

لقد ذكرنا سابقا أولى النتائج المترتبة عن الحملة العسكرية التي قادها ولي العهد الفاطمي أبو القاسم عبيد الله إلى المغرب الأقصى لتصدي لهجمات القبائل الزناتية على الدولة الفاطمية، وبذلك إدراكه خطورة توغله بعيدا في وسط معاد له ومتناقض له في المذهب والفكر والموقف وليس وراءه أو قريبا منه ما يحمي ظهره أو يمدّه بأسباب القوة إذا ما اجتمعت عليه القوى المناوئة، فضلا عن قناعته بأن الولاء والطاعة للذات أنتزعتها بحد السيف لن يكتب لهم الدوام، طالما أنه سيعود بجيشه من حيث انطلق⁶، وإزاء هذا الحال من عدم الاستقرار، كان لا بد من التفكير في تأسيس القلاع والحصون للحماية، واستعدادا للطوارئ⁷، وبالتالي وجود قاعدة عسكرية متقدمة في هذا الوسط المخالف والمتعدد الولاء يعينه على التواجد الدائم للقوة الفاطمية في المنطقة ولهذا

¹ بوية مجاني، النظم الإدارية للخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية خلال العصر الفاطمي (296-909/4362-973م)، (الجزائر ليبيا - تونس -

المغرب)، ط1، دار بهاء الدين الجزائر، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2009-2010م

² مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج 1، ص 500.

³ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 91.

⁴ طقوش، المرجع السابق، ص 88.

⁵ الدشرابي، المرجع السابق، ص ص 515-516.

⁶ شهاب المرجع السابق، ص 125

⁷ اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

الغرض أنشئت مدينة المسيلة¹، فكانت كما ذكر ابن حماد: « ميرتهم وارتفاقهم بها، ولم تكن في تلك الجهات إذ ذاك مدينة غيرها»².

وبناء على ما سبق فإن الناظر في الظروف التي أدت إلى تأسيس مدينة المسيلة يدرك أنها بنيت لأغراض عسكرية إستراتيجية بالدرجة الأولى، وأن الفاطميين جعلوها قاعدة عسكرية للوقوف أمام الخطر الأموي الزناتي الآتي من المغرب الأوسط والأقصى والذي يهدد الإقليم، ونقطة مراقبة للطرق الصحراوية الممتدة غربي القيروان³، وفي الوقت ذاته يوفر لقوتهم الوقت ويجنبها عناء الرحلة الطويلة من قواعدها بالمهدية، إذا ما تطلب الظرف ذلك، ولعل اختيار موضع المدينة كاف لتفسير ما ذهبنا إليه إذ توسطت أراضي القبائل البربرية كقبيلة عجيسة وبني برزال وبني كملان من هواره والتي لا يؤتمن لها، لذا حرص أبو القاسم على الإسراع ببنائها وسط بطونهم⁴، وتحصينها وهذا ما ذكرته العديد من المصادر الجغرافية من بينهم البكري بقوله: « عليها سوران بينهما جدول ماء »⁵.

ويبدو أن بني حمدون كان حكمهم يتميز بنوع من الاستقلالية في تسيير شؤون إمارتهم في إقليم الزاب وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: « واستجدوا بها سلطانا ودولة... واستفحل بها ملكهم »⁶، وبذلك عمل علي بن حمدون على جعل المدينة تقوم بالدور المنوط بها، فأكثر فيها المخازن وملاها بالمؤن وجعلها بالوسائل الدفاعية بداخلها الكثير من الأسلحة والأدوات التي تعتمد عليها الجيوش الفاطمية في حروبها⁷، لتعزيز قوة جيوش التدخل العسكري عند مرورهم من الثغور، بالإضافة إلى توجيه الإمدادات إلى النواحي المهدة أو المدن المحاصرة، كما هو الحال عند حصار المهديّة من قبل أبي يزيد⁸، ويذكر ابن خلدون أن المدينة: « كانت مددا للمنصور في حصار صاحب الحمار»⁹.

وتعززت مكانة المسيلة في عهد الخليفة الفاطمي المنصور، حيث أدت المدينة دورا عسكريا هاما بتموين الجيوش الفاطمية أثناء ثورة أبي يزيد بن مخلد، وبفضل مخازن المؤن بالمدينة استطاع المنصور الفاطمي أن يتغلب على أزمة التموين أثناء ملاحقته لأبي يزيد سنة (336) هـ / 948 م¹⁰، هذا الأخير الذي حاول محاصرة المدينة إلا أن محاولته فشلت نظرا الحصانة المدينة ووفرة المؤنة بها¹¹، وقد أكد ابن خلدون الوظيفة

¹ شهاب المرجع السابق، ص 125

² ابن حماد المصدر السابق، ص 25

³ الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 29؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص 517؛ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 91؛ اليعلاوي، المرجع السابق، ص 49.

⁴ شهاب المرجع السابق، ص 125

⁵ البكري، المصدر السابق، ص 59

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108

⁷ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 87-88

⁸ الدشراوي، المرجع السابق، ص 524.

⁹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 51.

¹⁰ الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 29.

¹¹ بن عميرة المرجع السابق، ص 212

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

التموينية لمدينة المسيلة بقوله: « وشحنها بالأقوات التي كانت ميرة للعساكر عند محاصرة المنصور لأبي يزيد صاحب الحمار بجبل كيانة »¹.

ومع ذلك فالدور الذي لعبته المسيلة في الجانب العسكري سيتعرض لهزات عديدة نتيجة فشلها في فرض الحد الأدنى منه من جهة، ومن جهة أخرى، فقد توالى الثورات بالمغرب الأوسط على الفاطميين، كما أن سعي الأمويين بالأندلس إلى التدخل ببلاد المغرب من خلال المتعاطفين معهم أو حتى أعوانهم بالمنطقة قد أربك الإستراتيجية الأمنية التي خلقتها الدولة الفاطمية².

2- اقتصاديا :

تحولت مدينة المسيلة في عهد الدولة الفاطمية إلى خزان كبير من المؤن والأطعمة وهذا الدور الاقتصادي الذي قامت به بالغ الأهمية نظرا لخصوبة أراضيها ووفرة مياهها لذا كثرت غلتها وتنوعت منتجاتها، لذلك أدرك أبو القاسم عبيد الله جيدا أهمية موقع المسيلة الاقتصادي فهي تعتبر من أهم الموارد التي ستساهم ويقدر كبير في توفير احتياطات المنطقة³، فبعد مرحلة البناء والتعمير عمل علي بن حمدون على خلق قاعدة اقتصادية مستقرة تعتمد عليها المدينة في نموها، فبعدما كانت تعتمد على خزينة الدولة أي على الخراج والضرائب والغنائم الواردة إليها من المناطق التي أخضعها الفاطميون، أصبحت المدينة فيما بعد تعتمد على مصادر دخلها⁴، حيث خزنت فيها الحبوب والزيوت وأنواع مختلفة من الأغذية المجففة⁵، يقول ابن حماد : « وأمر أن تدخر فيها الأقوات وأنواع المأكولات وكل ما تنضم إليه الضرورة ففعل ... وكان إذا ارتفعت الأسعار وأغبت الأمطار يكتب إلى أبي القاسم وهو ولي عهد أبيه، وبعد قضاء الأمر إليه يستأذنه في البيع ويعلمه بما في ذلك من الزيادة والنفع»⁶، ويضيف بقوله : « فلم تزل تلك الأطعمة مصونة مخترنة إلى فتنة أبي يزيد فكانت عوناً له ولإنجاده وإمداده عند وصوله إلى جبل كيانة وحصره أبو يزيد فيها »⁷.

وبطبيعة الحال ساعده في ذلك كون المنطقة غنية من الناحية الزراعية، ففي الأعوام الممطرة تنتج أراضي سهل الحضنة محاصيل وافرة، أضف إلى هذا أن وادي سهر الذي يعرف حالياً بوادي القصب كان يسقي أراضي شاسعة لزراعة الحبوب، فنتج محاصيل تكفي حاجة المدينة حتى في أعوام الشدة⁸، وهذا ما أشار إليه الإدريسي في قوله: « ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه »⁹ ، لذلك لم يغفل الرحالة والجغرافيون الأهمية الاقتصادية لمدينة المسيلة وما تزخر به من خيرات ومنتجات زراعية، فقد ذكر ابن حوقل ذلك بقوله : « لها واد يقال له

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 107

² طويل، المرجع السابق، ص ص 253-254

³ بطيب، المرجع السابق، ص 31

⁴ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 86.

⁵ المرجع نفسه، ص 24.

⁶ ابن حماد المصدر السابق، ص ص 24-25

⁷ المصدر نفسه، ص ص 24-125 ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 36 : المقرئبي اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 72.

⁸ الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 130 بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 87.

⁹ الإدريسي المصدر السابق، ص 155.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق، ولهم عليه كروم وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجاتهم، ولهم من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس، ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والأنعام والبقر»¹.

ومن الواضح² أن الزراعة أعطت أهمية كبرى لإقليم الحضنة عامة والمسيلة خاصة وجعلتها مركزا تجاريا مزدهرا وذلك لما توفرت عليه من أسواق قصدها التجار ورجال الأعمال وفي ذلك يقول البكري : « وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة، ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر»³ ، كما أصبحت تمول العديد من المدن بالمؤن المختلفة، وذلك على قول ابن حوقل : « ولها من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان»⁴.

وقد أشار كل من ابن حوقل والبكري، والإدريسي إلى وجود طبقة من التجار الذي يكونون في الغالب حلقة وصل بين المدينة والقبائل التي كانت تستقر في الريف، وتكون عملية المبادلات بين هؤلاء المزارعين والتجار لتموين أسواق المدينة⁵، ويظهر ذلك واضحا في قول الإدريسي: « والمدينة أيضا عامرة بالناس والتجار»⁶، فتمركز قبائل زناتة المعادية بناحية تيهرت المدينة التي كانت محط أنظار الفاطميين باعتبارها من أهم الحواضر التجارية للمغرب الأوسط لتربعها على طريق القوافل التجارية الرابط بين السودان وسجلماسة وفاس، جعل الفاطميون بينون مدينة تدين بالولاء لهم وتكون قريبة من هذه المراكز الإستراتيجية في النفوذ التجاري، الأمر الذي سيجتنب لهم لا محالة فرصة بسط نفوذهم على المنطقة⁷، بالإضافة إلى تعدد المسالك المؤدية إلى المسيلة، التي ساهمت في ازدهار التجارة في المنطقة الحضنة، كالطريق الرابط بين المسيلة وإفريقية مرورا بمقرة وطبنة وطريق آخر من القيروان إلى المسيلة يمر على بلاد كتامة والأربس⁸، والطريق الرابط بين المسيلة وتلمسان وهو الطريق الذي يؤدي إلى المغرب الأقصى⁹، مما اكسبها أهمية تجارية كبيرة. ومن خلال هذه المعطيات الجغرافية التي زودتنا بها كتب الرحالة والجغرافية تبين أن المنطقة في عهد الدولة الفاطمية كانت منطقة زراعية بفضل خصوبة أراضيها ووفرة مياهها، ومنطقة تجارية نظرا لموقعها الاستراتيجي، وتعدد مسالكها، ومهما كان الدور الاقتصادي الذي أدته مدينة المسيلة خاصة والحضنة عامة في بلاد المغرب، فإنه لا يمكن استثناءه عن

¹ أهم الجغرافيين الذين ذكروا الأهمية الاقتصادية للمسيلة، نذكر : ابن حوقل المصدر السابق، ص 185 البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 239 ، يقول : ... وحولها بساتين كثيرة يجود عندهم القطن ... أما الإدريسي، المصدر السابق، ص

² ص 85-86، يذكر : هي عامرة في بسط من الأرض، ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار وجنات وعيون وفواكه ويقول ولحوم، ومزارع قطن وقمح وشعير « في حين صاحب الاستبصار يذكر : « أن مدينة المسيلة كثيرة الدخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة»، ينظر الاستبصار، ص 172 الحميري، المصدر السابق، ص 558

³ البكري، المصدر السابق، ص 59

⁴ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85

⁵ طويل، المرجع السابق، ص 257.

⁶ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

⁷ بطيب، المرجع السابق، ص 31

⁸ ابن حوقل المصدر السابق، ص 86-87

⁹ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

الأوضاع العامة التي كانت تعرفها مدن المغرب الأوسط في العصر الوسيط، فالعامل الاقتصادي يعد من الدوافع الأساسية التي حملت الفاطميين على تأسيس هذه مدينة المسيلة¹.

3- حضاريا :

منذ نشأة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ككيان سياسي مستقل عن الخلافة الإسلامية في المشرق، بدأت في محاولة منها لتأسيس فضاء علمي ومعرفي بالرغم من التوترات والثورات التي عرفتها الدولة منذ قيامها، ومع ذلك استطاعت بناء حواضر علمية استقطبت من خلالها العلماء والمفكرين والشعراء من كل المناطق ومن أبرزها حاضرة المسيلة، عندما تم بناءها أصبحت هي العاصمة السياسية والإدارية والمركز التجاري والحضاري للمنطقة الممتدة من باغاية شرقا إلى تيهرت غربا، كما انتقل إليها الكثير من سكان المناطق المجاورة لها، وازدهرت أوضاعها في بعض الجوانب، فأما رجال المال والأعمال، وقصدها العلماء والشعراء من مختلف أنحاء المغرب الإسلامي ومن خارجه².

ومن الواضح أن إقليم الحضنة في العصر الوسيط أدى دورا تاريخيا هاما، بفضل حاضرة المسيلة، التي مثلت نقطة صراع بين الحركات السياسية ومركز التقاء التيارات الفكرية والأدبية، وقد زاد من أهميتها العلمية والفكرية في المقام الأول كما جاء في المصادر التاريخية الموقع الاستراتيجي الهام للمدينة³، في حين يرجع هذا الرقي العلمي والثقافي إلى الخلفاء الفاطميين الذين كانوا أهل علم ومعرفة، فقد اهتموا بالشعر والأدب والفقهاء فقصدتهم الشعراء والعلماء والأدباء، وقد كان مؤسس مدينة المسيلة ووالدها علي بن حمدون، الذي كان ينشط الحركة الثقافية ويقرب إليه العلماء والأدباء، إلى أن هلك وخلفه ابنه جعفر من الذين يهتمون بالحياة الثقافية والعلمية، هذا الأخير الذي عرف بالسماحة⁴ وكثرة العطاء وإثارة أهل العلم والعلماء⁵، ووصلت في عهدهم من الحضارة والعمارة منزلة كبيرة وملكوا فيها إلى الغاية القصوى والأمد الأقصى حسب قول ابن حماد⁶.

ولعل اهتمام بني حمدون بالجانب الحضاري في إقليم الحضنة يرجع إلى شخصية علي وأبنائه، وإلى تركيبهم الثقافية المشبعة بالرقي الحضاري الأندلسي، جعلتهم يهتمون بتنشيط الحياة الفكرية والعلمية في الإقليم، وقربوا إليهم أهل العلم والأدب وقدموا لهم المساعدات⁷، مما جعل المدينة محط أنظار أهل العلم ومقصد طلابه وكعبة الشعراء والأدباء⁸، وازداد النشاط الحضاري في عهد جعفر بن علي الذي اجتهد في تشييد القصور والمنتزهات

¹ طویل، المرجع السابق، ص 256.

² الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 31

³ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 94.

⁴ الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 110.

⁵ بن خليكان، المصدر السابق، مج 1، ص 360.

⁶ ابن حماد، المصدر السابق، ص 24.

⁷ سعداني محمد الدور الحضاري لمدينة المسيلة خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، مجلة الحوار المتوسطي سيدي بلعباس - الجزائر 2019م،

مجلد 06، العدد 08، ص 180

⁸ بن قرية المرجع السابق، ص 167؛ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 22

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

الخاصة به وبإفراد أسرته وقصدهم بها العلماء والشعراء وكان فيمن قصدهم ابن هاني الأندلسي¹، وهو من أبرز الشعراء الذين احتضنتهم مدينة المسيلة في وقت مبكر والذي مدح كلا من جعفر بن علي بن حمدون والمعز لدين الله الفاطمي²، وقد ذكر ابن هاني الأندلسي مستوى الرقي الحضاري الذي بلغته إمارة بني حمدون في الحضنة، ويبدو ذلك بوضوح في شعره عند مدحه لأمرائها³.

وفيما يتعلق بالجانب العمراني، فالمصادر التاريخية المطلع عليها لم تقدم تفاصيل دقيقة عن العمران في الحضنة في عهد الدولة الفاطمية، وما وجد هو عبارة عن إشارات مختصرة عند بعض المؤرخين، فابن حماد ذكر أن المسيلة في عهد بني حمدون وصلت درجة كبيرة من الحضارة والعمارة دون ذكر تفاصيل عن ذلك⁴، أما ابن خلدون يقول أن جعفر بن علي : « بني القصور والمنتزهات⁵ »، كما ذكر البكري أنها كثيرة الحمامات⁶، كما أن علي بن حمدون عند بناء مدينة المسيلة قام بتحسينها، فيقول ابن حيان أحسن عمارتها وحصنها بسور⁷، وقد ذكرت المصادر التاريخية أسوار المدينة فمثلا ابن حوقل يقول: « وعليها سور حصين من طوب⁸ »، في حين يذكر البكري: « عليها سوران، بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة، وله منافذ يسقى منها عند الحاجة⁹ »، أما ابن عذاري يذكر أن المدينة : « كانت على واد ولها سوران، تليها ساقية من هذا الوادي¹⁰ ».

وما لاحظته حسن الوزان في رحلته عندما مر بالمسيلة في القرن العاشر الهجري أن: «الأسوار المحيطة بها جميلة، بخلاف الدور فإنها قبيحة...»¹¹، وهذا يدل على أن المدينة كانت في حالة جيدة من الحفظ، وعند بناءها جعل لها أبو القاسم للمدينة بابين باب القاسمية وباب الأمور¹²، بالإضافة إلى ما ورد في شعر ابن هاني الأندلسي، عندما وصف قصورها، خاصة القصر الذي بناه جعفر بن علي لابنه إبراهيم، إلا أنه لم يحدد لنا في شعره موقعه بالضبط¹³، وهذا ما يؤكد الازدهار العمراني الذي عرفته المنطقة في العهد الفاطمي، وأثناء

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108

² الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 31، ويذكر أن ابن هاني الأندلسي قتل بطرابلس أثناء التحاقه بالمعز الفاطمي بمصر سنة (362هـ / 973م)، ولما بلغ خبر مقتله إلى المعز قال: كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك.

³ سعداني، المرجع السابق، ص 181.

⁴ ابن حماد، المصدر السابق، ص 24.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 108؛ والبكري، المصدر السابق، ص 59، ويذكر أن للمدينة أسواق وحمامات.

⁶ البكري، المصدر السابق، ص 59

⁷ ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص 34.

⁸ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85.

⁹ البكري، المصدر السابق، ص 59

¹⁰ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 190

¹¹ حسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 52.

¹² ابن حماد، المصدر السابق، ص 24؛ بن قرية، المرجع السابق، ص 12.

¹³ البعلوي، المرجع السابق، ص 56، يقول ابن هاني الأندلسي:

الكني إلى القصر المشيد تحية فقد حدث الركبان عنه فأكثرُوا.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

حكم الأسرة الحمدونية لإقليم الزاب، إلا أن الآثار العمرانية للمدينة اندثر وتلاشت مع مرور الزمن، ولم يتم العثور على أي بقايا للمباني والقصور تعود لتلك الفترة ، وربما يرجع ذلك لتخريب الذي عرفته المدينة أثناء الحروب والصراعات التي عرفتها الحضنة خاصة والمغرب الأوسط عامة.

لقد عرف إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية حركة علمية وفكرية شملت مختلف العلوم خاصة الشعر والفقه والأدب، ومن أبرز أعلام الحضنة الذين ترعرعوا بين أحضان مجتمعها نذكر :

- أحمد بن خلوف المسيلي (ت 393هـ/1003م):

كان فقيها وعالما حافظا لمذهب مالك كان يكنى أبا جعفر ويعرف بالخياط استقر في الأندلس أعوام كثيرة حيث استقر بقرطبة وبها توفي سنة 393هـ¹.

- أبو جعفر أحمد بن نصر الدواي المسيلي (ت 402هـ/1012م):

أصله من مدينة المسيلة كان إماما فقيها ومؤلفا حيث كانت له عدة مؤلفات منها : الواعي في الفقه النصيحة في شرح البخاري، شرح الموطأ، وله كذلك كتاب في تفسير القرآن الكريم استقر في تلمسان حتى وفاته سنة (402هـ/1012م)².

- عبد الكريم النهشلي (ت 405هـ/1015م):

هو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، ولد بالمسيلة (المحمدية)³ وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه مع أقرانه وأخذ عن شيوخها وعلمائها، ثم انتقل إلى القيروان في أيام المعز لدين الله الفاطمي وتولى التدريس بها، ولقي فيها الشاعر ابن هاني الأندلسي والشاعر على الأيادي وغيرهم من الشعراء، نبغ في نظم الشعر، وصار له صيت ومكانة مرموقة، ترك آثارا كثيرا وخاصة في ميدان الشعر، له كتاب «المتع من أهم المجاميع الأدبية في تاريخ الأدب العربي، وموضوعه في النقد الأدبي، احتوى أخبار الشعراء والأدباء، وعرض فيه الكثير من النماذج الشعرية⁴ وقد دخل في خدمة بني زيري وخلع طاعة الفاطميين وأصبح كاتباً في ديوان الرسائل في عهد الدولة الزيرية، كان النهشلي عالما في اللغة وشاعرا وكاتباً وأديبا ناقدا توفي بالمهدية سنة (405هـ/1015م)⁵.

- ابن أبي سهل الخشني (ت 406هـ/1016م):

ولد أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخشني الضرير بالمسيلة وبها تعلم ونبغ في الشعر وغيره من فنون الأدب المعروفة في عصره⁶، يقول بورويبة أنه ذكر عند ابن رشيق بقوله: « لم ير ضرير قط أطيب نفسا منه ولا أكثر حياء، مع دين وعفة، أدركته وقد جاوز التسعين والتلاميذ يكلمونه، فيحمر خجلا وكان شاعرا مطبوعا

¹ عبد المالك مغشيش المسيلة حاضرة الفكر والثقافة بالمغرب الأوسط في العهد العبيدي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2012م، العدد 02، ص 45

² عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت - لبنان، 1980م، ص 141

³ بورويبة، المرجع السابق، ص 168.

⁴ الصالح مرمول، نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 173.

⁵ عمر فروخ تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس إلى أواخر عصور الطوائف، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1984م، ج 4، ص 343

⁶ بن قرية، المرجع السابق، ص 175

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

يلقي الكلام إلقاءً وسلك طريق أبي العتاهية في سهولة الطبع ولطف التركيب ولا غنى لأحد الشعراء الحذاق عن العرض عليه والجلوس بين يديه أخذاً للعلم واقتباساً للفائدة منه¹، وقد بلغ شهرة جعلته مصدراً للدارسين والمتعلمين، وكان مجلسه منتدى للأدباء والشعراء والكتاب، لما عرف عنه من جزالة اللفظ وسهولة الأسلوب².

- **زيادة الله بن علي بن الحسين بن محمد بن أسد التميمي الطنبلي (ت 415هـ/1024م) :**

وهو أبو مضر شاعر رفيع الطبقة وأديب ولد ونشأ في مدينة طنبنة ثم رحل إلى الأندلس واستقر في قرطبة وهو أول من بني بيت شرفهم ورفع بالأندلس صوته بنباهة سلفهم، كان ممتع الحديث، رفيع الطبقة في نظمه للشعر، وله عدة مؤلفات ومن بينها كتاب أطلق عليه اسم الحمام توفى بمدينة قرطبة سنة (415هـ/1024م)³.

- **عمران بن سلمان بن محمد بن عمران التميمي الدرامي المسيلي (ت 415هـ / 1024 م) :**

ولد ونشأ بمدينة المسيلة وتعلم بعض العلوم في المنصورية وكان شاعراً له براعة في العلم⁴.

- **حسن بن محمد بن سلمون أبو علي المسيلي (ت 431هـ/1040م) :**

فقيه مالكي مشارك في بعض العلوم، من أهل السنة، ولد ونشأ في مدينة المسيلة ثم رحل إلى الأندلس فولاه سليمان بن حكم الشورى بقرطبة، كان حسن الثقة، وكان عفيفاً متواضعاً ما بقرطبة ودفن بمقبرة العباس⁵.

- **عبد المالك بن زيادة الله بن علي بن الحسين الطنبلي (ت 457هـ / 1065م) :**

هو أبو مروان شاعر وعالم باللغة والأدب والحديث والفقهاء أصله من طنبنة انتقل والده إلى الأندلس واستقر في قرطبة، ولد بها وأخذ العلم عن علمائها ثم رحل إلى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة 457هـ⁶.

- **ابن رشيق (ت 463هـ / 1071م) :**

أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني⁷ وأديب وشاعر وإخباري، ولد بالمسيلة وتعلم صناعة الصباغة على يد والده، ثم مال إلى علوم الأدب والتاريخ، فأخذها عن علماء بلده، وفي سنة (406هـ/1015م) رحل إلى القيروان والتقى بها مع كبار العلماء والأدباء كعبد الكريم النهشلي ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهم، فلازمهم

¹ بورويبة، المرجع السابق، ص ص 169-170.

² بن قرية المرجع السابق، ص 175، يضيف ولأهمية أشعاره فيما يأتي هذه الأبيات التي توضح حقيقة قول جزل ولطف نظمه ومما قاله:

قال العوازل قد طولت حنزلك إذ	لو شئت إخراجك عن سلوه خرجا
ولن أطيق خروج الحزن عن جلدي	لأنني أنا لم أمره أن يلجا
العين في وجهك من لهو	من صدك في شجر
تناصف الحزن الذي حزته	لم يفتر عضو إلى عضو
ولم يفد منك محب سوى	قلب شج في حسر نضو

³ نويهض، المرجع السابق، ص 201.

⁴ مغشيش، المرجع السابق، ص 47.

⁵ نويهض، المرجع السابق، ص 300.

⁶ أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف طبع بمطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر ، 1906م، ج 2، ص 243؛ نويهض المرجع السابق، ص 202.

⁷ ابن خلكان، المصدر السابق، مج 2، ص 85.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

وأخذ عنهم¹، واشتهر ابن رشيق في القيروان واتصل بابن أبي الرجال إمام الكتابة والإنشاء والآداب ثم الأمير الزيري المعز بن باديس، حيث أصبح أحد الشعراء بلاطه البارزين وعندما حاصر بنو هلال القيروان انتقل ابن رشيق مع المعز إلى المهديّة سنة (444هـ/1052م)².

يذكر ابن خلكان أنه: « كانت وبينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع وهما أدبياً بلاد المغرب وشاعراها³ »، ولم يتصالح الشاعران إلا بجزيرة صقلية حيث توفي ابن رشيق في مدينة مزارّة سنة (456هـ/1064م)⁴، تاركاً عدد كبير من المؤلفات نذكر منها: "العمدة في صناعة الشعر ونقده وله كذلك " أنموذج الزمان في شعراء القيروان" ترجم فيه لطائفة من شعراء إفريقية، و "قراصة الذهب" في نقد أشعار العرب و الشذوذ في اللغة" و "ميزان العمل في تاريخ الدول" و "تاريخ القيروان" و "المساوي في السرقات الشعرية" و "الروضة الموشية في شعراء المهديّة" و "شرح موطأ مالك" وله عدد من الرسائل يرد فيها على معاصريه ومنافسيه منها رسالة قطعت الأنفاس ورسالة "رفع الأشكال" و "رسالة نجاح الطلب" و "رسالة رفع الإشكال ودفع المحال" "ديوان شعر"⁵.

- عبد الله بن حمو المسيلي (ت 473هـ / 1080م):

قاض و كاتب له معرفة بالأصول والفروع، أصله من المسيلة استوطن بالمرية بالأندلس، له رواية عن أبي إسحاق بنو يربوع وغيره⁶.

وبذلك كانت بلاد المغرب هي الأرضية التي اختارها الفاطميون لنشر أفكارهم الشيعية المتمثلة في المذهب الإسماعيلي، واختيارهم قبائل البربرية الكتامة لمعرفتهم المسبقة بهذا المذهب عن طريق الدعاة السابقين وهم أبو سفيان والحلواني، والأهمية التي اكتسبتها مدينة المسيلة عند تأسيسها من الناحية الإستراتيجية هي التي دفعت بمؤسسها أبو القاسم عبيد الله المهدي إلى اتخاذها قاعدة عسكرية لإخماد الثورات بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، كما اعتبرت حاجز أمني يصد خطر القبائل الزناتية التي تهدد استقرار الفاطميين، مما جعل المدينة عند تأسيسها تأخذ طابع المدن العسكرية، ونظراً لأهميتها أصبحت مدينة المسيلة العاصمة السياسية

¹ عبد الحليم عويس دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة، القاهرة، دار الوفاء، المنصورة، 1991م، ص 1267 نويهض المرجع السابق، ص 151 بن قرية، المرجع السابق، ص 179.

² بورويبة، المرجع السابق، ص 172.

³ ابن خلكان، المصدر السابق، مج 2، ص 86.

⁴ بورويبة، المرجع السابق، ص 172، حيث يذكر أن ابن رشيق انتقل إلى مدينة مزارّة بصقلية، ويتفق بن قرية، المرجع السابق، ص 180، في اسم المدينة، في حين يذكرها، ابن خلكان المصدر السابق، مج 2، ص 86، نجدها باسم بمارز.

⁵ نويهض، المرجع السابق، ص 151؛ عويس دولة بني حماد، ص 267؛ يذكر رشيد بورويبة أن لابن رشيق ديوان يشتمل على 214 قصيدة نذكر منها رثاء القيروان:

والمسلمون مقسمون تنالهم	أيدي العصاة بذلة وهوان
ما بين مضطر وبين معذب	ومقتل ظلما وآخره عان
يستصر خون فلا يغاث صريخهم	حتى إذا سلمو من الأرنان
خرجوا حفاة عاندين بربهم	من خوفهم ومصائب الألوان

ينظر : بورويبة، المرجع السابق، ص ص 172-173

⁶ نويهض، المرجع السابق، ص 300.

الفصل الأول : إقليم الحضنة في عهد الدولة الفاطمية

والإدارية لإقليم الحضنة وازدهرت وتطورت في جميع جوانب الحياة وقصدها العلماء والشعراء من كل أنحاء المغرب الإسلامي.



الفصل الثاني: الحضنة في

عهد الدولة الحمادية



الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

يعتبر انتقال الفاطميين إلى مصر حدثا تاريخيا هامة في تاريخ بلاد المغرب حيث ادخلها في مرحلة جديدة تختلف عن سابقتها حيث أصبح للقوي البربرية الدور في حكم بلاد المغرب وتأسيس دولة بربرية، والتي ستظهر على الساحة التاريخية بقيادة عناصر بربرية لها السلطة في تسيير شؤونها بنفسها وتحت إشراف القبائل الصنهاجية التي تمكنت من فرض سلطانها على البلاد عن طريق الدولة الزيرية بقيادة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، إلا أن ذلك لم يدم طويلا حيث ظهرت قوة جديدة من البيت الزيري منافسة لها على قيادة بلاد المغرب تمثلت في الدولة الحمادية بقيادة حماد بن بلكين والتي كان لها دور فعال في مختلف المجالات بحيث انتقلت من فترة الصراع من أجل إثبات شرعيتها إلى الانفصال وتأسيس دولة مستقلة عن الدولة الزيرية في المغرب الأوسط وبذلك تصبح الحضنة تابعة لها.

أولا: أحوال الحضنة والمغرب الأوسط في العهد الزيري

1- أصل الزيريين:

تعد صنهاجة من أوفر القبائل البربرية وأكثرهم عددا¹، فلا يكاد يخلو قطرا من أقطار بلاد المغرب من بطن من بطونها، فاستوطنت الجبال والسهول في جبل أو سهل حتى قيل أنها تشكلت ثلث أمم البربر حسب ابن خلدون²، وعدد قبائل صنهاجة تصل إلى سبعين قبيلة وفي كل قبيلة بطون³، وقد اختلف النسابون في تحديد نسبهم وأصلهم، حيث تبقى الأصول الأولى للقبيلة موضع خلاف بين النسابة، والمؤرخين خصوصا فيما تعلق بأصلها العربي أو البربري، أبي زرع⁴ نسبها فابن إلى صنهاج من ولد عبد شمس بن وائل من حمير، وقيل هي فخذ من هواره، وهواره فخذ من حمير، أما ابن خلدون⁵ في أول القول ذكر بأن صنهاجة من أصل عربي، ثم قال في موضع آخر بأن ابن الكلبي والطبري ذكر ذلك، ويضيف قائلاً أن بعض النسابة يزعم أن صنهاج هو بن المثنى بن المنصور بن مصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير .

في حين ابن حزم⁶ أنكر أن تكون صنهاجة من أصل عربي ودليله على ذلك أن النسابين لم يعلموا لقيس عيلان هذا ابنا اسمه بر، وقال إن هذا باطل لا شك فيه، فما كان الحمير طريق إلى بلاد البربر، وينسبهم إلى صنهاج الأكبر الذي يعتبر أحد أبناء برانس بن بر بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح.

وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية التي تتحدث عن نسب وأصل الصنهاجيين فإننا نقف عند رواية النويري⁷ التي تروي لنا ابتداء أمر بني زيري أهم بطون قبيلة صنهاجة البربرية، حيث يذكر أن أول من دخل منهم إلى

¹ المغربي، المصدر السابق، ص 124، وذكر أن أكثر قبائل المغرب، وفي كل أرض منهم خلق...»؛ ابن خلدون المصدر السابق، ج 6، ص 201

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 201.

³ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 172 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 202، ويذكر : « أن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطنا ».

⁴ بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 175

ونجد نفس الرأي عند ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص 71-72

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 201.

⁶ ابن حزم، المصدر السابق، ص 495.

⁷ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 86.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

بلاد المغرب هو المثنى بن المسور، وكان سبب دخوله أنه لما رأى الحبشة قد غلبت على اليمن وأخرجت حمير عن ملكها سار إلى الشحر على ساحل حضرموت فالتقى بكاهن من حمير، فلما رأى المثنى سلم عليه وسأله عن خبره وما الذي أتى به، فأعلمه أن الحبشة غلبتهم على ملكهم، فقال له الكاهن اذهب إلى المغرب واتخذه قراراً، فوالله ليكون لوالدك فيه شأن وليلمكن منهم جماعة ويتوارثونه وبطول ملكهم، فدخل المغرب فمزالوا يتوقعون الملك إلى أن ولد مناد بن منقوش.

فبالرغم من الاختلاف القائم بين النسابين حول نسب وأصل القبائل الصنهاجية، إلا أن صنهاجة من أصل بربري ترتبط أصولها بصنهاج بن برنس بن بر وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: «... عند نسابة البربر من بطون البرانس من برلس بن بر...»¹، ومنه إلى قبيلة صنهاجة التي ينتسب إليها الزيرون والحماديون والتي عرفت باسم صنهاجة الشمال تمييزاً لها عن صنهاجة الجنوب التي ينتسب إليها لمتونة ومسوفة² بطنا المرابطين³، مواطنهم إلى غرب قبيلة كتامة في المنطقة الجبلية الممتدة إلى المناطق الواقعة شرق الجزائر على الشمال الشرقي من جبال الأوراس إلى تنس، وتشكل جبال زاوية الحدود التي فصلت بين قبيلة صنهاجة وكتامة، وقد اتسعت أراضيهم بين أرض زناتة وأرض زاوية في الاتجاه الغربي بعد ما طردوا مغراوة وغيرهم من فروع زناتة من الأراضي الواقعة على ضفاف نهر الشلف، وكان هذا الطرد مؤقتاً حسب قول إسماعيل العربي⁴. كما يوجد فرع آخر من قبائل صنهاجة وهو قبيلة لمتونة الذين تمكنوا بمساعدة أبناء جنسهم من فرع مسوفة من إقامة دولة المرابطين في المناطق الجنوبية الغربية⁵، وقد تباينت حياتهم بتباين مواطنهم، واختلفت عادات تلك القبائل بين حياة الاستقرار والتنقل وذلك حسب تفرسه الظروف⁶.

2- أوضاع الحضنة والمغرب الأوسط قبل رحيل الفاطميين إلى مصر :

استكمالاً لرواية النويري، فإن مناد بن منقوش ولد له ابن أطلق عليه اسم زييري⁷ وأجمع الرواة على أن زييري بن مناد كان يلفت الأنظار في صباه بجماله والنضوج المبكر، فلما بلغ عشر سنوات كان من رآه يظنه في سن العشرين، ومنذ صغره لقبه الصبيان بالسلطان ويركبون العيذان ويتشبهون بالعساكر يأمرهم بالقتال بين يديه

¹ ابن خلدون المصدر السابق، ج 6، ص 201.

² بن قرية المرجع السابق، ص 65.

³ المرابطين هم الملتزمون منتشرين بالقفار وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعداً في مجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح الإسلامي لا يعرف أولها، فاستقروا في الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلال وجفوها، صاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان، تعددت قبائلهم أهمها قبيلة لمتونة ومسوفة، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 241.

⁴ ليست هناك معلومات دقيقة حول حدود المنطقة التي تقيم بها القبائل الصنهاجية، ينظر: إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980م، ص ص 38-39

⁵ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 36.

⁶ قبائل صنهاجة الشمال من القبائل الحضرية كانوا يعيشون حياة تعتمد على الزراعة والرعي ويسودها الاستقرار رغم صعوبة الجبال التي كانوا مستقرين فيها، فحياتهم مماثلة لحياة جيرانهم من قبائل كتامة وزواوة، في حين صنهاجة الجنوب التي تعرف بالملتزمين لارتدائهم اللثام هم من فروع قبيلة لمتونة أهل وبر (بدو رحل) يعيشون في المناطق الجنوبية الغربية

⁷ في المغرب الأقصى والصحراء كانوا يجوبون القفار، حياتهم تعتمد على الرعي والتنقل ينظر: إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 139 روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 36

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

فلما كبر وقوى أمره، جمع إليه جماعة من بني عمه فكان يشن بهم الغارات على القبائل الزناتية فيقتل ويسبي ويقسم الغنائم على أصحابه فلا يواثر لنفسه شيء¹، فحسدته الكثير من القبائل الصنهاجية لأنه لم يكن يطمع في الحكم، فلما تأكدوا أنه القائد اجتمعت إليه القبائل الصنهاجية، وحاربوا معه القبائل الزناتية، وطالت الحرب بينهما، إلا أن زيري انتصر عليهم في النهاية فذاع صيته بين القبائل، واجتمع إليه عدد كبير من القبائل وقد أدى هذا الأمر إلى لفت أنظار الدولة الفاطمية إليه في عهد القائم بأمر الله².

وللعلم فإن العلاقة بين القبائل الصنهاجية والقبائل الزناتية ميزها العداء، والتنافس على السلطة والملك والنفوذ والهيمنة والسيطرة على بلاد المغرب، فزناتة هي أكبر قبائل البربر البتر في حين تعد صنهاجة من أهم قبائل البرانس، ويرجع هذا الصراع إلى اختلاف أحوالهم الاجتماعية لأن زناتة كانت تغير على مزارع صنهاجة مما دفع هذه الأخيرة إلى الاستجداد بالرومان، فاستغلوا الظرف وعملوا على تغذية هذا الصراع حتى يبقى قائما بين القبيلتين، وبذلك يضمن الرومان الاستقرار لأنفسهم في المنطقة ويحكمون السيطرة على بلاد المغرب³.

ازداد الصراع والتنافس بين القبيلتين في العهد الإسلامي خاصة بعد تقلص النفوذ الكتامي في المنطقة⁴، واتخذت صنهاجة تحت قيادة زيري بن مناد الصنهاجي شكل الجماعة المنظمة وهذا ما لفت أنظار الفاطميين إليهم خاصة بعدما اجتمعت فيها صفات على قدر من الأهمية، كولائهم لآل علي بن طالب رضي الله عنه وهذا ما ذكره ابن خلدون بقوله: « ولما استوثق الملك للشيعنة بأفريقية تحيز إليهم للولاية التي لعلي رضي الله عنه فيهم وكان من أعظم أوليائهم »⁵، وعداوتهم للقبائل الزناتية وقوتهم العسكرية في المغرب الأوسط والموقع الجغرافي الذي تتمتع به القبائل الصنهاجية بالإضافة إلى تأسيسهم لعدة مدن كبرى كل هذا جعلهم محل أنظار الفاطميين، وبذلك تصبح صنهاجة في مقدمة اهتمامات الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، لتجعل منها الحليف الجديد بدلا من القبائل الكتامية التي بدأت تفقد قوتها وتظهر عليها مظاهر الضعف وعدم قدرتها على مسايرة الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب في تلك الفترة⁶.

وبعد الانتصارات التي حققها زيري بن مناد الصنهاجي على القبائل الزناتية عظم أمره واجتمع إليه خلق كثير، واعترفت بزعامته معظم فروع صنهاجة، فأخذ يفكر في بناء مدينة جديدة تكون مقرا لحكمه يدير منها شؤون قبيلته⁷.

¹ النويري، المصدر السابق، ج 4، ص ص 87-88

² روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 139 إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 43؛ بورويبة، المرجع السابق، ص 09، حيث ذكر أن زيري بن مناد قام بغزو القبائل الزناتية وهجم على قلعة مغيلة التي تقع بين فاس ومكناس بالمغرب الأقصى، فانتشرت سمعته في المغرب كله.

³ سالم، المرجع السابق، ج 2، ص ص 139-140.

⁴ المرجع نفسه، ج 2، ص 140.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 203.

⁶ عز الدين أحمد موسى النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق بيروت لبنان، 1982م، ص 72

⁷ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 44؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 44

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

فشرع زيري بن مناد في بناء مدينة أشير سنة (324هـ/936م)¹ في أيام الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله، وقد جلب إليها البنائين والنجارين من سوق حمزة، والمسيلة وطبنة، وطلب زيري من الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله أن يمهده بالخبراء في البناء فبعث له رجلا لم يكن بإفريقية أعلم منه حسب قول النويري². اكتسبت مدينة أشير مع مرور الوقت أهمية كبيرة في بلاد المغرب وأصبحت أكثر تحضرا، وكان ذلك بموافقة الفاطميين بطبيعة الحال، فقد سمحوا لهم بصك العملة والتي تعتبر من شعارات السيادة، وعليه فبناء أشير يعد بمثابة تأسيس كيان صنهاجي مستقل في بلاد المغرب وإن كان من المؤرخين من يشبهه بالحكم الذاتي في الوقت الحاضر³، ولذلك نجد ابن خلكان يصف زيري بن مناد بأنه أول ملك في صنهاجة⁴، فلما سمع القائم بأمر الله ببناء زيري لمدينة أشير حمد الله على ذلك وقال : «... مجاورة العرب خير لما من مجاورة البربر...»، وجلب إليه زيري السكان من طبنة والمسيلة وحمزة، فعمرت المدينة⁵، وبذلك اجتمعت مجموعة من الظروف جعلت من مدينة أشير قلعة دفاعية وقوة سياسية في المغرب الأوسط تقوم على تنظيم وتوحيد صفوف القبائل الصنهاجية وتدعم الفاطميين الذين وجدوا فيها قوة كبيرة في إعادة استقرار المنطقة الغربية للدولة الفاطمية⁶.

وفي ظل تزايد الخطر الزناتي الذي كان يهدد استقرار الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ازدادت معه مخاوف الفاطميين من اهتزاز مركزهم السياسي في البلاد، وتراجع نفوذهم في المنطقة، فعمدوا إلى استمالة عصبية جديدة من القبائل البربرية تدعمهم مثل قبيلة صنهاجة، نظرا للعداء المستمر بين القبيلتين الصنهاجية والزناتية، والذي كان في معظم الأحيان تغذيه العصبية القبلية، فاستغلت الدولة الفاطمية هذا الوضع وأقامت تحالفا مع الصنهاجيين⁷، وعندما تمكنوا من ضمان ولاء القبائل الصنهاجية لهم، بدأت تظهر أهمية هذه القبيلة بشكل خاص عندما اضطربت أحوال إفريقية وبلاد المغرب أثناء ثورة الخوارج بقيادة أبي يزيد مخلد، وكان لزعيم صنهاجة زيري بن مناد دورا هاما في القضاء على هذه الثورة من خلال المساعدات التي قدمها للفاطميين⁸. وفي سنة (332هـ / 944م)⁹ ثار أبو يزيد بن مخلد على الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله، واستولى على عدة مدن مثل باجة وتونس والقيروان وسوسة¹⁰، فأمر القائم بأمر الله بحفر خندق حول المهديّة وزويلة، واستنجد

¹ كان زيري بن مناد الصنهاجي قبل تأسيس مدينة أشير يسكن الجبال، وبعد أن تسيد قومه وحقق نجاحات متتالية في حربه ضد القبائل الزناتية ضاق عليه وعلى أصحابه مكانهم فخرج يبحث عن موضع ينزل فيه، فرأى موضع أشير، وكان المكان خاليا ليس به أحد على كثرة عيونه وسعة فضائه وحسن

منظره ينظر: الحموي المصدر السابق، مج 1، ص 202-203

² النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 88.

³ زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 294.

⁴ ابن خلكان المصدر السابق، مج 2، ص 343

⁵ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 88

⁶ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 56.

⁷ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 14.

⁸ الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 30.

⁹ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 216.

¹⁰ بورويبة، المرجع السابق، ص 09.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

بزعماء القبائل البربرية منهم زيري بن مناد، ورؤساء قبيلة كتامة، حاثا إياهم على الالتحاق به فتأهب أولئك الزعماء¹ من بينهم علي بن حمدون ولي المسيلة واقليم الزاب ملبيا طلب الخليفة الذي كان متحصنا في المهديّة²، التي حاصرها أبو يزيد، وقطع عنها المؤن، وكاد أن يقضي على سلطة الفاطميين في آخر معاقلمهم، فلم يجد الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله شخصية قوية في مملكته سوى زيري بن مناد الصنهاجي في أن يطلب منه مساعدته في القضاء على ثورة أبي يزيد وفك الحصار المضروب على المهديّة من قبل هذا الأخير³، فكتب إليه يعلمه بالخطر الذي يهدد عرشه في بلاد المغرب، وعن الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي آلت إليه المهديّة، وما أصاب الناس من الجهد والغلاء، فبعث إليه زيري بن مناد بألف جمل من حنطة، وأخرج معها مائتي فارس من صنهاجة وخمسائة من عبيده⁴، مما اضطر أبو يزيد إلى رفع الحصار على المهديّة سنة (946م/334هـ)⁵، وكان هذا سببا في ازدياد المودة بين زيري والقائم بأمر الله حسب قول ابن عذاري⁶. ويبدو أن زيري نجح في رفع مكانته عند الفاطميين بفضل المساندة والمساعدات التي قدمها للدولة الفاطمية، أما علي بن حمدون والي المسيلة، فلما حاصر أبو يزيد المهديّة أعد جيشا قويا لمحاربتة، ويذكر روجي إدريس بأن علي بن حمدون قام بتعبئة جيش كبير في المسيلة وانضمت إليه قوى أخرى في سطيف وقسنطينة، وتوجه به إلى المهديّة إلا أن جيش أبي يزيد باغته بالهجوم ليلا، فاقتتلوا قتالا شديدا، وانهزم علي بن حمدون مما أجبر على الهروب، واتجه إلى مكان وعر ليلا، فانحل واثاق فرسه فسقط من فوقه فانكسرت يداه ورجلاه وظهره، واستطاع أيوب بن أبي يزيد من الاستيلاء على مدينة المسيلة⁷. وبوفاة القائم بأمر الله سنة (946م/334هـ)⁸ وتولي ابنه المنصور الحكم، قويت الجيوش الفاطمية وازداد عددهم بانضمام قبيلة صنهاجة بقيادة زعيمها زيري بن مناد، فتمكن الفاطميون من استعادة المبادرة العسكرية، فأصبحت بإمكانها التصدي لزحف العدو⁹ فقد تمكن المنصور من دخول القيروان سنة (946م/334هـ)¹⁰، وكتب زيري بن مناد وماكس بن سعيد وبعث إليهم بالهدايا من أجل استمالتهم إليه، وحشد عدد كبير من القبائل البربرية كصنهاجة وعجيسة، وعندما نزل المنصور إلى حائط حمزة وصل إليه زيري بن مناد في جيش من صنهاجة، وسانده في ملاحقته لأبي يزيد في إقليم الحضنة¹¹.

¹ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 191.

² المصدر نفسه، ج 7، ص 195.

³ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 157 الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 31.

⁴ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 89، ويضيف: « أن القائم بعث له هدية لم يسمع بمثلا، كسي جليلة وخيل مسومة بسرح محلاة »

⁵ بورويبة، المرجع السابق، ص 09.

⁶ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 79.

⁷ ابن حماد المصدر السابق، ص 131 روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 50-15، ويذكر: « أن الجيش كان بقيادة أيوب ابن أبي يزيد بعدما استولى على باجة واسترجع مدينة تونس ».

⁸ عن وفاة القائم بأمر الله ينظر: ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 218؛ ابن حماد المصدر السابق، ص 32

⁹ طقوش المرجع السابق، ص 139؛ الدشراوي، المرجع السابق، ص 296.

¹⁰ ابن حماد المصدر السابق، ص 32

¹¹ المصدر نفسه، ص 39

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

واصل المنصور بن أبي القاسم مطاردته لأبي يزيد في إقليم الحضنة إلا أن هذا الأخير استغل فرصة ابتعاد المنصور بسبب مرضه فحاصر المسيلة التي كانت بين أيدي جعفر بن علي، وفي سنة (335هـ/947م) دخل المنصور المسيلة ففر أبو يزيد إلى جبل كيانة¹، وهو المكان الذي أسست فيه بعد ذلك قلعة بني حماد، فضرب المنصور حصارا على أبي يزيد في قصر كيانة بمساعدة زيري بن مناد وجعفر بن علي بن حمدون² حيث يذكر ابن الأثير : « أن زيري بن مناد لحقه قطعنه فألقاه، وكثر القتال عليه فخلصه أصحابه وخلصوا من معه، وتبعهم أصحاب المنصور، فقتلوا منهم ما يزيد على عشرة آلاف »³، وبعد عدة عمليات محاصرة قام بها المنصور استطاع القضاء على أبي يزيد في نواحي إقليم الحضنة، وبذلك تم القضاء على ثورته في بلاد المغرب سنة (336هـ / 948م)⁴.

ومقابل الخدمات الجليلة التي قدمها زيري بن مناد الصنهاجي للفاطميين جعل المنصور يكرمه، فجعله على رأس قومه وأذن له بتعمير مدينة أشير التي أصبحت عاصمة دولته وعقد له على تيهرت وأعمالها وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون في قوله : « أن الخليفة المنصور قبل مغادرته للمغرب، عهد الزيري بن مناد على قومه وأذن له في اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة أشير ، وعقد له على تاهرت وأعمالها ...»⁵، وكذلك عقد المنصور الجعفر بن علي على المسيلة مع أخيه يحي⁶.

تذكر المصادر التاريخية أن ثورات الخوارج لم تنته بمقتل أبي يزيد، فقد ثار ابنه فضل بن أبي يزيد، ولم تدم ثورته مدة طويلة لأنه وقع في كمين نصبه له زيري بن مناد وخسر خلقا كثيرا⁷، واستمرت الحرب بين زناتة وصنهاجة حيث نزل على أشير كمات بن مديني الزناتي، فخرج إليه زيري بن مناد، وكانت بينهم عدة حروب⁸. وفي أيام المعز لدين الله الفاطمي ازداد نفوذ زيري بن مناد الصنهاجي في المغرب الأوسط، وعظم شأنه، وأصبح مقربا للفاطميين، فقد اصطحبه المعز لدين الله معه عند خروجه من المغرب سنة (342هـ / 953م)، وفي السنة الموالية طلب المعز لدين الله من زيري بن مناد أمير صنهاجة بالقدوم إليه، فأجزل صلته وردّه إلى عمله⁹، وفي سنة (347هـ / 958م) اضطرب أمر المغرب الأقصى من جديد حيث تمكن الأمويون من السيطرة

¹ ابن الأثير ، المصدر السابق، ج 7، ص 200؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 156 بن عميرة، المرجع السابق ص212؛ سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 630

² ابن حماد المصدر السابق، ص 40.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 200.

⁴ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 122 ابن حماد المصدر السابق، ص ص 44-45.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 204.

⁶ المصدر نفسه، ج 4، ص 59

⁷ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 1462 ابن الأثير، ج 7، ص 1201 ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 157 بن عميرة المرجع السابق، ص 1214 روجي إدريس المرجع السابق ، ج 1 ، ص 55.

⁸ الدويري، المصدر السابق، ج 24، ص 190 روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 157 إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 57.

⁹ ابن خلدون المصدر السابق، ج 4، ص ص 58-59

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

على هذه المنطقة، وامتد نفوذهم إلى تاهرت¹، فأرسل المعز لدين الله جوهر الصقلي إلى المغرب بجيش قوي، وخرج معه جعفر بن علي صاحب المسيلة، وزيري بن مناد صاحب أشير كما ورد عند ابن خلدون²، واستطاع زيري بن مناد إخضاع مدينة فاس، وإرجاعها إلى سيطرة الدولة الفاطمية، وكان ذلك سنة (348هـ/959م)، وهذا ما أشار إليه العديد من المؤرخين³.

فبعد فتح مدينة فاس أضاف المعز لدين الله إلى أعماله مدينة تيهرت وأراضيها التابعة لها، وسمح له ببناء مدن جديدة، وتوسيع ملكه في المغرب الأوسط، فأمر ابنه بلكين باختطاط مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة على ساحل البحر، ومدينة مليانة في الجهة الشرقية من الشلف والمدينة وهذه الأخيرة لم تكن بعيدة عن أشير⁴، إلا أن الهدوء لم يدم طويلا بعد حملة جوهر الصقلي على المغرب الأقصى، وعادت التوترات في المنطقة من جديد، واندلعت في أكثر من مكان⁵، فقد ثار محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتي سنة (358هـ / 969م)، فخرج إليه المعز لدين الله فانهزمت جموع محمد بن خزر، ثم أمر زيري ابنه بلكين بمطاردته، واستطاع الانتصار عليه سنة (359هـ / 970م)⁶، وبعد هذا الانتصار عظم أمر زيري بن مناد وصنهاجة في المغرب الأوسط بعدما عقد له المعز لدين الله على المغرب، وأقطع له ما افتتح من أقطاره، وبذلك استطاع على بوادي المغرب، وغلب يده على جعفر بن علي صاحب المسيلة والزاب، وسما به في الرتب عند الخلافة، وتاخمه في العمالة حسب قول ابن خلدون⁷.

وقد أثار ذلك قلب جعفر بن علي والي المسيلة والزاب وحقد عليه، وتوترت العلاقات بين زيري وجعفر بن علي بن حمدون، والسبب في ذلك ما كان يحظى به مجاوره في الولاية زيري بن مناد عامل أشير من تفضيل وتقريب من قبل الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، هذا الأمر كان يضايق جعفر بن علي، لأنه كان في سباق بينه وبين

¹ بن عميرة، المرجع السابق، ص 230.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 59

³ عن إخضاع مدينة فاس من قبل زيري بن مناد الصنهاجي، يذكر ابن أبي دينار : « فكان زيري سبب لفتحها»، ينظر : ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 73؛ أما ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 204، يقول : « ولما نزل جوهر فاس وبها أحمد بن بكر الجذامي، وطال حصاره إياها، كان الزيري في حصارها أعظم العياء، وكان فتحها على يده، سهر ذات ليلة وصعد سورها فكان الفتح »؛ أما ابن الأثير يقدم لنا تفاصيل عن فتح وإخضاع مدينة فاس من قبل زيري بن مناد بقوله: « فقام زيري بن مناد فاختر من قومه رجالا لهم شجاعة وأمرهم أن يأخذوا السلام وقصدوا البلد، فصعدوا إلى السور الأعلى بالسلام، وأهل فاس آمنون، فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه، ونزلوا إلى السور الثاني وفتحوا الأبواب وأشعلوا المشاعل، وضربوا الطبول، وكانت الأمانة بين زيري وجوهر، فلما سمعها جوهر ركب في العساكر فدخل فاس » ينظر : ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 261-262

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 204.

⁵ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص ص 60-61 بورويبة، المرجع السابق، ص 10.

⁶ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص ص 314-315؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 204؛ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 67؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 62.

⁷ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 204.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

زيري في كسب ود الفاطميين من أجل الحصول على ولاية جديدة من ولايات بلاد المغرب، وبذلك يتسع نفوذه في المنطقة¹.

ويبدو أن إشعال نار التنافس بين عامل المسيلة وأشير هي الطريقة التي اتبعتها الدولة الفاطمية في التعامل مع عمالها في ولاياتهم ببلاد المغرب، فقد منحت لهم سلطات واسعة ونوع من الاستقلالية في الحكم، وحق توارث الحكم، مما شجعهم على التفكير في تأسيس مملكة خاصة بهم، وكان ذلك بهدف بسط نفوذها على المغرب الأوسط، وصد الخطر الأموي والزناتي الذي هدد وجودها في المنطقة، هذا ما دفع جعفر بن علي إلى الالتحاق بالمنصور سنة (360هـ/971م)، ثم مال بأهله وماله إلى زناتة، وخلق طاعة الفاطميين، ودعا للأمويين في الأندلس².

وبعد خروج جعفر بن علي تجمعت حوله القبائل الزناتية، فخرج إليه زيري بن مناد فاشتد القتال بين الطرفين، لكن الحظ لم يحالف هذه المرة زيري بن مناد الصنهاجي، فانهزم في المعركة، وتم القبض عليه وقتله³، فقرر بلكين الانتقام من جعفر والثأر لأبيه، وخرج في جيش كبير، واستولى على المغرب الأوسط بعدما طرد القبائل الزناتية، فكافأه المعز لدين الله بأن ضم إليه المسيلة وأعمالها التي كانت تحت تصرف جعفر بن علي بن حمدون⁴.

كان زيري بن مناد حسن السياسة والتدبير في الرعية ما رأى الناس مثل أيامه في المغرب، وأقام على حسن السيرة ستة وعشرين سنة حسب ما ذكره ابن أبي دينار⁵، إلا أن بلكين الذي ورث عن أبيه الشجاعة وحسن التدبير استطاع أن يملأ الفراغ الذي تركه زيري بن مناد، فقد رزقه الله بأولاد، وكلهم فرسان وشجعان، وكرماء كان يكتفي بهم في بعض حروبه⁶، وبذلك استطاع بلكين بن زيري أن يهدد استقرار القبائل الزناتية الخارجة

¹ ابن أبي دينار المصدر السابق، ص 172 بوروية المرجع السابق، ص 11 الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 35 إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 62.

² ابن خلدون المصدر السابق، ج 6، ص 1205 الدويري، المرجع السابق، ج 24، ص 191 بوروية، المرجع السابق ص 11، بن قرية المرجع السابق، ص 67.

³ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 91، وذكر تفاصيل عن المعركة بقوله : « لما وصل جعفر إلى زناتة قبلوه أحسن قبول وقدموه على أنفسهم، فبلغ الخبر زيري، فبادر بالخروج إلى جعفر، وزحف إليه في عسكر عظيم من صنهاجة وغيرها، وذلك في شهر رمضان من سنة (360هـ/971م)، وزحف جعفر في زناتة والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا، فكبا بزيري فرسه فسقط إلى الأرض، وكانت جولة عظيمة، وقطعت قدامه خمسمائة يمين ثم قتل ؛ ينظر كذلك ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 72.

⁴ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 67، وينكر : أن بلكين بن زيري تحرك إلى المغرب أول حركاته، فهزم زناتة، واستأصل شأفتهم وفتح معاقلم، وسبى أموالهم وذراريهم، ففر جعفر بن علي أمامه إلى الأندلس مستجيرا بملكها I ينظر كذلك ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 1334 روجي إدريس المرجع السابق، ج 1، ص 70.

⁵ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 73.

⁶ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 63.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

عن الدولة الفاطمية، فلما بلغت أخبار انتصارات بلكين بن زيري إلى المعز لدين الله الفاطمي سره ما فعل، وأرسل إليه يأمره برد السبي والقدوم عليه، فقدم على المعز فأكرمه غاية الإكرام على قول ابن أبي دينار¹. وتمكن بلكين بن زيري أن يجعل من صنهاجة القوة الأكبر في بلاد المغرب، وأن يواصل مسيرة أبيه زيري بن مناد بنجاح، وازدادت مكانته عند المعز لدين الله الفاطمي، وبدأت تتداول في المغرب الأوسط أخبار فتح مصر من قبل الفاطميين، فما كان على المعز إلا الاستعداد للرحيل إلى مصر، واتخاذ قرار من يخلفه، ويمثل الدولة الفاطمية في بلاد المغرب.

3- رحيل الفاطميين وقيام الدولة الزييرية :

بالرغم من النجاح الكبير الذي حققته الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب في نشر مذهبها الشيعي في البلاد، وإقامة دولة قوية أحكمت سيطرتها على بلاد المغرب، وتأسيس العديد من المدن الكبرى التي ساهمت في ازدهار وتطور المنطقة، بالإضافة إلى تمكنها من استمالة العديد من القبائل البربرية إلى صفها، إلا أنها تعرضت إلى العديد من الأخطار التي كادت أن تعصف بكيان الدولة الفاطمية في بداية التأسيس، ومع ذلك تمكنت من تحقيق أعظم إنجازاتها السياسية في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي عمل على استقرار الوضع في بلاد المغرب، وتهدئة الفتن الداخلية، والقضاء على الثورات الخارجية المتتالية على الدولة، وبعد هذه الانجازات التي حققها في بلاد المغرب وجه أنظاره إلى المشرق بهدف القضاء على الخلافة العباسية، لتحل محلها الدولة الفاطمية في حكم العالم الإسلامي، وهذا كان طموح الفاطميين منذ البداية، وكان فتح مصر بالنسبة إليه بمثابة البوابة التي يعبر منها الفاطميون للسيطرة على الخلافة الإسلامية في المشرق.

ويذكر عبد العزيز سالم أن فتح مصر كان أمنية الفاطميين منذ أيام عبيد الله المهدي، وبعد أن استحال عليهم فتح بلاد الأندلس، وكانت مصر بالنسبة للفاطميين معقد آمالهم لثرائها، وأهمية موقعها الجغرافي والسياسي والحربي، بالإضافة إلى قربها من بلاد الشام والحجاز مما يسهل عليهم الوصول إلى هدفهم².

وكانت أوضاع مصر في تلك الفترة مضطربة خاصة بعد وفاة كافور الإخشيدي (357هـ / 968م)³ حاكم مصر، مما نتج عنه فراغ سياسي داخل الدولة، فساءت الأحوال الاقتصادية، وانتشرت الفوضى والاضطرابات في البلاد، عظم فيها الغلاء، بالإضافة إلى ذلك ساءت ظروف الدولة العباسية وكثرت الفتن في بغداد، وبطبيعة

¹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 73، حيث يذكر : «أن يلكين لما قدم على المعز بعدما استخلف على عمله من يتق به، ومهد قواعد بلاده، ونفذت كتبه إلى عماله... يوسف بن زيري خليفة السلطان، ولم يترك في المغرب عند أحد من البرابر فرسا ولا جملا، ولم يترك من يحرث ويحصد، وقدم إلى المنصورية، وقد شاع بين الناس أنه المستخلف في إفريقية فهادته على قدر مراتبهم وكثرة أموالهم، وزادت مكانته»

² سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 634.

³ كافور الإخشيدي (292-357هـ/905-968) هو كافور بن عبد الله الإخشيدي أبو المسك، كان عبدا حبشيا اشتراه مصر سنة (312هـ / 924م) فنسب إليه، ثم اعتقه، فتقوى حتى تغلب على مصر، وكان فطنا ذكيا، حسن السياسة ودعي له على المناير بمكة المكرمة ومصر والشام إلى أن توفي سنة (357هـ / 968م) بالقاهرة، ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، مج 4، ص 99.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

الحال لما بلغ المعز لدين الله الفاطمي ما يحدث في مصر استغل الوضع، وأرسل جوهر الصقلي الذي قام بتجهيز حملة عسكرية كبيرة سنة (358هـ / 969م)، وتوجه إلى مصر وفتحها¹، وهرب أعيان الإخشيد من مصر إلى الشام قبل وصول جوهر الصقلي، وأقيمت الدعوة للمعز حسب ابن حماد².

وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية محاولة الفاطميين فتح مصر³، حيث شرع جوهر الصقلي في بناء القاهرة، وطلب من المعز لدين الله الفاطمي بالقدوم إلى مصر بعدما أصبحت الظروف مناسبة لاستقباله، وقبل رحيل المعز إلى مصر كان لابد له من تنظيم شؤون بلاد المغرب سياسيا وإداريا بعدما ضمن تهدئة الأوضاع في إفريقية وبلاد المغرب⁴.

ومما لا شك فيه هو أن الإمام الفاطمي المعز لدين الله كان أقدر الحكام الفاطميين وأبعدهم رؤية في بناء المستقبل السياسي للدولة الفاطمية في بلاد المغرب، إذ أدرك أنه لا يستطيع البقاء والاستمرار في حكم المغرب في ظل الصراعات المذهبية والقبلية الطويلة بين القبائل البربرية، وأن كل محاولات السيطرة على المغرب الأوسط بقيادة صنهجة لم تكن تؤدي ما يبتغيه الفاطميون⁵، وبذلك كان فتح مصر هو الموقف الملائم الذي يتلاءم طبيعيا مع التطلعات الفاطمية عامة والمعز لدين الله خاصة⁶.

ولما عزم المعز الرحيل إلى مصر فكر فيمن يستخلفه في بلاد المغرب، ممن يتوفر فيه صدق التشيع كما ذكر ابن خلدون⁷، فيذكر المقرئ أن المعز لدين الله: «... وقع اختياره على جعفر بن علي الأمير فاستدعاه وأسر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب فقال : تترك معي أحد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر وأنا أدبر، ولا تسألني عن شيء من الأموال لأن ما أجنه يكون إزاء ما أنفقه من الأموال، وإذا أمرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك لبعد ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره إلي...»⁸.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 61؛ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 228؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 309؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 61.

² ابن حماد، المصدر السابق، ص 50.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1، ص 192، يذكر : « وسير ولي عهد أبا القاسم إلى مصر في دفعتين، الأولى في سنة إحدى وثلاثمائة، فملك الإسكندرية والفيوم، وجبي خراجها، وخرج بعض أعمال الصعيد، وعاد إلى المغرب في سنة اثنين وثلاثمائة، والثانية سنة ستة وثلاثمائة فملك الإسكندرية أيضا ؛ ينظر كذلك المقرئ اتعاظ الحنفاء، ج 1، ص 69 - 71 النويري، المصدر السابق، ج 28 ، ص 22؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 49؛ ابن الأثير، المصدر السابق ج 7 ص 309

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 61؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص 52.

⁵ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 16-17 الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهجة، ص 44.

⁶ سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 634.

⁷ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 205.

⁸ المقرئ، الخطط المقرئية، ج 2، ص 32؛ وقد ذكرت العديد من الدراسات الشروط التي وضعها جعفر بن حمدون للمعز لما أراد استخلافه على بلاد المغرب ينظر حسن خضير علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ / 973-1172م)، مكتبة مدبولي القاهرة، (دت)، ص 29-30 أبو ضيف المرجع السابق، ص 55؛ أحمد بن محمد أبو رزاق الأدب في عصر دولة بني حماد (405-547هـ / 1014-1152م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، (دت)، ص 59 بورويبة، المرجع السابق، ص 13.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

ومن الواضح أن الشروط التي وضعها جعفر بن علي توجي من البداية بالاستقلال ببلاد المغرب¹، وبذلك كان رده ينطوي على تطلع ونزوع نحو الانفرد بالحكم، تاركا للخليفة الفاطمي² هامشا بسيطا من النفوذ المعنوي، هذا ما استشعره المعز لدين الله الفاطمي حين قال له : «... يا جعفر عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمري واستبددت بالأعمال والأموال دوني، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشداك»³. أما النويري فيذكر رواية أخرى بقوله : «... فأنفذ المعز لدين الله إليه يستدعيه، فلم يأت ولم يمتنع، فأرسل إليه ثانية فرجا الصقلي، فلما بقي بين فرج وجعفر مقدار مرحلة، وكان في المسيلة فخرج منها وأظهر المسير إلى المعز، ثم مال بعسكره ومعه السلاح والأموال ومضى إلى زناته، وخلع الطاعة وأظهر أن الذي حمله على ذلك عداوة زيري بن مناد لأنه كان يؤذيه في أعماله، ووصل فرج الصقلي إلى المسيلة فأخبره بخبر جعفر...»⁴.

ومن هنا يتضح مدى نكاء المعز لدين الله الذي أراد أن يقضي على الصراع القائم بين زيري بن مناد وجعفر بن علي في المغرب الأوسط قبل أن يرحل إلى مصر، وبالتالي يصفو الأمر لزعيم صنهاجة زيري بن مناد، فقد اتخذ المعز قرار التخلص من جعفر بن علي الذي نجا من القتل بعدما أخبرته عيونها بما يخطط له المعز، حيث كتب له بعزله عن المسيلة ويأمره بالقدوم إليه مع جميع أهله وولده وماله، فعند ذلك أدرك جعفر بموته، فبادر بنفسه وخرج من⁵ المسيلة مع أخيه يحي وأهله في سنة (360هـ/971م)، والتحق بالقبائل الزناتية⁶، فكان خروجه عن طاعة الفاطميين السبب المباشر الذي أدى إلى مقتل زيري بن مناد عند خروجه في طلبه بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله كما ذكر من قبل.

ولا ندري أي مبرر جعل جعفر بن علي يتعجل بالإفصاح عن تطلعاته، ولم يكتفها أو على الأقل يؤجلها إلى أن يحين الأوان، وربما كان مدفوعا بشعور أحقيته دون غيره بهذا الامتياز، لما له من فضل وأسرته في قيام نظام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، خاصة لما قام المعز لدين الله ببناء دار ابن رباح، وهي المعروفة في القيروان بدار الإمارة، فشاع بين الناس أنها بنيت لجعفر بن علي، وأن المعز سوف يعطيه ولاية إفريقية، وأن المغرب كله لزيري، فعظم ذلك على جعفر الذي كان يطمح أن يكون الحاكم الأوحد لبلاد المغرب دون سواه⁷. وبذلك المقابلة التي جمعت بين المعز لدين الله وجعفر بن حمدون أظهرت قصور المنظور السياسي لجعفر في كيفية التعامل مع مستجدات الأحداث وصولا إلى تحقيق أهدافه، فجاء رد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله محبطا ومخيبا للأمل، وربما داعبت مخيلة بني حمدون في أن يتصدروا الأمور في هكذا مواقف جزاء ولأنهم

¹ عبد العزيز الفيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م، ص 189

² شهاب المرجع السابق، ص 129

³ المقرئزي، اتعاظ الحلفاء، ج 1، ص 99.

⁴ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 191 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 172 روجي إدريس، المرجع السابق ج 1، ص 67

⁵ ابن حيان المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص 36

⁶ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 72.

⁷ الدويري، المصدر السابق، ج 24، ص 91، روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 67.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

وخدماتهم بما أحدث قطيعة لا لقاء بعدها بالخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، هذا ما دفع جعفر بن علي في التفكير في خيارات بديلة والرحيل عن المسيلة¹.

أما القبائل الكتامية حلفاء الفاطميين منذ بداية الدعوة الإسماعيلية، فقد بعث المعز لدين الله الفاطمي إلى شيوخ كتامة رسولا من أمنائه يختبر حقيقة طاعتهم وولائهم للخلافة الفاطمية، وقال لهم : يا إخواننا إن ننفذ رجالا من قبلنا إلى بلدان كتامة يقيمون بينهم وياخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها علينا في بلادهم فإذا احتجنا إليها أنفدنا خلفها، فاستعنا بها على ما نحن سبيله...»، فرد أحد شيوخ كتامة بكبرياء على رسول المعز لدين الله قائلا له : « قل لمولانا والله لأفعالنا هذا أبدا كيف تؤدي كتامة الجزية يصير عليها في الديوان ضريبة ... وقد أعزها الله قديما بالإسلام، وحديثا معكم بالإيمان، سيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب »².

ولم يجد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله مخرجا سوى التوجه إلى زعيم قبيلة صنهاجة بلكين بن زيري بن مناد ليعرض عليه ولاية إفريقية والمغرب، دون كتامة التي وقعت هي الأخرى موقفا جافيا، أشبه ما يكون بموقف جعفر بن علي بن حمدون³.

وبطبيعة الحال استمال خلفاء الدولة الفاطمية القبائل الصنهاجية بدلا من القبائل الكتامية، وأسندوا إليهم أمور مهمة داخل الدولة تقديرا لهم على خدماتهم التي كانت سببا في توطيد دعائم ملك الفاطميين أثناء حكمهم في بلاد المغرب⁴، فقد كشف قائد صنهاجة بلكين بن زيري عن حنكة سياسة في الحوار الذي جمعه مع المعز لدين الله، مما يدل على دهائه السياسي ونضجه الدبلوماسي⁵ حيث قال له المعز : « تأهب لخلافة المغرب، فأكبر ذلك وقال: يا مولانا أنت وأباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري قتلتي يا مولانا بغير سيف ولا رمح، فما زال به المعز حتى أجاب بشرط أن المعز يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الحيز لمن يثق به ويجعله قائما بين أيدي هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الأمر لهم، ويصير كالخادم بين أولئك...»⁶.

وبهذا الرد جعل بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي يتحين الفرصة كما ذكر عبد العزيز الفيلاي حتى يحصل على ما كان ينشده، فقد تصنع الخوف من مسؤولية ولاية إفريقية وبلاد المغرب بكل ما فيها من فوضى سياسية واضطرابات اجتماعية وتناقضات مذهبية⁷، والدليل على ذلك سير الأحداث فيما بعد يدل على أن كلام بلكين بن زيري لم يكن إلا مجرد كلمات هدفها زيادة ثقة المعز لدين الله به، حيث سيدخل في خلاف كبير مع عامل

¹ شهاب المرجع السابق، ص 129

² المقريري، اتعاط الحلفاء، ج 1، ص 98.

³ سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 190.

⁴ الظمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 119.

⁵ الفيلاي، العلاقات السياسية، ص 190.

⁶ المقريري، الخطط المقريرية، ج 2، ص ص 36-37.

⁷ الفيلاي، العلاقات السياسية، ص 190.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

الخلافة حول شؤون الحكم، والأهم بالنسبة لبلكين بن زيري حاليا هو أخذ الشرعية في حكمه الإفريقية والمغرب، وفعلا حصل عليها باستثناء صقلية، وطرابلس¹.

وحتى يضمن استمرار ولاء هذه البلاد لدولته، ويبقى النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب مستمرا، بالرغم من أن المعز لدين الله كان على دراية أن هذا النفوذ والاستمرارية في الولاء لا تدوم طويلا لما عرفه عن البربر وطبيعتهم الثورية²، لذلك رأى أن أفضل وسيلة للاحتفاظ بتبعية المغرب للفاطميين أن يعمل على إضعاف القبائل، وإثارة الفرقة والتنافس بينها حتى تظل في نزاعات وحروب متواصلة³، وبذلك لا يفكر أهل المغرب في الخروج عن طاعة الفاطميين، وهذا ما تؤكد وصايا⁴ المعز لدين الله لبلكين بن زيري الصنهاجي قبل رحيله إلى مصر.

فترك المعز لدين الله الفاطمي⁵ إفريقية والمغرب لبلكين بن زيري، ويذكر ابن خلدون بقوله : «... وسماه يوسف بدلا من بلكين، وكناه أبا الفتوح، ولقبه سيف الدولة...»⁶ ورحل المعز إلى مصر، وكان ذلك سنة (361هـ / 972م)⁷، وتوجه بجميع من كان في قصره وأهل بيته، ورحل معه بلكين بن زيري إلى سردانية⁸، فسلم إليه إفريقية والمغرب، وأمر الناس بالسمع والطاعة له⁹، ودخل المعز القاهرة سنة (362هـ/973م)، وتولى بلكين بن زيري أمور إفريقية والمغرب¹⁰، إلا أن الصراع في بلاد المغرب ما لبث أن اتخذ بعدا محليا مع غياب الحكم الفاطمي المباشر، فأخذت القوى السياسية في المغرب الأقصى والأوسط تتصارع على النفوذ وملء الفراغ الذي تركته الدولة الفاطمية، والذي كان على بلكين بن زيري أن يسد¹¹هـ، يقول ابن أبي دينار : ... ولما مهد الأمور بإفريقية رحل إلى المغرب في شعبان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وفيها عصى أهل تيهرت، فنزل عليها، وظفر

¹ فقد جعل المعز لدين الله على صقلية أبا القاسم علي بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، وعلى طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامي، ينظر: أبو الفداء، المصدر السابق، ص 452؛ النويري، المصدر السابق، ج 28، ص 87؛ ابن أبي دينار المصدر السابق، ص 74؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 63 المقرئ، اتعاط الحنفا، ج 1، ص 101؛ الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص 74؛ الطمار المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 43.

² الفقي، المرجع السابق، ص 184.

³ سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 236.

⁴ وصايا المعز لدين الله الفاطمي لبلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي عند رحيله إلى مصر، وتركه خليفة له في إفريقية والمغرب بقوله: « يا يوسف إن نسيت ما أوصيك به فلا تنس ثلاث لا ترفع الجبايا عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول أحدا من أهل بيتك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وأصيك خيرا بأهل الحاضرة »، ينظر: ابن أبي دينار

⁵ المصدر السابق، ص 74؛ ابن خلدون المصدر السابق، ج 6، ص 206؛ ابن الخطيب المصدر السابق، ص 65 إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 65.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 206.

⁷ وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية رحيل الفاطميين إلى مصر، ينظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 120؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ص 452.

⁸ سودانية جزيرة كبيرة في بحر المغرب، غزاها المسلمون وملكوها سنة (92هـ/711م) في عسكر موسى بن نصير عند فتحه للأندلس، ووجدت عند البعض أن سردانية مدينة تابعة لصقلية، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 209.

⁹ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 93 بورويبة، المرجع السابق، ص 14.

¹⁰ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 65.

¹¹ سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 237.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

بأهلها، فسبى الذرية، ونهب الأموال، وبلغه الخبر عن زناتة أنهم نزلوا على تلمسان وملكوها ، فرحل إليهم...»¹، ويضيف ابن خلدون بقوله : «... ونزل على تلمسان وحاصرها حتى أنزل أهلها على حكمه، ونقلهم إلى أشير....²»، ولكنه لم يتوغل أكثر في المغرب بناء على أوامر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حسب ما ذكره ابن أبي دينار³.

تذكر المصادر التاريخية أنه في سنة (367هـ / 978م) عقد الخليفة الفاطمي العزيز بالله (365-386 / 1996-976م) لبلكين بن زيري على طرابلس ونواحيها⁴، وبذلك أصبح ملك الزيريين يشمل المغرب بأكمله⁵، وعاد الزناتيون إلى الثورات مرة أخرى، فرحل بلكين بن زيري إلى المغرب، وفرت أمامه زناتة، فملك فاس وسجلماسة حسب قول ابن خلدون⁶، وفي سنة (368هـ / 979م) سار بلكين بن زيري في جيش كبير إلى المغرب الأوسط ثم زحف إلى مدينة فاس، واستطاع طرد عمال بني أمية، ثم استرجع سجلماسة⁷، وتوفي في سنة (373هـ/984م) في طريق عودته إلى إفريقيا⁸.

وعلى كل حال لم تكن منطقة الحضنة بعيدة عن الأحداث والصراعات التي حدثت في بلاد المغرب في العهد الزيري، فقد تراجعت أهميتها السياسية بعد رحيل الفاطميين إلى مصر خاصة بعدما قام الزيريون بنقل عاصمة الزاب إلى أشير بدلا من المسيلة، فأصبحت مركز قوة صنهاجة، فهي تمثل القاعدة التي انطلقت منها صنهاجة لبسط نفوذها وسلطانها على إفريقية والمغرب، وظلت في عهد بلكين بن زيري المركز الاستراتيجي الأول للوقوف في وجه القبائل الزناتية.

فيقول إسماعيل العربي أن الزيريين انتقلوا من عاصمتهم أشير إلى المنصورية بعد رحيل الفاطميين إلى مصر إلا هذا الرحيل أبقاهم آسفين على ترك مدينتهم الأولى في المغرب، فقد كان بلكين بن زيري وهو يتربع على عرش القيروان يقضي معظم أوقاته في أشير التي زاد من تحصيناتها ببناء سور مرتفع حولها⁹، وبذلك استطاع

¹ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 209.

³ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 74.

⁴ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 230؛ أما ابن أبي دينار فيقول : « وبعث إلى العزيز يطلب منه سرت وإجدابية وطرابلس وأن يضيفها إلى عمله، فأنعم عليه بها ، ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 75؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 206 بورويبة، المرجع السابق، ص 16.

⁵ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 71.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 206؛ ويذكر ابن عذارى أنه في سنة (367هـ/978م): « زحف خرزون بن فلفل بن خزر الزناتي إلى سجلماسة في جيش كبير، فرخ إليه المعتز عاملها فحدث بينها قتال كبير، فقتل المعتز وملك خرزون سجلماسة، وأخذ منها أموالا، وبعث خرزون رأس المعتز إلى الأندلس»، ينظر: ابن عذارى المصدر السابق ج 1، ص 230-231

⁷ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 231؛ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 71.

⁸ عن وفاة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 207؛ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 239؛ ابن أبي دينار ، المصدر السابق، ص 75

⁹ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 73-74.

الفصل الثاني : الحضنة في عهد الدولة الحمادية

بلكين بن زيري أثناء فترة حكمه أن يفرض هيمنته وسلطانه على بلاد المغرب، وأن يضع القاعدة الأساسية لإقامة دولة بربرية في إفريقيا والمغرب الأوسط¹.

¹ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 29.



الفصل الثالث: القبائل الهلالية

في إقليم الحضنة



الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

أولاً: بنو هلال ومواطنهم الأصلية

يعتبر غزو الأعراب من بني هلال لبلاد المغرب من الأحداث الكبرى التي شهدتها البلاد، والتي سوف يكون لها تأثير كبير في جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الحضنة، وقد كان لهذا الغزو أيضاً أثر على العلاقات بين الحماديين والزيريين من جهة وبين الزيريين والحماديين والدولة الفاطمية في مصر من جهة أخرى، ولكن قبل التعرف عن أسباب القطيعة وتأثيرها على بلاد المغرب عامة والحضنة خاصة، كان لابد لنا من التطرق إلى التعريف بهذا العنصر البشري الجديد الوافد على المنطقة من خلال التعرف على نسبهم ومواطنهم الأصلية، وأهم بطونها وهذا العنصر سوف يكون له دور كبير في تحريك أحداث البلاد، وتغيير الخارطة السياسية لبلاد المغرب.

1- نسب القبائل الهلالية

يعتبر بني هلال من أهم وأقوى القبائل العربية التي حلت ببلاد المغرب، نظراً لكثرة عددهم وتعدد بطونهم بحيث غطى اسمهم على القبائل العربية الأخرى الوافدة معهم إلى المنطقة، وفي الحقيقة كانت هذه القبائل أخلاطاً من القبائل العربية من بينهم بني هلال وبني سليم، والمعقل¹، وقد يضاف إليهم غيرهم من القبائل العربية لكنهم كانوا أقل عدداً فلم تذكرهم المصادر التاريخية بإسهاب، فدخلت تلك الأعراب أرض إفريقيا والمغرب فاستوطنوها فأصبحت المغرب منقسمة بين أمتين : أمة العرب أهل اللسان العربي وأمة البربر أهل اللسان العربي حسب قول السلاوي².

أما عن نسب هذه القبائل العربية فلقد اعتنى العرب بضبط أنسابهم، وعرفوا بتعصبهم لها، فيقول ابن حزم أن: « جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاث رجال وهم عدنان وقحطان وقضاعة فعدنان من ولد إسماعيل بلا شك في ذلك...»³، إلا أن اختلافها وتشابكها أدى بالمؤرخين إلى الاختلاف في نسب الكثير من القبائل العربية، ومن بينها القبائل الهلالية والتي يرجعها العديد من النسابة إلى قيس عيلان، وهذا ما ذكره ابن حزم بقوله: «... بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن قيس بن مضر...»⁴، وهذا ما ذكره ابن خلدون بقوله: « وكانت بطون هلال وسليم من مضر »⁵، أما القلقشندي يذكر أن: « بنو هلال بطن من عامر بن صعصعة بن هوزان من العدنانية »⁶ فيرجع نسبهم إلى عرب الشمال وهم

¹ مصطفى أبو ضيف القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م، ص 59

² السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 166.

³ ابن حزم، المصدر السابق، ص 07.

⁴ المصدر نفسه، ص 273؛ وهذا النسب نجده كذلك عند السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 166.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 18.

⁶ أبو العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1980م، ص 235

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

العدنانيون، إلا أن البعض رأى انتساب القبائل الهلالية إلى قيس عيلان غير صحيح، وأن نسبهم في بني كنانة، لأن ديار القوم لم تكن مرتبطة بديار بن هلال بن عامر¹. (ينظر : الملحق رقم 29)

أما بنو سليم فهم كذلك من القبائل العربية التي زحفت نحو بلاد المغرب، فهم بنو سليم بن المنصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان²، من أوسع بطون مضر وأكثرهم عددا، كانت مواطنهم الأولى في مدينة نجد³، وكانت الزعامة فيهم لبني الشريد بن رياح بن ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم، ومن أشهر بطونهم عطية ورعل وذكوران، وكانوا في عهد الخلافة العباسية شوكة وبغي وفتنة على قول ابن خلدون⁴ ولما ظهر القرامطة انضموا إلى فتنهم وتحالفوا مع أمرائهم في البحرين اشتركوا في الحرب ضد الفاطميين في الشام ومصر والحجاز، وعندما تغلب المعز لدين الله الفاطمي على القرامطة أرغمهم على الارتداد إلى البحرين⁵، فلما انقرض أمرهم اعتنق بنو سليم المذهب الشيعي وتغلبوا على البحرين واستقروا في المنطقة إلى غاية قيام بنو الأصفر بدعوة العباسيين فطردوهم منها فالتحقوا بصعيد مصر وهم أربعة بطون وهي زغب وذياب وهيب وعوف⁶. (ينظر : الملحق رقم 30)

في حين قبائل المعقل فهم أقل القبائل العربية الداخلين إلى بلاد المغرب، كان عددهم لا يتجاوز المائتين⁷، وارجع المؤرخون نسبهم إلى بني هلال وعرب اليمن، وكانت هذه القبائل تدعى النسب الهاشمي إلى جعفر بن أبي طالب، ولكن هذا النسب يعتبره ابن خلدون غير صحيح⁸، انتشرت قبائل المعقل في صحراء المغرب الأقصى وهم ثلاث بطون ذوي عبد الله، وذوي منصور وذوي حسان، فاعترضهم بنو سليم فانظموا إلى بني هلال ونزلوا مما يلي وادي ملوية، وجاوروا القبائل الزناتية في القفار، وازداد عددهم بصحراء المغرب الأقصى، فاستقروا في أطرافها وتحالفوا مع زناتة في سائر الأيام، ولم يبق من تلك القبائل في إفريقية إلا القليل⁹.

¹ معز الدين محمد المهدي الحسيني القزويني، أسماء القبائل وأسبابهم تحقيق كمال سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000م، ص 245؛ عبد الحميد خالدي الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومه الجزائر 2003م، ص 13

² تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مراجعة: إبراهيم رمزي، مطبعة المعارف، مصر، 1916م، ص 64.

³ نجد: هي اسم الأرض العريضة التي أعلاها التهامة واليمن وأسفلها العراق والشام تشمل على مكة والمدينة واليمامة، ينظر : الحموي، المصدر السابق مج 5، ص 262، أما ابن حوقل المصدر السابق، ص 29، يذكر أن نجد متصلة بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام، في حين الحميري المصدر السابق، ص 572، يقول أن نجد ما بين الحجاز والشام فالطائف من نجد والمدينة من نجد.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 94.

⁵ الهلالي اسعد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية للهلاليين وتفاعلاتها في منطقة المسيلة، أعمال الملتقى الوطني السادس تاريخ وأعلام المسيلة، دار الثقافة، المسيلة 2017م، ص 79.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 94-95

⁷ السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 142.

⁸ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 94.

⁹ السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 142

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

2- المواطن الأصلية للقبائل الهلالية:

إن عدم استقرار تلك القبائل وتقلها الدائم صعب علينا تحديد مواطنهم الأولى بدقة، إذ تكاد تتفق أغلب المصادر التاريخية التي بين أيدينا على أن أصلهم من بلاد الحجاز وبعض تخوم نجد، وهذا ما نجده عند ابن خلدون في قوله : «... كانوا أحياء ناجعة محلاتهم من بعد الحجاز بنجد، فبنو سليم مما يلي المدينة، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ربما كانوا يطفون في رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام، فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق»¹، في حين يذكر السمعاني أنهم : «نزلوا الكوفة»² وكانت قبائل بدوية رعوية، تعيش حياة فقر مضطربة³ وأغلب الظن أن الهلاليين وجيرانهم من بني سليم قد تكاثروا وازداد عددهم على مر الأيام في نجد وساعدهم في ذلك انشغال الدولة عنهم بالفتوحات والتوسعات حيناً وتوطيد أركان الحكم في الحواضر حيناً آخر⁴.

وبذلك كرهت تلك القبائل العربية النظام أياً كان مصدره ومن ثم كانوا من خصوم الدولة القائمة، ولما كانت صفة التمرد والثورة على السلطة من صفات الأعراب الهلاليين فإنهم لم يقفوا عند قطع الطريق وتهديد الأمن بل تعدوا كل ذلك إلى الانطواء تحت راية كل ثائر يريد الاستقلال⁵، ولعل الفوضى السياسية التي أحدثتها القرامطة⁶ بخروجهم على طاعة الفاطميين والاستيلاء على البحرين، وسعيهم إلى التوغل داخل الجزيرة العربية بالإضافة إلى شنهم للغارات على المسالك ونهب الحجيج⁷ قرب بينهم وبين القبائل الهلالية، وقد مهد جهل تلك

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 18.

² أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني الأنساب، تقديم: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت لبنان، 1988م، ج 5، ص 657

³ الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، (د.ت.ط)، ص 211، يضيف أنهم حاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم حرباً شنيعة وقاوموا الدين الجديد (الإسلام) ولم يستسلموا في النهاية إلا عدوة وبالقوة، وكان إسلامهم واهياً، وإيمانهم بغير إخلاص، وحاولوا الامتناع من دفع الجزية وأداء الفروض الدينية وكانوا مصدرًا للتوتر في العهد الراشدي والأموي، وازداد نهيبهم وتمردهم في أيام الخلافة العباسية.

⁴ أبو ضيف، المرجع السابق، ص 159 الفرد بل، المرجع السابق، ص 211.

⁵ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 145.

⁶ القرامطة: ترجع جذورهم إلى الأفكار الدينية التي تتعلق بالمهدي المنتظر في العقيدة الشيعية، وعقائدهم الدينية الإسماعيلية شيعية في مجملها، ترجع إلى رجل بإحدى القرى بسواد الكوفة اسمه حمدان بن الأشعث، يقال له "ترميطة" ويلقب كذلك كرميطة الحمرة عينيه، وكان يدعى الورع والزهد ويدعو إلى الإمام من أهل البيت، ينظر : ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 118 عبد القادر صالح العقائد والأديان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2003م، ص 266

⁷ المصدر نفسه، ج 6، ص 18 الفرد بل المرجع السابق، ص 1211 ويذكر أبو ضيف، المرجع السابق، ص 59، أن ذلك كان أيام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

القبائل بطبيعة العلاقة الرابطة بين القرامطة والفاطميين بمصر إلى تسهيل تحريك الفاطميين لهذه القبائل على طاولة المصالح السياسية للدولة¹.

وفي حقيقة الحال لم يكن الجانب الديني هو الذي جذب بني هلال وبني سليم للانضمام للقرامطة بل أنها كانت فرصة للنهب والفوضى والخروج عن النظام، فالكثير منهم اشتركوا في الاستيلاء على مكة تحت زعامة القرامطة²، وهناك انطلقوا يعبثون في الأرض فسادا وتخريبا، ولما تغلب الفاطميون على القرامطة في الشام أعادوهم إلى البحرين ونقلوا أتباعهم من بني هلال وبني سليم وأنزلوهم بالصعيد المصري على الضفة الشرقية من نهر النيل فأقاموا هناك وكانت لهم أضرار بالبلاد كما ذكر ابن خلدون³.

وكان المقصود باستقدام الأعراب الهلالية والسلمية إلى صعيد مصر والضفة الشرقية من النيل هو إضعاف شوكة القرامطة بالإضافة إلى تقرب الفاطميين من القبائل العربية للاستعانة بهم في حروبهم وتدعيم قوتهم واستغلال العصبية فيهم⁴، واشترط عليهم الفاطميون ألا يعبروا إلى الضفة الغربية وذلك من أجل الحيلولة بينهم وبين الانضمام إلى أعداء الفاطميين في بلاد المغرب فاستقروا بالصعيد الأعلى في مصر⁵، ولكن هؤلاء الأعراب لم يستطيعوا الخروج عن طبائعهم فنقلوا إلى الديار المصرية ما اعتادوا عليه من شرائع الصحراء، وانزلوا بها أضرار كبيرة، وأحرقوا البلاد وأصبحوا يشكلون خطرا حقيقيا على الدولة الفاطمية في مصر⁶، ورغم جسامه الضرر الذي ألحقه بالبلاد إلا أنهم مع مرور الوقت تمكن بعضهم من الخروج على طبائعهم فاندمج عدد كبير من بني سليم مع السكان المحليين في الصعيد المصري، وتحضروا وأصبحوا يشكلون جزء من أهل البلاد، أما بني هلال فقد ظلوا على بداوتهم يمارسون عاداتهم وتقاليدهم⁷.

ثانيا - دوافع الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب:

¹ إبراهيم إسحاق إبراهيم، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1996م، ص 45 سالم، المرجع السابق، ج 2، ص 66.

² الفرد بل، المرجع السابق، ص 211.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 18

⁴ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 147؛ في حين يذكر حسين مؤنس: أن المعز بالله الفاطمي هو الذي قام بنقلهم إلى صعيد مصر وأسكنهم الضفة الشرقية من النيل واشترط عليهم الا يعبروا إلى الضفة الغربية، وكان هدفه من ذلك الحيلولة بينهم وبين الانضمام إلى أعداء الفاطميين في المغرب، بنظر مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 167.

⁵ مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 167.

⁶ يونس عبد الحميد الهلالية في الأدب والتاريخ، ط2، دار المعرفة، القاهرة، 1962م، ص 69.

⁷ لهلالي، المرجع السابق، ص 80.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

إن الشائع لدى المؤرخين أن الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بكل ما تبعها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية، إنما كانت نتيجة حتمية للطبيعة السياسية والمذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة، وبين نوابها الزيريين في إفريقية،¹ وبذلك كان الاتصال بالخلافة العباسية ببغداد لأول مرة كبديل شرعي لخلافة القاهرة الفاطمية²، فالواقع السياسي السائد في مصر وبلاد المغرب عشية التدفق الهلالي كان يشوبه تدهور العلاقات بين الدولة الزيرية في بلاد المغرب وبين السلطة الفاطمية بمصر، حيث أعلن المعز بن باديس إنهاء التبعية للخلافة الفاطمية ومناصرته للخلافة العباسية في بغداد. ويبدو أن هناك دوافع أخرى دفعت بالحكام الفاطميون لتخلص من القبائل الهلالية لأنها كانت تشكل مصدراً للاضطرابات والفتن، بالإضافة إلى عجز الدولة الفاطمية مجابهة بني زيري عسكرياً، ولاسيما أن مصر في تلك الفترة كانت تعاني من عدة أزمات اقتصادية أدت إلى حدوث مجاعات وهذا ما أشار إليه حسن الوزان من خلال ما ذكره الوزير اليازوري للخليفة المستنصر بالله الفاطمي (427-487هـ / 1036-1094م)³ قائلاً: «... إنك تعلم يا مولاي أن سكان الجزيرة العربية تكاثروا إلى حد أن البلاد أصبحت اليوم لا تسعهم جميعاً، وما تنتجها الأرض يكاد لا يكفي لعلف الماشية لشدة قحطها، والناس لا يشكون فيها قلة الأماكن للسكنى فحسب، وإنما يعانون أيضاً قلة الطعام، لهذا فإنهم سيهاجرون إلى إفريقية إن أذنت لهم بها»⁴.

فما لا شك فيه أن القبائل الهلالية المستوطنة بصعيد مصر لم تكن بمعزل عن هذه الأزمات، فهي الأخرى كانت تعيش ظروف اقتصادية متدهورة الأمر الذي جعلهم يقبلون بالإغراءات الفاطمية والهجرة نحو بلاد المغرب.⁵

ومن الواضح أن أمير إفريقية المعز أخذ كل الإجراءات للاستقلال ببلاده عن الدولة الفاطمية⁶، وكان ذلك أثناء خلافة المستنصر بالله ومن الواضح أن الهجرة الهلالية لبلاد المغرب تميزت بطابع خاص كونها لم تأخذ

¹ خضير، المرجع السابق، ص 257.

² زغلول، المرجع السابق، ص 417.

³ المستنصر بالله الفاطمي هو معد بن الظاهر ولد سنة (420هـ / 1029م) تم مبايعته بالخلافة في منتصف شعبان سنة (427هـ / 1036م)، وكان أطول الخلفاء الفاطميين عهداً إذ دامت مدة حكمه ستين سنة وأربعة أشهر، كان جميل المظهر تميز بحنكة سياسية ويذكر اسمه في كافة المنابر من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر، واليمن والحجاز، وبغداد، والموصل، وفي عهده أعلن المعز بن باديس الصنهاجي خلع طاعة الفاطميين، وخرجت صقلية عن طاعته وانفصل الحجاز، توفي سنة (487هـ / 1094م)، ينظر ابن حماد المصدر السابق، ص ص 70-71.

⁴ حسن الوزان، المصدر السابق، ص 45.

⁵ فافة بكوش الهجرة الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (11/05م) وقائعها وتأثيراتها"، مجلة القرطاس جامعة تلمسان 2018م، العدد 07، ص 64.

⁶ الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 149.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

شكل جيش منظم تحت قيادة موحدة، تسيير وفق منهجية مدروسة ومرسومة الأهداف بدقة، وإنما أخذت شكل مجموعات بشرية انتهجت سياسة العنف والخراب أينما حلت.¹

وفي الواقع أن القبائل الهلالية التي نزحت نحو بلاد المغرب ومن دخل معهم من الأعراب، يختلفون تماماً عن عرفنا من عرب الأجيال الأولى التي قدمت إلى المغرب ضمن الفتوحات الإسلامية، لأن بني هلال لم يكونوا جيوشاً نظامية ذات هدف ديني أو قومي واضح، كما في الفتوحات العربية الأولى، وإنما كانوا قبائل بدوية ظلت محافظة على بداوتها، ولم يغيروا طبعهم البدوي، فهم يتحركون في جماعات، تحت قيادة رئيس القبيلة، وكانوا يغيرون على المزارع والمنشآت دون وازع ديني ولا تقدير قيمتها لأن هدفهم هو ضمان معيشتهم فقط.²

1. القطيعة السياسية والمذهبية بين الزيريين والفاطميين:

عرفت بلاد المغرب تغييراً جذرياً بعد اعتلاء المعز بن باديس الحكم، إذ لم يكن هذا الأخير على مذهب الشيعة، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله : «... كان المعز منحرفاً عن الرافضة، ومنتحلاً للسنة، فأعلن بمذهبه لأول ولايته ولعن الرافضة...»³ ، ويرجع ابن عذارى ذلك لتلقي المعز بن باديس مبادئ السنة على يد وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال⁴ بقوله : «... ربي في حجر وزيره أبو الحسن بن أبي الرجال، وكان ورعاً زاهداً، وكانت إفريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة والجماعة من وقت تملك عبيد الله المهدي لها، فحرض ابن أبي الرجال المعز بن باديس، وأدبه ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة...»⁵. وبطبيعة الحال لم يكتف المعز بن باديس بتبنيه للمذهب السني، بل حمل الناس على مذهبه وهذا ما جاء في قول ابن أبي دينار : «... والمعز هذا هو الذي طهر الله تعالى على يديه إفريقية من مذهب الشيعة وأن كان من عمالهم إلا أنه لا يتمذهب بمذهبهم، وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك رضي الله تعالى عنه وقطع من عداه...»⁶.

ويبدو أن اعتلاء المعز بن باديس للعرش صاحبه أحداث كثيرة شهدتها العديد من المدن في إفريقية وبلاد المغرب والمتمثلة في تقتيل الشيعة خاصة في مدينة القيروان، ويرتبط ابتداء أمر هذه الوقائع بجولة قام بها

¹ بكوش، المرجع السابق، ص 63.

² لهلالي، المرجع السابق، ص 81.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 211.

⁴ أبو الحسن بن أبي الرجال هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني الكاتب المغربي القيرواني من أهل فاس ولكنه عاش مدة في بلاط المعز بن باديس تلقى العلوم في الأندلس، تم تعيينه رئيس الإنشاء في الدولة الصنهاجية وهو من لفن المعز بن باديس العلوم، كان من ذوي الميل إلى العلوم الرياضية، كما اهتم بعلم الفلك وبرع فيه له عدة مؤلفات ترجمت لعدة لغات منها البارع في التنجيم، ورسالة الأبراج وكان أيضاً أديباً وشاعراً، وكانت وفاته سنة (426هـ / 1035م)، ينظر: عمر فروخ تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1992م، ج 4، ص 462.

⁵ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 273.

⁶ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 81.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

المعز في القيروان وهو صغير في بعض الأعياد إلى المصلى فذكر خلالها الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بخير، فاغضب ذلك الشيعة وهذا ما أشار إليه ابن عذارى في قوله : «... فخرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلى في زينته وحشود وهو غلام، فكبا به فرسه، فقال عند ذلك أبو بكر وعمر فسمعتة الشيعة التي كانت في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فجاء عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان، ووضع السيف في الشيعة»¹.

وفي سنة (407هـ / 1016م) حدث تقتيل للشيعة وقد ذكر النويري أسبابها بقوله : «ركب المعز في القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له فمر بجماعة فسأل عنهم فقيل: هؤلاء رافضة والذين قبلهم سنة فقال: وأي شيء الرافضة والسنة قالوا : السنة يترضون عن أبي بكر وعمر والرافضة يسبونهما فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر ، فانصرفت العامة من فورها إلى الناحية المعروفة بدرب المقلى من مدينة القيروان ... فقتلوا منهم جماعة، ووقع القتل فيهم... فقتل من الرافضة خلق كثير»².

ومن الواضح أن عمليات القتل للشيعة لم تتوقف عند سنة (407هـ/1016م)، بل تواصلت ولكن هذه المرة خفت حدتها بعد أن قضى على أغلبهم في العديد من مدن بلاد المغرب، ففي سنة (409هـ / 1018م) يذكر ابن عذارى مقتل طائفة من الشيعة كانت متوجهة نحو جزيرة صقلية بقوله : «... خرجت طائفة من الشيعة نحو مائتي فارس بعيالهم وأطفالهم يريدون المهدي للركوب منها إلى صقلية، وبعثت معهم خيل تشيعهم فلما وصلوا إلى قرية كامل، وباتوا بها، تنافر أهل المنازل عليهم، فقتلوهم...»³، وفي سنة (423هـ/1032م) تم قتل عدد كبير من الشيعة، وقد روى ابن الأثير أن جماعات من الشيعة ارتحلت إلى مدينة نفطة واستولوا على بعض مناطقها واستقروا فيها فأرسل المعز بن باديس إليهم عسكرا فحاربوهم وقتلوهم جميعاً⁴ ، ويبدو أن هذه الأحداث الدامية كانت مرحلة تمهيدية للطبيعة المذهبية بين الدولة الفاطمية في مصر والدولة الزيرية في بلاد المغرب.

لقد اختلفت الروايات في المصادر التاريخية في تحديد تاريخ الانفصال النهائي للمعز بن باديس عن الخلافة الفاطمية وقطع الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في القاهرة وذكرت فيها عدة أقوال وتواريخ كانت محصورة بين سنتي (433هـ/1042م) و (443هـ/1051م)، وقد انفرد ابن عذارى بهذا القول ولم تذكره باقي

¹ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 274، ويضيف أن المعز بن باديس قتل عدد كبير من الشيعة قدر بثلاثة آلاف شيعي، فسمى ذلك الموضوع بركة الدم إلى الآن .

² النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 111.

³ ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 269.

⁴ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 205.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

المصادر التاريخية المطلع عليها حيث حدد تاريخ الانفصال سنة (433هـ / 1042م) بقوله : «... في هذه السنة أظهر المعز بن باديس الدولة العباسية، وورد عليه عهد القائم بأمر الله¹.....»² .

في حين ابن الأثير والنويري ذكر تقريبا رواية واحدة وفي سنة (435هـ/1044م) أظهر المعز الدعاء للدولة العباسية ولكنه لم يأمر بقطع الخطبة للفاطميين فقالا : « في هذه السنة أظهر المعز الدعاء للدولة العباسية، ووردت عليه الرسل، ووصله السجل من القائم بأمر الله، وأوله: من عبد الله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحى نور الإسلام، وشرف الأيام، وعمدة الأنام، ناصر دين الله، وقاهر أعداء الله، ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي أمير المؤمنين ... فوصل ذلك يوم الجمعة، فدخل به إلى الجامع والخطيب على المنبر في الخطبة الثانية عند الاستغفار، فدخلت الألوية إلى الجامع، فقيل للخطيب: أذكر الساعة ما أمكن، فقال: هذا لواء الحمد يجمعكم، وهذا معز الدين يسمعكم، واستغفر الله لي ولكم، وقطعت الخطبة للفاطميين وأحرقت بنودهم...»³، واقتصر ابن أبي دینار علي العبارة التالية: «... وفي سنة خمس وثلثين وأربعمائة أظهر الدعوة لبني العباس وورد عليه عهد الإمام القائم بأمر الله العباسي...»⁴، أما المقرئ فهو الآخر ذكر نفس السنة (435هـ / 1044م) بقوله: « فيها قطع المعز بن باديس الخطبة للمستنصر، ودعا ببلاد إفريقية للخليفة القائم بأمر الله العباسي »⁵.

كما ذكرت بعض المصادر أن خلع المعز بن باديس طاعة الفاطميين كان سنة (437هـ/1046م) أمثال ابن خلدون بقوله : « وقطع أسماءهم من الطرز والرايات وبايع القائم أبا جعفر بن القادر . من خلفاء بني العباس وخاطبه ودعا له على منابره »⁶، إلا أنه لم يصدر أي رد فعلي عن قطع الدعوة للفاطميين الذين كانوا يرون في احتفاظ الزيريين بأعلامهم واستمرار الدعوة لهم على المنابر بصيصا من الأمل في أن تعود المياه إلى مجاريها، وليس من شك أن الاتصالات بين الطرفين كانت مستمرة في هذه الفترة، إلا أنها تجمدت وحدثت القطيعة حينما أمر المعز بن باديس بإسقاط أسماء الفاطميين وسبهم في خطبة الجمعة وإحراق بنودهم وكان ذلك في سنة (440هـ/1048م)، وهي نفس السنة التي ذكرها عبد الواحد المراكشي بقوله : « حين تغير ما

¹ القائم بأمر الله هو عبد الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر بالله القائم بأمر الله يكنى أبا جعفر، الخليفة العباسي السادس والعشرون في ترتيب خلفاء الدولة العباسية، ولد سنة (391هـ/1001م) ببغداد، تولى الخلافة سنة (422هـ / 1031م) بعد وفاة والده الخليفة العباسي القادر بالله، وقد عرف عهده قيام قوة السلاجقة توفي سنة (467هـ / 1075م) دامت فترة حكمه ما يقارب 45 سنة، ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د.ت.ط)، ج 3، ص 326

² ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص ص 275-275.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 266 النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 116

⁴ ابن أبي دینار، المصدر السابق، ص 82.

⁵ المقرئ، اتعاط الحنفا، ج 2، ص 190.

⁶ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 19.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

بينهم وبين المعز بن باديس الصنهاجي وقطع الدعاء لهم على المناير ودعا لبني العباس «¹ ، وهذا ما نجده كذلك عند ابن عذارى بقوله : « قطع دعوتهم... وأمر المعز بلعنهم في الخطب وخلعهم »² وقد تذبذب ابن عذارى في تحديد تاريخ القطيعة، لأنه ذكره أول الأمر سنة (433هـ / 1042م)، وهذا ما حدث مع ابن أبي دينار حين ذكر أنه : «... في سنة أربعين وأربعمائة قطع خطبة بني عبيد وقطع بنودهم واحرقها بالنار...»³، أما ابن خلدون عاد مرة أخرى ليقول أن تاريخ الانفصال كان سنة (440هـ/1048م)⁴ وهذا ما ذكره كذلك ابن الأثير.⁵

أما أوج الأزمة التي عرفتها العلاقات الفاطمية والزييرية فقد حددتها بعض المصادر التاريخية سنة (441هـ/1049م) عندما قرر ضرب السكة وتبديل عملة الفاطميين⁶، يذكر المقرئ أنه سنة (443هـ / 1051م) : «... أظهر المعز الخلاف على المستنصر، وسير رسولا إلى بغداد ليقيم الدعوة العباسية، واستدعى منهم الخلع فأجيب إلى ذلك...»⁷، وهذا التذبذب في تاريخ انفصال المعز بن باديس عن الدولة الفاطمية وإعلانه الولاء للدولة العباسية صعب علينا تحديد التاريخ الفعلي للقطيعة، والأرجح أنها كانت سنة (435هـ/1044م)، حيث بدأت بوادر الأزمة في الظهور بين الدولتين وبعدها توالى البعثات الرسمية بينهما إلى أن تمت القطيعة النهائية بينهما.

وبطبيعة الحال نتيجة لذلك أدرك الفاطميون أن الموقف بلغ نقطة لا رجعة منها وقرروا أن وقت الانتقام قد حان وفي حقيقة الحال رأى الفاطميون الفرصة سانحة لاستغلال قوة بني هلال وبني سليم في محاربة دولة بني زيري في بلاد المغرب⁸، وعليه يمكن القول أن القطيعة السياسية والمذهبية التي أعلنها الزيريين اتجاه الخلافة الفاطمية والأزمات الاقتصادية التي عرفتها مصر في تلك الفترة، وطابع البداوة والفوضى والاضطرابات التي أحدثتها القبائل الهلالية بالدولة الفاطمية، كل هذه العوامل مجتمعة شكلت الدوافع الحقيقية من وراء الهجرة الهلالية نحو بلاد المغرب.

2. الزحف الهلالي نحو بلاد المغرب

¹ عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية، القاهرة، 1963م، ص 435.

² ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 277.

³ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 82.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 79.

⁵ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 295.

⁶ ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 278-279.

⁷ المقرئ اعطاء الحلقا، ج 2، ص 214.

⁸ الغلمي، المرجع السابق، ج 4، ص 150.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

يذكر ابن الوردي¹ في تاريخه أن الخليفة الفاطمي لما علم أن المعز بن باديس خطب للقائم بأمر الله العباسي أزعجه الأمر واعتبر ذلك تمردا عن الدولة الفاطمية وعصيانا لها من نوابه الزيريين في القيروان، فكتب إلى المعز بن باديس وهو يرعبه ويرهبه بقوله : هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء...» ويتوعده بإرسال الجيوش للقضاء على هذا التمرد، فكان رد المعز عن كتاب المستنصر بالله الفاطمي بقوله : «... إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا بأسيا فهم...»² ، بهذا الرد كانت بداية انتهاء التبعية السياسية والمذهبية لدولة بني زيري بالدولة الفاطمية.

إلا أن المستنصر بالله لم يقف موقف المتفرج من هذه الأحداث السلبية، ولكن يبدو أن الضعف الذي أصاب دولته، بعد الإحداث التي وقعت في الشام بظهور حركات انفصالية عن الدولة الفاطمية³، والصراعات الداخلية التي شهدتها مصر، بالإضافة إلى التخوف من مغامرة عسكرية في إفريقية غير مضمونة النتائج، جعله عاجزا عن التدخل المباشر في شؤون بلاد المغرب⁴، وقد وضح لنا إسماعيل العربي الأسباب التي منعت المعز من التدخل المباشر في بلاد المغرب بقوله: لم يكن من الممكن أن يفكر الفاطميون جديا في غزو المغرب بجيوشهم، فإن القبائل الكتامية التي أمدتهم بالجنود ومكنتهم من الاستيلاء على الحكم في إفريقية، قد استرخت الآن وخلدت لحياة البذخ في قصور القاهرة، وجوهر الصقلي الذي أخضع لهم المغرب الأقصى وتصدى لتمرد القبائل الزناتية، وفتح مصر والشام قد مات ولم يعد موجود، وأما القيام بجمع الجيوش من مصر هذا الشعب الذي لا يعرف للحرب يسكنوها عرضة لكثير من غاراتهم، وأن نقلهم إلى شمال إفريقية يحقق رغبة سياسية للتخلص من الفوضى التي كانوا يحدثونها⁵، ويذكر ابن عذارى بأن المستنصر بالله الفاطمي أذن للعرب باجتياز النيل بعد أن كان ممنوعا عليهم واعطى كل مجتاز منهم دينارا⁶. (ينظر: الملحق رقم 31)

من الواضح أن دافع الفاطميين من إرسال هذه القبائل العربية هو خشيتهم من أن يمتد خطر الاستقلال ونبذ الطاعة لهم إلى حدود مصر الغربية، ومن هنا كانوا قد أعدوا لذلك خطتهم المزدوجة المتمثلة في الدفع بالقبائل الهلالية إلى بلاد المغرب للتخلص من نفوذهم و سوء معاملتهم وعدم خضوعهم لسلطة الفاطميين والحركات

¹ زين الدين بن عمر بن الوردي تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1996م، ج 1، ص 472.

² النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 116

³ بن قرية، المرجع السابق، ص 107.

⁴ طقوش، المرجع السابق، ص 370

⁵ طقوش، المرجع السابق، ص 1380 الصالح مرمول، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ص 177.

⁶ ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 288.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

العصيان والاقْتتال فيما بينهم من جهة، والانتقام من المعز بن باديس¹ لقطع الدعوة للفاطميين ونبذ المذهب الشيعي الإسماعيلي من جهة أخرى.

وبطبيعة الحال لما أحكم الوزير اليازوري مؤامرتة، كتب إلى المعز بن باديس كتابا يقول فيه: « أما بعد، فقد أرسلنا إليكم فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كعولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا»²، وبذلك شهدت بلاد المغرب أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري / منتصف القرن الحادي عشر الميلادي³ نزوح القبائل الهلالية التي توجهت إلى برقة، وكان الخليفة الفاطمي قد أقطعهم إفريقية والمغرب وأعطاهم ما سماه ملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقروا بعد ذلك ويذكر ابن خلدون أنهم لما : «... أجازوا النيل إلى برقة، وكتبوا لإخوانهم شرقي النيل يرغبونهم في البلاد، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعافا ما أخذوه.....»⁴ . (ينظر : الملحق رقم 32)

ويبدو أن الزيريين والحماديين كانوا يجهلون عواقب الحملة الهلالية على بلاد المغرب، وأن المعز بن باديس قد أخطأ في تقديره لخطر الأعراب، ولم يظن أنهم يشكلون خطرا كبيرا على دولته، فحسب الهادي روجي إدريس لم يعر المعز أية أهمية إلى الأخبار التي تصله عن تلك القبائل، ولم يشعر بالخطر الذي كان يهدده، وذلك أنه لم يدرك في أول الأمر أن القضية تتعلق باجتياز كبير للأعراب، وأن جغرافية إفريقية الطبيعية لا تتوفر على حواجز تقف في وجه ذلك الاجتياح، ويضيف أن المعز قد أفرط في تقدير قواته المسلحة التي تمكنت من إيقاف تقدم زناتة⁵، بالإضافة إلى نظرة الاستخفاف، حيث كان المعز بن باديس يستحقر هؤلاء القوم الذين كانوا حسب رأيه على هامش الحضارة، إلا أن الدلائل التاريخية تؤكد أن الأمير الزيري كان يجهل مدى قوتهم ولا شك أن هذا الاستخفاف بقوة الهلاليين من العوامل الأساسية التي ساهمت في إضعاف دولة بني زيري في بلاد المغرب⁶.

ثالثا - أثر الوجود الهلالي في المجتمع الحضني

¹ الغنيمي، المرجع السابق، ج4، ص 152.

² النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 117؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 20.

³ وكان ذلك سنة (442-443هـ/1050-1051م) ينظر إلهام حسين دحروج، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي (442-665هـ/1051-1247م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي كلية الأدب والدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة القاهرة 2000م، ص 53.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 20.

⁵ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 252.

⁶ النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 117؛ بن قرية، المرجع السابق، ص 41 سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 2003م، ص 235.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

لقد ارتبطت الهجرة الهلالية نحو بلاد المغرب بالتخريب والتهديم والنهب، وذلك من خلال الصورة التي قدمها لنا معظم المؤرخين القدماء الذين تناولوا هذا الحدث بالدراسة خاصة المؤرخ ابن خلدون، هذا ما جعل بعض الدراسات الحديثة تتبنى نفس الفكرة وتصف القبائل الهلالية بأقبح الصفات وينسبون إليهم كل أعمال التخريب والتهديم الذي لحق بمدن بلاد المغرب بعد الزحف الهلالي على المنطقة، هذا ما أثار جدلا كبيرا بين المؤرخين حول ما خلفته تلك الهجرات من أضرار على البنية الاقتصادية والاجتماعية والحضارية للمغرب، وما نتج عنها من تدمير وخراب لمدنه وذلك بين مبالغ في وصفه ذلك الخراب وما خلفه من نتائج سلبية على البلاد، وبين من حاول إبراز دورها الايجابي في إحداث تغييرات جذرية في المجتمع المغربي عامة والحضني خاصة بعد استقرار الأعراب في البلاد، وهذا ما سوف نحاول التعرف عليه من خلال ما توفر لدينا من معلومات تاريخية عن أثر الهجرة الهلالية في إقليم الحضنة.

1- الأثر السياسي:

لقد كان للهجرة الهلالية آثار سياسية كبيرة على إقليم الحضنة وبدأت هذه الآثار منذ دخولهم إلي المغرب الأوسط، حيث دخلت المنطقة في حالة فوضى وعدم استقرار، ومن الواضح أن القبائل الهلالية أصبحت قوة عسكرية تخشاها القوى السياسية بمنطقة المغرب الأوسط، وذلك بعد انهيار الجيش الحمادي في معركة سببية (457هـ/1065م)، ولم يجد أمراء الدولة الحمادية سبيلا في ذلك إلا انتهاج سياسة الترويض لتلك القبائل من خلال التحالف معها لصد خطرهم وأذاهم¹، وهذا ما فعله الناصر بن علناس مع قبيلة عدي والأثنج في موقعة سببية، وفي سنة (460هـ / 1068م) حاصر الناصر بن علناس مدينة الأربس، وكان معه قبائل الأثنج من العرب²، كما كان الناصر يخصص لهم سنويا جزءاً من المحصول الذي يجنيه ويقدمه للقبائل الهلالية مقابل عدم التعرض له ولعاصمته وهذا ما ذكره صاحب الاستبصار في قوله: «... فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم، وكان لا يقدر التصرف في بلاده...»³، وهذا ما فعله كذلك باقي الأمراء الحماديين⁴، بالإضافة إلى أن ملوك بني حماد قد اختصوا قبائل الأثنج بالرياسة وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: «... كانوا يختصون الأثنج من هؤلاء الأحياء بالرياسة سائر أيامهم، ثم افترق جمع الأثنج وذهبت بذهاب صنهاجة دولتهم...»⁵.

¹ بكوش المرجع السابق، ص 67.

² ابن عذارى المصدر السابق، ج 1، ص 299.

³ الاستبصار، ص 129.

⁴ بكوش المرجع السابق، ص 67.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 27.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

ومع تزايد نشاط القبائل الهلالية في المنطقة واستفحال أمرهم، وإحكام سيطرتهم على مجالات الحضنة، وتضييقهم على عاصمة الحماديين القلعة دفع بالناصر بن علناس إلى البحث عن موضع آخر أكثر حصانة منها، ويكون بعيد عن تأثيرات القبائل الهلالية وأعمالهم التخريبية وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله : « ... ونزلت عليه جيوش العرب وضيقوا عليه ببلاده... حتى ضاق ذرعا بهم، وكان لا يقدر التصرف في بلاده، فطلب موضعا يبني فيه مدينة لا يلحقه فيها العرب فدل على موضع بجاية...»¹ ، فاختر موضع بجاية ليصبح العاصمة السياسية الجديدة للدولة الحمادية وبالتالي انحصار ملك بني حماد في المغرب الأوسط إلى الساحل، حيث أصبحت عاصمته مدينة بجاية وبدأت مدينة القلعة تفقد مكانتها لصالح بجاية، وذلك بسبب الضغط الذي كانت تمارسه القبائل الهلالية على المدن الداخلية كالقلعة والمسيلة وبذلك تراجع الدور السياسي لإقليم الحضنة في المغرب الأوسط.²

2- الأثر الاجتماعي:

لقد استقرت القبائل الهلالية ببلاد المغرب بعد عناء شديد وحد سيوفهم، وظلت أمواجهم المتوالية تتدفق عليه طيلة عقود واعتبرت الهجرة الهلالية حدثاً تاريخياً وحركة اجتماعية هامة بالمغرب، بالنظر إلى النتائج المختلفة والآثار المترتبة عنه، والتي شكلت تحولا جذرياً، وسم حياة البربر بالسماة العربية الإسلامية ذلك أن ملوك البربر بدؤوا يستعيدون ميراثهم السياسي وينفصلون عن السلطة في المشرق، فبلادهم قبل مجيء القبائل الهلالية إذا استثنينا الإسلام كانت بربرية اللغة والعادات في أعماقها، وكانت تسترجع شيئاً فشيئاً التقاليد البربرية، كما تخلصت من سلطان المشرق.³

وبوصول تلك القبائل إلى بلاد المغرب الأوسط عامة واستقرار بعضها في منطقة الحضنة خاصة عاشت حياة التنقل وراء قطعانها بين سهول الحضنة والصحراء⁴، لعدم قدرتهم على الاعتماد على موارد الإقليم القاطنين فيه، اضطروا للترحال بحثاً عن الكلاً وطلباً للمراعي، فكان هؤلاء القاطنين الجدد يرتحلون صيفاً إلى بعض الجهات الشمالية التي تتوفر فيها مصادر الحياة ويعودون شتاء إلى أماكن استقرارهم، وكانت هذه الحركة

¹ الاستبصار، ص 129.

² علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2008م ص 89

³ بوخالفة عزى تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، رسالة دكتوراه، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي

كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر ، 2002م - 2003م ص 73

⁴ بن قرية المرجع السابق، ص 43.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

المستمرة كثيراً ما يترتب عنها حروب وفتن نظراً لتعدي بعض القبائل على أراضي الغير من القبائل البربرية أو حتى الهلالية أو سلبها مراعي هذه القبائل وأراضيها متجاهلة في ذلك الأعراف السائدة آنذاك¹. وقد كانت هذه القبائل تسكن بيوتا منسوجة من الصوف وشعر الماعز والوبر تعرف بالخيمة وهي خفيفة يسهل حملها عند التنقل أثناء فترات السلم وعند الحرب، وهذا النوع من أسلوب الحياة الجديد الذي ظهر في المنطقة مع قدوم هذه القبائل غير مألوف لدى سكان منطقة الحضنة²، كما كان نمط حياتهم في المشرق الذي يعتمد على الكر والفر في كسب قوتهم أن استعملوا الخيل وربوها، لذا كان لدى القبائل الهلالية التي استوطنت إقليم الحضنة أعداد كبيرة من الخيول العربية الأصيلة التي جلبوها معهم عند دخولهم إلى بلاد المغرب³، وكانوا يتفخرون بصفاء أعراقها، ويركبنها للوغاء وفي مواكب الاحتفالات والفرح، ويكسبون العديد من الأنعام لحمل أثقالهم والانتفاع من لحومها وألبانها وأصوافها وجلودها⁴.

أما التنظيم القبلي لها كان على رأسه شيخ القبيلة الذي يتولى إدارتها ويكون صاحب القول الأول في شؤونها ولا يتجاوزها أحد، وإليه يلجأ أفراد القبيلة في كل أمر من أمورها، وكان الشخص الذي يتولى منصب شيخ القبيلة يختار من بين أفراد القبيلة الذين تتوفر فيهم بعض الصفات أهمها كبر السن، الكرم، الفصاحة، والشجاعة⁵. وكانت العلاقات بين القبائل الهلالية تارة ودية وتارة متوترة سمتها الحرب، بسبب التنافس على المراعي ومصادر المياه لا سيما في الصحراء⁶، ولم يحافظ على حياة التنقل إلا القبائل القوية ذات الأعداد الكثيرة ما يمكنها من قهر أعدائها من القبائل الأخرى سواء كانت بربرية أو عربية، أما القبائل الضعيفة فبعد تعرضها للانزمام في الحروب التي خاضتها واستسلامها نظراً لعدم قدرتها على مقاومة عدوها مرة أخرى واسترداد حقها فإنها كانت تلجأ إلى المناطق الجبلية أو تجعل لنفسها قرى تعيش فيها على الزراعة وتربية المواشي، وقد تشابهت حياة القبائل الهلالية بحياة قبائل زناتة البربرية التي كانت تعيش حياة الترحال قبل مجيء تلك القبائل، وذلك نظراً لتطابق نمط معيشتهم مع طبيعة السهوب والصحراء⁷، فقد كانوا على عهد ابن خلدون في حالة أخذ وهذا ما

¹ الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 221، يذكر أن القبائل البربرية كانت أكثر دراية ومعرفة بأماكن المراعي والكلا والعشب ومصادر المياه لأن هذه أوطانها.

² الطيب، المرجع السابق، ج 3، ص 507 وعن مميزات الخيم الهلالية، ينظر: جورج مارسيه المرجع السابق، ص 237 حيث يعتقد أن الخيام الهلالية كانت تختلف عن خيام البربر.

³ خضري المرجع السابق، ص 266، حيث بين لنا مهارة تلك الخيول في الدفاع عن المهديّة وزولية سنة (480هـ./1087م)

⁴ بن قرية، المرجع السابق، ص 43.

⁵ الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 222

⁶ بن قرية المرجع السابق، ص ص 43-44.

⁷ خالد، المرجع السابق، ص 189.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

يؤكدده بقوله : « ... وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران »¹

والجدير بالذكر هنا أن ما جاء به ابن خلدون في النص السابق عن الكثير من العادات الاجتماعية أدخلتها قبائل بني هلال إلى المغرب وحسبه أن بعض هذه العادات كان سكان البلاد من البربر يجهلونها، وحسبنا في ذلك سكنى الخيام من الشعر وإيلاف رحلة الشتاء والصيف والتغلب في الأرض وتخطف الناس من العمران هذه الصفات التي شاع بعضها في المجتمعات القبلية العربية في المشرق عموماً والبعض الآخر اختصت به القبائل الهلالية خصوصاً.

يرى الأستاذ علاوة عمارة أن استقرار القبائل الهلالية بإقليم الحضنة نقل المنطقة من خصوصيتها المتعددة الأجناس إلى مجال هلالي خالص، غلب عليه مفهوم القبيلة بمعناها التقليدي، وجعلها معقل أساسي لجماعات متنافسة لا تعرف إلا لغة الغلبة والسيف، ويضيف أن هذا الوجود الهلالي بالمنطقة قد أضاف إليها عنصراً اجتماعياً جديداً، أعاد تكوين الخارطة الاجتماعية الريفية، اندمجت تدريجياً مع الحواضر ذات الأصول البشرية والثقافية²، ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار هزيمة بني حماد في معركة سببية بمثابة انتصار للداوة على حياة الاستقرار التي اعتادها السكان الأصليون، كل هذا أدى إلى تغيير البنية الاجتماعية لسكان بلاد المغرب وساهم في فرارهم من المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية بحثاً عن الأمن والاستقرار الحضاري³.

وبطبيعة الحال فاستقرار القبائل الهلالية في منطقة الحضنة لم يخلوا من عمليات السلب التي كانت تقوم بها وفي هذا الصدد يذكر حسن الوزان في وصفه مدينة المسيلة : «..... الأسوار المحيطة بها جميلة، بخلاف الدور فإنها قبيحة، والسكان كلهم صناع أو فلاحون يرتدون لباساً رديئاً لفقيرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخلهم..... »⁴

وبلا شك فإن ذلك يرجع إلى خصوصية المجتمع البربري الحضني الرفض لوجود القبائل الهلالية بالمنطقة، مما أدى إلى خلق حواجز التي تحول دون الاندماج والتقارب المطلق بينهما، فالمكائد والدسائس من جانب الفريقين ظلت تلون الأحداث وكل مسعى تجاه الآخر، لأن النزعة الإقليمية لدى القبائل البربرية التي تسكن المنطقة ظلت قائمة وتطفو من حين لآخر، هذا ما أدى إلى ظهور الفتن والاضطرابات بالمنطقة ولم يكن

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 03

² علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، 2009م، العدد 10، ص ص 24-25

³ المرجع نفسه، ص ص 16-17.

⁴ حسن الوزان، المصدر السابق، ص 52.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

الهلاليون دائماً مصدراً لإثارة الفتن إلا أنهم لم يتمكنوا من التخلي عن عقليتهم، وظلوا محافظين عليها، وطبعاً هذا الأمر تحكمه الأحداث وتوجهه ويبقى مرهوناً بالتطور التدريجي للأجيال.¹

بالرغم من الدور السلبي الذي طبع حياة القبائل الهلالية بالمنطقة، إلا أنهم ساهموا في إثراء الحياة الاجتماعية، وقد ساعد على ذلك امتزاج العنصرين وانصهارهما عبر مرور الزمن، أدى ذلك إلى الاتفاق والتطابق والتشابه في أساليب الحياة² أسهم بشكل كبير في انتشار اللغة العربية بين أرياف بلاد المغرب حيث كانت العربية مقتصرة في المدن وبعض الضواحي فقط.³

ويضيف الأستاذ عبد الحميد خالدي أن اللغة العربية قبل الهجرة الهلالية لبلاد المغرب كانت لغة الطبقة الحاكمة، أما اللهجات المغربية المحلية فكانت لغة العامة ويفسر ذلك بقوله أن العرب كانوا في بلاد المغرب يشكلون الأقلية من السكان ولا يستطيعون أن يطبعوا البلاد بطابع عربي قوي⁴، لكن ابتداء من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي تعربت الأرياف بفضل نفوذ العرب مع الغزوة الهلالية⁵، في حين يذكر الأستاذ عبد الحميد خالدي فكان لهم الدور الكبير في تعريب منطقة الحضنة وتخفيف حدة اللهجات المحلية خاصة في القرى المحاطة بالحضنة التي لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية حسب قول عبد العزيز سالم.⁶ ويذكر الفرد بل أن هذا التعريب لم يستطع التغلب حتى الآن على اللهجات البربرية المحلية التي ظلت موجودة عند عدد كبير من قبائل البربر خاصة في الهضاب المرتفعة⁷، وبالتالي تكون القبائل الهلالية وقد أدت دوراً حاسماً في الحياة الاجتماعية للمنطقة، وذلك بدخولها كعنصر سكاني جديد إلى هيكل المجتمع الحضني، حيث تميزت بمعارضة قيام النظام والحكومة المركزية والضرائب⁸، وليس بعيداً أن تتأثر تلك القبائل البربرية بالعادات والتقاليد العربية كالشجاعة والوفاء والكرم، كما استعادت حتماً هذه القبائل الهلالية ببعض العادات والتقاليد البربرية وتبدو روح القبيلة وترابطها واضحاً فيما يعرف بالجوار، فقد كان العرف المتبع بين القبائل العربية إجارة

¹ عزي المرجع السابق، ص 91.

² الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 208.

³ الفرد بل المرجع السابق، ص ص 114-115، حيث يذكر أن العرب والمشاركة المسلمين، الذين حكموا منطقة الشمال الإفريقي من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الميلادي، لم يعربوا غير المدن وبعض ضواحيها.

⁴ خالدي المرجع السابق، ص 194.

⁵ الفرد بل المرجع السابق، ص 115.

⁶ سالم المرجع السابق، ج 2، ص ص 672-673.

⁷ الفرد بل المرجع السابق، ص 215.

⁸ خالدي، المرجع السابق، ص ص 196-197.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

من يستجير بالقبيلة إذا تعرض لخطرهما، وكان الجوار معترفاً به قبل الهجرة نحو بلاد المغرب، لكنه أصبح جزء من العرف السائد بين القبائل الهلالية وقد أخذت به القبائل البربرية¹.

كما تركت القبائل الهلالية أثر اجتماعي بالغ الأهمية، تمثل في ظاهرة الحلف، ومن أمثلة ذلك تحالف عرب الأثنج ورياح المقاومة استيلاء الموحديين على إفريقية في (547هـ/1152م) متتاسين ما بينهم من نزاعات²، وقد اتضح للقبائل البربرية أنهم أصبحوا في حاجة إلى مؤازرة العرب لهم، ومن ثم قطعهم الأرض، وجاءت مرحلة من التفكير في طرق العيش معاً في سلام، ويبدو جلياً، أن المصالح هي التي جعلت القبائل العربية والبربرية تتحالف ضد قبائل أخرى متحالفة عربية وبربرية، فقد حارب المنصور بن الناصر زناتة (غمرت، ومغراوة) المتحالفين مع الأثنج³.

كل هذا التقارب والتأثير والتأثر الذي تم بين العنصر العربي والبربري أدى إلى تكوين مجتمع مغربي ذو طابع خاص، حيث يذكر ألفرد بل أنه بالرغم من أن غزوات بني هلال قد أنت لهذه البلاد بالخراب والفوضى في البداية إلا أنها أعطت سكانها عنصراً عربياً أنصهر في المجتمع البربري⁴، ومع مرور الوقت كان التمازج الاجتماعي بين العنصرين يزداد تعمقاً، مما جعلهم يتقاسمون بيئة جغرافية واحدة ويعملون من أجل استمرار الحياة فيها⁵، وبذلك كان استقرار القبائل الهلالية في هذا الإقليم مظهراً من مظاهر التغير الاجتماعي حيث انتشرت مفاهيم اجتماعية ذات أصول عربية أنت ثمارها في ذلك الرصيد الحضاري والاجتماعي للمنطقة⁶، ونتج عنها أجيال أقوى شكيمية وأشد مراساً من أجدادهم⁷.

ويمكن القول أن نتائج الهجرة الهلالية في حياة البربر واضحة المعالم اجتماعياً ولغوياً ودينياً، وكان تقييم هذه الحركة ونتائجها إيجابية، حيث أدت هذه القبائل رسالتها في المجتمع وجعلته عربياً على الأقل في المناطق التي استقرت فيها حتى يومنا هذا⁸.

3- الأثر العمراني

¹ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 217.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 28 أبو ضيف، المرجع السابق، ص 248.

³ بورويبة، المرجع السابق، ص 119.

⁴ ألفرد بل، المرجع السابق، ص 214.

⁵ خالد، المرجع السابق، ص 189.

⁶ الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 228

⁷ أبو ضيف، المرجع السابق، ص 63.

⁸ عزي المرجع السابق، ص 73.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

يتفق المؤرخون على أن الانتشار الكبير لهذه القبائل الهلالية في المغرب الأوسط كان بعد موقعة سببية وهذا ما تم ذكره سالفاً، مما جعل إقليم الحضنة فضاء واسعاً لقبائل رياح والأثبج، إلا أن معلوماتنا قليلة حول الآثار التي خلفتها هذه القبائل على عمران المنطقة ما عدا ما ذكره ابن خلدون عن تعرض بعض مدنها للتخريب كالقلعة في الحرب التي دارت بين تميم بن المعز والناصر بن علناس بمشاركة القبائل الهلالية وقبائل زناتة إلى جانب الأطراف المتصارعة، وانتهت الحرب بهزيمة الناصر الذي فر إلى القلعة حسب ما ذهب إليه في قوله : « ... ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخرّبوا جنباتها وأحبطوا عروشها »¹

ويبدو أن القبائل الهلالية بعد هذه الحرب لم تكف بتخريب القلعة بل امتدت أعمال التخريب والتهديم إلى باقي مدن الحضنة خاصة طبنة والمسيلة وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله : «... ثم طبنة والمسيلة فخرّبوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعاً صفصفاً أفقر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر واطهروا في الأرض الفساد...»²، وهذا ما أدى ببعض المؤرخين إلى وصف هذا الحدث في كتاباتهم "بالكارثة" التي حلت ببلاد المغرب، ويأتي على رأسهم ابن خلدون الذي وصف هذا الضرر الذي ألحقته هذه الأعراب ببلاد المغرب وصفاً بليغاً عبر عنه في قوله : «... وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر لا يمرّون بشيء إلا أتو عليه...»³ ، وبذلك لا يمكن أن ينكر أحد أن القبائل الهلالية في المراحل الأولى من الزحف أحدثت خراباً كبيراً في إفريقية وبلاد المغرب.

كما تطرق صاحب الاستبصار إلى الخراب الذي عرفته القلعة عند وصفه لمدينة بجاية، حيث يذكر أن سبب بنائها مرده إلى أن العرب لما دخلوا المغرب الأوسط افسدوا مدنه⁴، ويضيف بقوله : «... فلما نجا المنصور إلى القلعة نزلت عليه جيوش العرب وضيّقوا عليه ببلاده، فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعاً بهم، وكان لا يقدر التصرف في بلاده، فطلب موضعاً يبني فيه مدينة لا يلحقه فيها العرب فدل على موضع بجاية...»⁵.

ومن الواضح أن القبائل الهلالية لا يولون عناية بال عمران لأنهم لم يؤسسوا شيئاً، بل خربوا ودمروا حسب ما ذهب إليه ابن خلدون الذي وصف لنا الخراب العمراني الذي خلفته تلك القبائل على الحضنة وعدم الاهتمام

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 27

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 27.

³ المصدر نفسه، ج 6، ص 20.

⁴ الاستبصار، ص 128.

⁵ المصدر نفسه، ص 129

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

بالجانب العمراني بقوله : «... فالحجر عندهم مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي¹ القدر فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعدونه لذلك، والخشب أيضا إنما حاجتهم إليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك، فصارت طبيعة منافية للبناء الذي هو أصل العمران»². (ينظر : الملحق رقم 36) وهذا ما أشار إليه كذلك الفرد بل³. ويبدو أن العناصر الهلالية ليست هي الوحيدة التي ساهمت في تخريب مدن الحضنة، بل ساهمت كذلك العناصر المحلية في هذا التخريب نتيجة الحروب والصراعات المتتالية التي كانت تعيشها المنطقة بعد الزحف الهلالي على بلاد المغرب.

4- الأثر الاقتصادي :

إن أثر القبائل الهلالية في الحياة الاقتصادية في إقليم الحضنة يمكن أن نلخصه في مظهرين المظهر الأول هو تكيف تلك القبائل مع الأوضاع الاقتصادية الجديدة بالمنطقة والمظهر الثاني هو المساهمة الفعالة لتلك القبائل في تنشيط الحركة الاقتصادية بها⁴، ويبدو أن الفترة الممتدة من نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، إلى نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي تميزت بانتزاع المجال الرعوي والزراعي الذي كانت تستغله قبائل الزاب والحضنة والسهول الداخلية في بلاد المغرب الأوسط، من قبل القبائل الهلالية المكتسحة للمنطقة ولم تكتفي هذه الأخيرة بهذا الفعل بل وقد صاحب هذا نشاط تخريبي شمل الإنتاج الزراعي والعمران على حد سواء ولنا في شهادات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين دليلاً على هذه الممارسات في المنطقة نذكرها في مايلي⁵.

كان وصف ابن خلدون لهجرة القبائل الهلالية لبلاد المغرب بأنها : «... كالجراد المنتشر لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه»⁶ ، ولم تسلم الحضنة من هذا التخريب فقد لحق الضرر بمدنها خاصة القلعة وطبنة والمسيلة ويستخلص ذلك من قوله : «... فتركوها قاعا صفصفا وأفقر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض فسادا ...»⁷، وكل هذا الفساد الذي ألحقته هذه القبائل بإقليم الحضنة أدى إلى تعطيل الدورة الاقتصادية التي تقوم بالدرجة الأولى على المواسم الزراعية وكانت معاول

¹ الأثافي : الأحجار التي توضع تحت القدر تحمي بينها النيران، أو هي آلة مثلثة تعلق عليها القدر عند الطبخ، تكون من حديد، ينظر : القلقشندي، صبح الأعشى، ج 2، ص 131.

² عبد الرحمان بن محمد بن خلدون مقدمة ابن خلدون تحقيق عبد الله محمد الدرويش، طلاء، دار يعرب دمشق 2004م، ج 1، ص 287.

³ الفرد بل، المرجع السابق، ص 213.

⁴ خالد، المرجع السابق، ص 190.

⁵ جورج مارسيه المرجع السابق، ص 238.

⁶ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر، ج 6، ص 20.

⁷ المصدر السابق، ج 6، ص 27.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

التهديم في ذلك الحروب والفتن التي كانت تختلقها القبائل الهلالية من جهة ونتيجة للمقاومات التي أبداها سكان المنطقة اتجاه القبائل من جهة ثانية، تقلصت الأراضي الزراعية، وقل الإنتاج الزراعي والفلاحي وهجر السكان بيوتهم ومزارعهم من حقول وبساتين وترك أصحاب الحرف أعمالهم وقصدوا المدن الحصينة للاحتماء داخل أسوارها.¹

وبطبيعة الحال نتيجة لتلك الممارسات من قبل القبائل الهلالية أصبح النشاط الزراعي السكان القلعة محصور في مجال جغرافي ضيق أين أصبح يمارس داخل أسوار المدينة، والمناطق المجاورة لها والتي لم تصلها بعد يد التخريب والإفساد الهلالي، عندئذ قلت مردودية الإنتاج الزراعي وأصبح لا يكفي حاجيات السكان. ونتيجة لذلك شحت المواد وغلت الأسعار فانتشر الفقر²، مما اضطر السلطة الحمادية والتجار وأغنياء المدينة إلى تأمين الغذاء لسكان من جهة ودفع إتاوات ضخمة لزعماء القبائل الهلالية من أجل الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة من جهة أخرى حتى بلغ بهم دفع نصف غلاتهم ومحاصيلهم الزراعية كضريبة عينية لأجل ذلك.³

وهذا ما أكده الإدريسي في الفترة السابقة في وصفه الحصون المنطقة بقوله : « وجميع هذه الحصون أهلها مع العرب في مهادة وربما أضر بعضهم ببعض، غير أن أيدي الأجناد فيها مقبوضة وأيدي العرب مطلقة في الأضرار وموجب ذلك أن العرب لها دية مقتولها وليس عليها دية فيمن تقتل...»⁴ ، وهذا ما أشار إليه كذلك حسن الوزان ولو في فترة متأخرة حول جوانب هامة من حياة سكان الحضنة بقوله : « ... وقد اندهشت للفقر السائد بالمسيلة عند مروري بها لم أجد الشعير لفرسي ولليلة الواحدة إلا بمشقة، ولو أقمت بها ليلة أخرى، لما تمكنت من الحصول على مثل ذلك لكثرة البؤس والفاقة السائدين في المدينة...»⁵.

يذكر جورج مارسيه أن معظم القبائل الهلالية التي سكنت إقليم الحضنة استقرت في الأرياف، حيث يشغلون المناطق السهلية ولا يتطلعون إلى الجبال، فهي فقيرة وذات منافذ صعبة عليهم وعلى دوابهم، وأن هذه الجبال تستخدم كحصون للقبائل البربرية المبعدين عن البلاد⁶، التي طالما مارست فيها النشاط الزراعي حاولت القبائل

¹ سالم المرجع السابق، ج 2، ص 672 خالدي، المرجع السابق، ص 190.

² مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان وسجلماسة نموذجا (دراسة تاريخية عمرانية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2005-2006م، ص 287

³ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 199 بوطارن، تطور العمران الإسلامي، ص ص 288.287.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ص 164.

⁵ حسن الوزان، المصدر السابق، ص 52.

⁶ جورج مارسيه المرجع السابق، ص 242.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

الهلالية محاكاة البربر في ممارسة النشاط الزراعي في الأراضي التي استولت عليها وربما هذا راجع إلى طبيعتها الريفية.

ويبدو إن قلة الإنتاج الزراعي صاحبه تراجع كبير في النشاط الصناعي خاصة بعدما هجر القلعة أغلب الصناع، وأصحاب الحرف إلى مدينة بجاية هروباً من بطش القبائل الهلالية ولم تكثف بذلك على حد قول الهادي روجي إدريس بل قامت تلك القبائل بالسيطرة على الطرق التجارية البرية الهامة التي تمر بالمنطقة خاصة الطريق الرابط بين مدن الزاب والحضنة¹، وقد ذكر ابن حوقل هذا الطريق بقوله : «... يأخذ من المسيلة إلى مقرة ومنها إلى طبنة ومن طبنة إلى بسكرة...»² وهناك طريق آخر لا يقل أهمية على الطريق الأول يربط بين قلعة بني حماد وبجاية ذكره الإدريسي³، ويبدو أن القبائل الهلالية سيطرت على كل الطرق التي تربط الحضنة بالمناطق المجاورة لها والمدن الكبرى في بلاد المغرب.

ومن الواضح أن تلك القبائل المسيطرة على الطرق لا تسمح بمرور القوافل إلا بمقابل دفع إتاوات⁴، حيث سيطرت قبائل الذواودة من رياح على طرق الزاب، واشترك معهم في ذلك بنو عامر بن زغبة لقطعهم الطريق الرملي ونزولهم القلعة⁵، وهذا ما ينوه إليه ابن خلدون بقوله : «... وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم...»⁶.

ويبدو أن فقدان الأمن في الطرق والمسالك التجارية المؤدية إلى الحضنة عندما أحكمت القبائل الهلالية سيطرتها عليها نجم عنه تراجع الدور الذي كانت تقوم به مدن الحضنة في تلك الفترة خاصة مدينة المسيلة والقلعة كمراكز تجارية هامة ومحط القوافل التجارية القادمة من الشرق أو الغرب، أو من الصحراء، والمحملة بالسلع والبضائع التي ساهمت بشكل كبير في ازدهار المنطقة وتنشيط الحركة الاقتصادية بها⁷، ومع انعدام الأمن دفع بالقوافل التجارية إلى تغيير الطرق والمسالك نحو الحضنة إلى طرق أخرى أكثر أماناً الأمر الذي جعل الحركة التجارية بالمنطقة تضعف مع مرور الوقت، بل تتوقف في الكثير من الأحيان في سهول الحضنة⁸

¹ روجي إدريس المرجع السابق، ج 2 ، ص ص 291-292 بن قرية المرجع السابق، ص 43؛ أما خالدي فقد أرجع ذلك إلى انعدام الأمن وانعدمت الحكومة النظامية كذلك، ينظر : خالدي، المرجع السابق، ص 191.

² ابن حوقل المصدر السابق، ص 87، حيث ذكر طرق أخرى تربط المسيلة بالجهة الغربية كالطريق من فاس إلى المسيلة.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ص 163.

⁴ الطمار ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 118.

⁵ خالدي، المرجع السابق، ص 193.

⁶ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج 6، ص 27.

⁷ بوقاعدة، المرجع السابق، ص 91.

⁸ الطيب المرجع السابق، ج 3، ص 507 خالدي، المرجع السابق، ص 191 بن قرية، المرجع السابق، ص 43.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

ومن البديهي أن يعرقل ذلك النشاط التجاري بالمنطقة¹، خاصة مدينة القلعة التي تراجعت مكانتها التجارية في المغرب الأوسط عامة وإقليم الحضنة خاصة، بل وأخذ هذا الدور بالاختفاء بشكل تدريجي بعدما كانت وريثة حضارة القيروان بعد خرابها، وبطبيعة الحال كان ذلك التراجع لصالح مدينة بجاية العاصمة السياسية الثانية للدولة الحمادية في المغرب الأوسط، والتي بدأت في التطور والازدهار نظير ما تتوفر عليه المدينة من إمكانات².

ويرجع هذا التخريب إلى أن طبيعة الحرب التي خاضتها القبائل الهلالية ضد القبائل البربرية، كانت حرباً شاملة، لم ينج منها الاقتصاد، وكان لا بد من البحث عن السبل الكفيلة بالإسقاط الخضم، بالإضافة إلى أن هذه الحروب لم تسمح لهم بالتوجه إلى الزراعة والتجارة وتنشيط الأسواق وأمن الطرقات لأنهم كانوا يبحثون عن وطن، ولذلك فقد كانوا في الأرض ولم يكونوا في السلطة³، وقد نتج عن سيطرة القبائل الهلالية على المنطقة دخولها في مرحلة من الاضطرابات والفوضى السياسية والاقتصادية، لأنهم خربوا القاعدة الاقتصادية، وتحول الاقتصاد من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد رعي⁴.

وبما أن الهجرة الهلالية قد اعتبرها البعض كارثة حلت ببلاد المغرب الإسلامي فإن كثير من الباحثين العرب والغربيين ناقشوا هذه المسألة بهدوء واستنتجوا بأن الهجرة الهلالية ما هي سوى عنصر أضيف إلى بقية العناصر الأخرى المؤدية إلى تراجع وانهيار بلاد المغرب⁵، ومن المؤكد أن الظروف الاجتماعية القاسية التي عاشتها القبائل الهلالية، هي التي أوقفتهم هذا الموقف من أعدائهم، كما أنها هي التي دفعتهم إلى الهجوم الدوري على المناطق الحضرية طلباً للرزق وبحثاً عن ظروف أفضل للعيش⁶.

والسؤال المطروح هل كانت آثار الهجرة الهلالية على الحياة الاقتصادية بهذا السوء؟⁷، من المؤكد أن القبائل الهلالية أدت دوراً اقتصادياً هاماً منذ حلولهم بالمنطقة، وهذا ما تؤكد العديد من الكتابات التاريخية التي أبرزت الدور الإيجابي لتلك القبائل في المجال الاقتصادي للمنطقة⁸، ومن بين المعطيات الجغرافية التي تركز على الدور الإيجابي للقبائل الهلالية بالمنطقة ما ذكره الإدريسي : « ... وطبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة

¹ روجي إدريس المرجع السابق، ج 2، ص 292

² بوقاعدة، المرجع السابق، ص 91.

³ عزي المرجع السابق، ص 106.

⁴ بن قرية المرجع السابق، ص 45

⁵ عزي المرجع السابق، ص 100 ولتوضيح أكثر عن هذه المسألة ينظر : عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ص ص 07-

33

⁶ المرجع نفسه، ص 100.

⁷ أبو ضيف، المرجع السابق، ص 64.

⁸ خالد، المرجع السابق، ص 191.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور من تراب وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في ضروب من التجارات والتمر بها كثير»¹

وقد ظهر هذا التطور الاقتصادي في منطقة الحضنة بعد عملية استقرار القبائل الهلالية في سهول الحضنة، هذا ما نتج عنه ممارسة النشاط الزراعي على نطاق واسع مستفيدة في ذلك من سكان المنطقة، وهذه تعتبر خطوة إيجابية نحو تخليهم التدريجي عن نشاط النهب والسلب والإغارة على أملاك الغير²، فكثرت المحاصيل الزراعية وتنوعت خاصة زراعة النخيل والحبوب، وهذا راجع لما تتوفر عليه المنطقة من أراضي خصبة ومنبسطة³ حسب وصف الإدريسي : «... وهي عامرة في بسيط من الأرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاجه...»⁴ ، وقد زاد في هذا الازدهار الاقتصادي للمنطقة الدور الفعال للشبكة الهيدروغرافية الهامة التي تزخر بها المنطقة والتي تمثلت في شط الحضنة بالإضافة إلى وادي القصب، الذي خصه ابن حوقل بهذا الوصف: «... ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم ومنبسط على وجه الأرض»⁵

وبطبيعة الحال كان هذا المجهود كله بعد أن منحت السلطة الحاكمة أقطاعات في الأراضي السهلية الخصبة لقبائل رياح والأتيج، مقابل المساندة والطاعة⁶، وقد أثرت هذه القبائل في الحياة الاقتصادية تأثيراً واضحاً إذ نقلوا إلى الحضنة تربية الأغنام⁷، فهناك من القبائل لم يحافظوا على حياة الترحال ونزلوا المدن والقرى البربرية ووجدوا لأنفسهم قرى بإقليم الحضنة والصحراء وعرفوا بذلك حياة الاستقرار ومارسوا النشاط الفلاحي وعرف هذا النوع من النشاط تطوراً ملحوظاً، فبعدما كان منحصراً في تربية الشاة والإبل أضافوا إليه تربية الأبقار⁸ فضلاً عن امتلاك الخيول، ذلك أن بني هلال شأنهم شأن العرب اهتموا بتربية الخيول العربية الأصيلة التي انتقلت معهم من الجزيرة العربية ومصر، فقد نقلوا الخبرة العربية في تربية الخيول، فتأثرت بها بعض القبائل الزناتية المقيمة بالمنطقة وأخذوا عنها⁹.

¹ الإدريسي، المصدر السابق، ص 164، والوصف كذلك ينطبق على باقي مدن الحضنة كالمسيلة ونقاوس ومقرة والقلعة.

² الطاهر بونابي، "ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8/14م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير

عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2011م، العدد 12، ص 150

³ أبو ضيف، المرجع السابق، ص 311؛ الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 230.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ص 85-86

⁵ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85.

⁶ خالد، المرجع السابق، ص 192.

⁷ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 231.

⁸ روجي إدريس المرجع السابق، ج 2، ص 244، يضيف أن امتلاك هذه الخيول جراء الحروب، وكل هذا أدى إلى تدهور الزراعة نسبياً على حساب تربية الأغنام .

⁹ خضري المرجع السابق، ص 266؛ خالد المرجع السابق، ص 192؛ الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 226-227

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

ولعل أهم ما يحسب لصالح الهلاليين فيما يخص التجارة وإن كان بطريقة غير مباشرة هو الضغط الممارس على القبائل الصنهاجية مما جعلهم يفكرون ولأول مرة بالاهتمام بالمدن الساحلية وإنشاء أساطيل بحرية لغرض التجارة بعدما انعدم الأمن في الطرق التجارية البرية¹، وقد أدى ذلك إلى ازدهار اقتصادي مشهود انعكس إيجابياً بدوره على حياة السكان الاجتماعية، وساهم في نمو المدن ودخول حياة المدينة على نطاق واسع بعد أن تغلبت عليهم حياة البداوة.²

رابعاً: تطور الحضنة في العهد الحمادي

لقد سبق وأن أشرنا إلى أن إقليم الحضنة طبعته مجموعة من المميزات الطبيعية أهلتها لكي يصبح نقطة جذب لا طرد، وقد ساهمت هذه المقومات الطبيعية إلى جانب البشرية في ارتقاء الإقليم وتطوره فشتى مجالات الحياة.

1- اقتصادياً:

شهد النشاط الاقتصادي للدولة الحمادية تغيرات من مرحلة إلى أخرى، نظراً لتأثره بالعوامل السياسية التي عرفتها المنطقة، ومع ذلك تمكن الحماديون من تنويع الاقتصاد الذي شهد رقي كبيراً في عهدهم، حيث انتقل السكان من البداوة إلى التحضر، خاصة بعد إعلان قيام الدولة الحمادية ككيان سياسي مستقل في المغرب الأوسط، وقد استقرت الأمور للدولة بعد إعلان قيامها فترة من الزمن والتي كانت كفيلة بإعادة الأمن والهدوء السياسي للمنطقة مما ساعد في الاهتمام بالثروات الداخلية وتطويرها، خاصة في عهد مؤسسها حماد بن بلكين، فقد نجح هذا الأخير في تحقيق رخاء اقتصادي كبير لدولته الناشئة، كما كان الصلح الذي تم بين حماد والمعز بن باديس عاملاً مهماً في تحقيق ازدهار اقتصادي أكبر للدولة، وتواصل هذا التطور الاقتصادي أثناء فترات حكم باقي الخلفاء الذين تعاقبوا على الدولة الحمادية وذلك بفضل الموقع الاستراتيجي للقلعة التي أدت دوراً بارزاً في تحقيق ذلك وتصدرت مدن الدولة في مجال تنشيط الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط.³

أدرك الحماديون بطبيعة الحال أن قوة الدولة واستمرارها يتوقف على تنشيط الحركة الاقتصادية في المنطقة، فاهتموا بالزراعة والتجارة والصناعة وتنمية الثروة الحيوانية وهذا ما أجمع عليه جل المؤرخين والجغرافيين تقريباً.

أ- الزراعة:

¹ خالدي، المرجع السابق، ص 193.

² الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 236.

³ عويس دولة بني حماد ص ص 219-220.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

تعتبر الزراعة من القطاعات الحيوية التي أولتها الدولة الحمادية عناية كبيرة، حيث شهدت الدولة إزهارا كبيرا بفضل ما تمتع به المغرب الأوسط من خصوبة الأراضي ووفرة المياه وملائمة المناخ، مما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية، وهذا ما أشار إليه العديد من الجغرافيين¹، كما يدل النذر القليل من المعلومات الذي تمكنا من الوصول إليه، والذي استقينا معظمه من المصادر الجغرافية أن اقتصاد الدولة الحمادية كان قائما أساسا على الزراعة وباقي القطاعات الاقتصادية كانت ثانوية²، وبذلك تعددت الأنشطة الزراعية في المجتمع الحمادي، وتتنوعت المحاصيل الزراعية التي تنتجها الدولة لدرجة أنها استطاعت أن تحقق اكتفاء ذاتي في معظم المنتجات، كما تمكنت من تصدير الفائض من بعض المحاصيل، وكانت الأراضي المحيطة بمدن الحضنة والقرى مجالا خصبا لنشاط زراعي³. كان الإنتاج الزراعي الرئيسي في المغرب الأوسط عامة والحضنة خاصة في عهد بني حماد هو الحبوب خصوصا القمح والشعير، وتعتبر المجالات الريفية المحيطة بالإقليم أكبر منتج له⁴ وهذا ما أكدته العديد من المصادر الجغرافية التي اطلعنا عليها، وكانت سهول المسيلة مشهورة بإنتاجها للحبوب على نطاق واسع حيث يقول الإدريسي في هذا : «... ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه...»⁵ وهذا يدل على وفرة الإنتاج وتحقيق اكتفاء ذاتي في هذا المحصول، ويخص ابن حوقل كذلك أهم المحاصيل الزراعية المنتجة في المسيلة بالذكر قائلا وأن: «... غلاتهم الحنطة والشعير...»⁶، ولم تكن سهول المسيلة فقط هي المنتجة للحبوب بل كانت وافة أيضا بناحية قلعة بني حماد وهذا ما ورد عند الإدريسي بقوله أن: «... مدينة القلعة أغزرها خيرا ..»⁷، ويضيف أنها : «... بلاد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت، وإذا قلت كفت، فأهلها أبد الدهر شباع وأحوالهم سالحة...»، كما وضح لنا الإدريسي الطريقة التي يتم بها تخزين الحبوب في القلعة لتبقى مدة طويلة دون أن تفسد بقوله : «... الحنطة تخزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير»⁸، وما يؤكد كلام الإدريسي أثناء القيام بالحفريات في قلعة بني حماد من قبل علماء الآثار تم العثور على مطامير كثيرة بالقرب من قصر السلام⁹، وكانت سهول نقاوس كذلك خصبة وهذا ما أكدته حسن

¹ بن قرية، المرجع السابق، ص 249

² إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 227.

³ عويس دولة بني حماد، ص 221

⁴ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 227

⁵ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

⁶ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85.

⁷ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

⁸ المصدر نفسه، ص 162.

⁹ بورويبة، المرجع السابق، ص 130.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

الوزان بقوله: « توجد حول نقاوس سهول كلها تصلح لزراعة القمح والسكان أغنياء أمناء كرماء »¹ ، أما مدينة طبنة فهي كثيرة البساتين والزرور والحنطة والشعير² ، « وجميع الحبوب فيها غزيرة كثيرة » حسب ابن حوقل³ ، كما كانت مقرة بلد كبير بها مزارع وحبوب⁴ ، وزودت هذه المدن البلاد بكميات كبيرة من الحبوب تكفي حاجة سكانها.

وكان إقليم الحضنة في عهد الدولة الحمادية غنيا بالفواكه، والتي أشارت إليها العديد من الكتب الجغرافية، حيث نجدها في بعض الأحيان تكتفي بذكر الفواكه بدون أن تعطي لنا أسماء الأنواع المزروعة وأحيانا تذكرها بالتفصيل⁵ ، فقد حظيت مدينة المسيلة بمكانة هامة في إنتاج الفواكه نظرا لكثرة بساتينها. يقول البكري: « حولها بساتين كثيرة »⁶ ، وهذا القول يدعمه ابن حوقل بقوله : « وعليها كروم وأجنة كثيرة تزيد عن كفايتها وحاجتها، ولها من السفرجل المعنق ما يحمل إلى القيروان »⁷ ، كما اشتهرت نقاوس بوفرة إنتاجها للكرام والتين وحسب قول حسن الوزان فإن تين البلاد شهير، وبأنه أجود تين في المنطقة ويحمل إلى قسنطينة⁸ ، بالإضافة إلى قلعة بني حماد فهي ذات غلة وشجر مثمر كالتين والعنب⁹ ، أما مدينة طبنة تقع على وادي اسمه بيظام والذي تسقى منه جميع بساتينها، وكان يخلو لأهل المدينة أن يرددوا قولهم بيظام بيت الطعام لخصوبة أراضيها وجودة زرعها.¹⁰

وهناك منتجات أخرى تتوفر عليها الحضنة في عهد بني حماد مثل اللوز والجوز الذي اشتهرت به نقاوس والذي يحمل إلى القلعة وبجاية وإلى بلدان أخرى، حيث يكثر الإقبال عليه في قصور الملوك والأمراء¹¹ ، بالإضافة إلى النخيل التي توفر تمور ذات جودة عالية تتواجد في طبنة ونقاوس والمسيلة، كما اشتهرت مدينة المسيلة¹² بزراعة القطن ونجد هذا في قول البكري: «... ويجود عندهم القطن...»¹³.

¹ حسن الوزان، المصدر السابق، ص 53.

² الحميري، المصدر السابق، ص 387

³ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85.

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 51 الحميري، المصدر السابق، ص 556.

⁵ بوروية، المرجع السابق، ص 131

⁶ البكري، المصدر السابق، ص 59

⁷ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85.

⁸ حسن الوزان، المصدر السابق، ص 53.

⁹ الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 390.

¹⁰ البكري، المصدر السابق، ص 151 إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 225.

¹¹ الاستبصار، ص 172؛ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 228 بوروية، المرجع السابق

¹² الحميري، المصدر السابق، ص 387؛ الاستبصار، ص 172 بوروية، المرجع السابق، ص 131.

¹³ البكري، المصدر السابق، ص 51؛ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85؛ الحميري، المصدر السابق، ص 387

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

ويتوفر إقليم الحضنة على الكتان ونجده في طبنة ومقرة،¹ ومما تجدر الإشارة إليه أن سهول الحضنة في عهد بني حماد كانت ولا تزال مشهورة بوفرة وجوده ما تنتجه أراضيها الخصبة من أنواع مختلفة من الحبوب والفواكه والتي كانت تمد القلعة بمختلف المنتجات الزراعية وباقي مدن المغرب الأوسط.²

كما اشتهرت الحضنة بتربية الخيول والأغنام والأبقار خاصة في المسيلة وطبنة والقلعة، وهذا ما ذكرته العديد من المصادر التاريخية³ ولأهلها سوائم خيل وأغنام وأبقار حسب قول الإدريسي⁴، ومن كثرتها كانت اللحوم عندهم رخيصة السعر يقول البكري أن مدينة المسيلة كانت «... كثيرة اللحوم ورخيصة السعر...»⁵، أما القلعة كانت لحومها طيبة وسمينة⁶، بالإضافة إلى الثروة السمكية التي اشتهرت بها الحضنة خاصة السمك في مدينة المسيلة والذي تميز بجودة عالية⁷، فقد قدم لنا الإدريسي معلومات قيمة عن سمك المسيلة الذي يصطاد من وادي سهر وهو سمك صغير فيه خطوط حمراء حسنة والذي تباع منه كميات كبيرة في القلعة، حيث كان يزين موائد الملوك والأمراء، ويقول الإدريسي أنه: «... لم ير في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته، وأهل المسيلة يفتخرون به ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه»⁸.

ب- الصناعة:

اعتبرت الصناعة من الأنشطة الاقتصادية الهامة في عهد الدولة الحمادية، نظرا لتوفر مدنها على أسباب متعددة لقيام صناعات محلية، فهناك ثروة زراعية وحيوانية تزخر بها المنطقة جعلتها تشتهر بأنواع عديدة من الصناعات، فكانت الصناعة النسيجية والغزل من الصناعات القوية والمتكاملة في الحضنة، والمواد الأولية المستخدمة في هذه الصناعة والتي تمارسها النساء عادة في البيوت هي الصوف التي توفرها قطعان الغنم التي تزخر بها المنطقة، والقطن الذي تنتجه حقول المسيلة ونقاوس وطبنة بكثرة، بالإضافة إلى الكتان والذي كانت زراعته منتشرة في طبنة ومقرة كما سبق ذكره⁹.

وبطبيعة الحال ازدهرت بعض صناعات الترف في القلعة والتي تتطلبها حياة القصور والطبقات الغنية في المجتمع الحمادي، فعرفت المدينة شهرة كبيرة تجاوزت حدود الدولة الحمادية في المغرب الأوسط، وكان التجار

¹ بورويبة، المرجع السابق، ص 133؛ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 234.

² إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 133.

³ ابن حوقل المصدر السابق، ص 85 يذكر أن طبنة كانت وافر الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنعيم.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ص 155

⁵ البكري، المصدر السابق، ص 59 إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 234.

⁶ الإدريسي المصدر السابق، ص 155 الحميري، المصدر السابق، ص 469.

⁷ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 234.

⁸ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

⁹ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 239.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

من مختلف الأقطار يسعون للحصول على منتجاتها¹ والمتمثلة في صناعة الأقمشة والألبسة التي وصفها صاحب الاستبصار في كتابه أنها : «... أكسية ليس لها مثل في الجودة والدقة ...»² ، كما أطنب ياقوت الحموي في وصف الثياب المنتجة بالقلعة قائلاً وبالقلعة : «... الأكسية القلعية الصفيقة النسيج الحسنة المطرزة بالذهب، ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب....»³. وقد اشتهرت القلعة كذلك بصناعة الفخار والخزف والزجاج وصناعة المطاحن، وهذا ما دلت عليه الحفريات حيث تم العثور على قطع من الخزف والزجاج، ويتضح أن صناعة الخزف والبلاط والتحف الفنية كانت موجودة فيها ، وقد وجدت كذلك بعض الأواني وزجاجات العطور وبعض القصاع المختلفة والدقيقة الصنع، والتي تدل على ما بلغته هذه الصناعة من تطور⁴، الأمر الذي جعل القلعة تشتهر فقصدها الحرفيين والتجار والصناع، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله: « ورحل إليها من الثغور ... » والبلد البعيد «... أرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها»⁵.

ت- التجارة :

لقد كان للاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي الذي عرفته الدولة الحمادية أثر كبير على نشاطها التجاري، وذلك بفضل حرص بني حماد على تأمين طرق المواصلات داخل حدود الدولة، أو المؤدية إلى مدن الحضنة خاصة المسيلة والقلعة، التي تحولت إلى مراكز تجارية هامة في المغرب الأوسط. وبطبيعة الحال كانت قلعة بني حماد قبل تأسيس بجاية مركزا تجاريا هاما لكونها عاصمة ملك بني حماد في المغرب الأوسط، ولم تتوقف سمعة المدينة عند حدود بلاد المغرب بل تعدتها لتشمل مختلف أقطار المشرق، وقد خص الإدريسي هذا الجانب من النشاط الاقتصادي لقلعة بني حماد بالتفصيل في النص التالي : «... والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية، دار الملك لبني حماد، وفيها كانت ذخائرهم مدخرة، وجميع أموالهم مختزنة، ودار أسلحتهم...»⁶، كما ذكرها البكري بقوله : «... أنها تمصرت عند خراب القيروان، انتقل إليها أكثر أهل إفريقية وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب...»⁷، وهذا راجع إلى موقعها الاستراتيجي وأهميتها الاقتصادية، وكان تجار القلعة ميسوري الحال ويعود

¹ المرجع نفسه، ص 132.

² الاستبصار، ص 70.

³ الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 390

⁴ بوربية، المرجع السابق، ص 139 عويس، دولة بني حماد، ص 225

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227.

⁶ الإدريسي، المصدر السابق، ص 162.

⁷ البكري، المصدر السابق، ص 49.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

ذلك إلى السلع والبضائع التي يتم جلبها من الشرق والغرب والجنوب، وبذلك ظلت القلعة محطة تجارية هامة في المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري / القرن الحادي عشر ميلادي، مما عاد عليها بموارد مالية ضخمة، جعلها ترتقي فعلا إلى مرتبة العاصمة الثرية الآهلة بالسكان¹.

كما اشتهرت طبنة بأسواقها التي ساعدت على رواج التجارة الداخلية بها، وعلى الرغم أن المدينة تعرضت لانحطاط والتراجع، إلا أنها استعادت مكانتها في عهد بني حماد، يقول الإدريسي: «... وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرف في ضروب من التجارات.....»².

ومما لا شك فيه أن شبكة الطرق كان لها دوراً كبيراً في ازدهار التجارة في إقليم الحضنة، خاصة القلعة التي كانت العاصمة السياسية للدولة الحمادية، حيث تخرج منها ثلاث طرق رئيسية وهي: طريق القيروان الأول يمر على مقرة وطبنة ونقاوس وبلزمة وباغاية، والطريق الثاني يمر بالغدير وتيجس وقصر الإفريقي³، والطريق الثالث هو طريق تنس يمر بالمسيلة وأشير وسوق هواره⁴، بالإضافة إلى الطريق الذي يؤدي إلى بجاية⁵، أما المسيلة التي كانت ملتقى الطرق الصحراوية والجبلية والسهلية، منها من تمر على الهضاب ومنها على مدن الزاب، ولا يمكن الوصول إلى القلعة إلا عن طريق المسيلة⁶، هذه الأخيرة التي كانت عامرة بالناس والتجار حسب قول الإدريسي⁷، لأن القوافل التجارية المحملة بالبضائع تمر بها⁸، وكان سمك المسيلة يباع في القلعة⁹، وازدهرت تجارة المغرب الأوسط وأصبحت تصل إلى فاس عن طريق سجلماسة ومنها السكر والأعشاب والجلود الأقمشة والأواني والخزف، وبذلك أصبحت مدن الحضنة مراكز تجارية هامة في المغرب الأوسط في عهد بني حماد، تشد إليها الرحال وتقصدها القوافل التجارية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي¹⁰.

ولكن بعد الغزوة الهلالية لبلاد المغرب خربت المناطق الداخلية، واختفت الأسواق وسيطرت القبائل الهلالية على الطرق التجارية مما أثر على قلعة بني حماد كمركز تجاري هام في المغرب الأوسط عامة والحضنة

¹ ربحان محمد كمال محمد أحمد المغربي التجارة في عصر بني حماد (407-547/1017-1152م)، جامعة دمياط، كلية الآداب قسم التاريخ، 2015م، ص 02

² الإدريسي، المصدر السابق، ص 164.

³ البكري، المصدر السابق، ص 49-50 بورويبة، المرجع السابق، ص 142-143

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 53.

⁵ الإدريسي، المصدر السابق، ص 163، بورويبة، المرجع السابق، ص 142.

⁶ عن طرق المسيلة ينظر: ابن حوقل المصدر السابق ص 86-87 الإدريسي المصدر السابق، ص 156.

⁷ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

⁸ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 244.

⁹ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156

¹⁰ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 244.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

خاصة¹، الأمر الذي جعل الدولة الحمادية تتخذ بجاية كعاصمة جديدة لملكها، فوجهوا اهتمامهم إلى الساحل، فأصبحت طرق القوافل نحو الحضنة شبه مهجورة وبدأت تتراجع أهمية الإقليم².

2- علميا :

لقد شهد المغرب الأوسط عامة وإقليم الحضنة خاصة في عهد بني حماد تطور كبير في الحياة العلمية، بجميع أصنافها وذلك بفضل جهود أمراء الدولة الحمادية، من خلال رعايتهم وتشجيعهم للعلماء والمفكرين والشعراء، فقد كان العلماء يؤثرون على سائر طبقات المجتمع، فجاد عليهم الأمراء بالاعطاء³، وكان من أشهر الأمراء الحماديين المشهود لهم بتقريب العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من رجالات الفكر والعلم حماد بن بلكين⁴. ويبدو أن النهضة العلمية التي شهدتها الدولة الحمادية ناتجة من سياسة التعليم التي اعتمدها الدولة، فلما اختط حماد القلعة هاجر إليها أعداد من طلاب العلم والعلماء، بعدها أصبحت عاصمة هادئة معترف بها⁵ فقصدها العلماء المغاربة وغيرهم من علماء الأندلس وأدبائهم المهاجرين إلى بلاد المغرب الأوسط، مما نتج عنه تنشيط الحياة الفكرية⁶ يقول ابن خلدون : «... ورحل إليها من الثغور ... والبلد البعيد طلاب العلوم...»⁷، كما اهتم الأمير الحمادي الناصر بن علناس بالعلوم والأدب، وقصده الشعراء حسب قول ابن الخطيب⁸ فانتشرت المعاهد العلمية والمساجد والزوايا⁹، ومن أشهر أعلام الحياة العلمية في الحضنة في عهد بني حماد نذكر : عبد الكريم النهشلي أبو محمد عبد الكريم النهشلي، ابن أبي سهل الخشني وحسن بن محمد بن سلمون أبو علي المسيلي، ابن رشيق، عبد الله بن حمو المسيلي¹⁰، وقد تم ذكر ترجماتهم سابقا في القسم الخاص بأعلام الحضنة في عهد الدولة الفاطمية بالإضافة إلى هؤلاء نشير فيما يلي إلى علماء الحضنة في العهد الحمادي

- ابن النحوي : (433-513هـ/1042-1119م)

¹ ربحاب المغربي، المرجع السابق، ص 08.

² إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 244.

³ عويس دولة بني حماد، ص 249، الغنيمي المرجع السابق، ج 4، ص 273، بن قرية، المرجع السابق، ص 165.

⁴ الظمار ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 93.

⁵ عويس دولة بني حماد، ص 113.

⁶ بن قرية، المرجع السابق، ص 165.

⁷ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227.

⁸ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 96.

⁹ بن قرية، المرجع السابق، ص 165.

¹⁰ ابن خلكان المصدر السابق، مج 2، ص 85؛ الصالح مرمول نشأة مدينة المسيلة وتطورها، ص 173؛ بن قرية، المرجع السابق ص 175 بورويبة

المرجع السابق، ص ص 169-170 - نويهض، المرجع السابق، ص 300؛ عويس دولة بني حماد، ص 267

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

ولد أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف بتوزر بتونس سنة (433/1042م) درس بتوزر، ثم أكمل تعليمه بالقيروان، واشتهر بابن النحوي التوزري القلعي نسبة إلى قلعة بني حماد، انتقل من إفريقية إلى بلاد المغرب ثم استقر في القلعة سنة (494/1101م)، حيث عمل بالتدريس، كان عارفاً بأصول الدين والفقه واللغة، ويعتبر من كبار العلماء الذين ساهموا في نشر العلم والمعرفة¹.

- أحمد بن الحسين بن محمد المهدي المسيلي (ت 538/1143م):

شاعر وأديب وقاض من أهل المسيلة، وولي القضاء بفاس²، دخل الأندلس قال عنه ابن دحية هو: «... من أعيان شعراء المغرب الراسخين في الأدب، المتمسكين منه بأمتن سبب له مقطعات غزل أحسن من قطع الرياض ... وكان شعره مدونا بالثغر الأعلى بمدينة سرقسطة ... استوطن آخر مدينة فاس، وولي أحكام القضاء، كان محمود الحال، حسن الخلق، قولاً بالحق إلى أن توفي ...»³.

- حسن بن علي بن محمد المسيلي (ت 580/1184م)

هو الشيخ الفقيه القاضي العالم العابد المتقن المحصل المجتهد الإمام أبو علي، كان يسمى أبا حامد الصغير جمع بين العلم والعمل والورع وبين علم الباطن والظاهر، له المصنفات الحسنة والقصص العجيبة المستحسنة⁴ أصله من المسيلة ونشأ ببجاية، تولى القضاء بها إلى أن دخلها بنو غانية واحتلوها وأكروهه على مبايعتهم فرفض، واعتزل القضاء واهتم بنشر العلم والتدريس في مساجدها⁵، ترك مؤلفات كثيرة منها "التذكرة في أصول علوم الدين" و "النبراس في الرد على منكر القياس" و "التفكير فيما تشتمل عليه سور والآيات من المبادئ والغايات" وهو كتاب ابتغ فيه منهج أبي حامد الغزالي في كتابه "الإحياء" في طريقة عرض القضايا وتحليلها حتى لقب بأبي حامد الصغير⁶.

¹ بن قرية المرجع السابق، ص ص 175-176

² نويهض، المرجع السابق، ص 298.

³ أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع، سوريا، د.ت. ط، ص 41

⁴ الحفناوي، المرجع السابق، ج 1، ص 59

⁵ بوطارن وآخرون، المرجع السابق، ص 26 نويهض المرجع السابق، ص 299، يذكر أنه في سنة (580/1184م) فاجأ أسطول المرابطين بقيادة علي بن غانية الميروي مدينة بجاية واستولى عليها، وكان المسيلي قاضياً، فدخل عليه أحد الموارقة والجاه إلى بيعتهم وأكروهه مع غيره عليها ... وكان الموارقة يتمثلون لا ويبدون وجوههم ... فامتنع أبو علي من البيعة وقال: لا نبايع من لا نعرف هل هو رجل أو امرأة، فكشف له الميروي عن وجهه.

⁶ أبو عمران وآخرون، المرجع السابق، ص ص 492-493.

3- العمران:

أما الجانب العمراني فقد ذكر المؤرخون اهتمام بني حماد بالعمران، فقد شهدت الدولة الحمادي ازدهارا معماريا حيث ميز عهدهم البناء والتشييد¹، خاصة أثناء بناء القلعة حيث بني بها حماد القصور العالية والمساجد²، يذكر ابن الخطيب أن حماد عند بنائه لمدينة القلعة : «... اتخذها بها القصور العالية، والقصاب المنيعة، والمساجد الجامعة...»³.

يقول صاحب الاستبصار : «... وبني حماد بالقلعة مباني عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء...»⁴، وبالقلعة عدة قصور ذكرتها المصادر التاريخية منها ما ذكره صاحب الاستبصار بقوله : «... منها قصر يسمى دار البحر وقد وضع في وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد...»⁵، وهو من أهم القصور التي كشفت عنها الحفريات بالقلعة ويقع في وسط المدينة، والقصر عبارة عن عدة مباني وفي أسفل القصر توجد بحيرة والتي أخذ القصر اسمه منها⁶، بالإضافة إلى قصر المنار يشمل عدة مباني متلاصقة بعضها في الجهة الشمالية للمدينة والبعض الآخر في الجهة الجنوبية، وكذا قصر السلام وقصر الكوكب⁷ وإلى جانب هذه القصور، كانت في القلعة قصور أخرى ومنازل للأمرء، إلا أنها اندثرت وتلاشت وأصبح من الصعب التعرف على موقعها⁸.

كما وصف صاحب الاستبصار قصور بني حماد في القلعة بقوله : «... وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف، وفيه قصور غير هذا ومباني عجيبة...»⁹، وعن جمال هذه القصور والمسكن يذكر الإدريسي أن القلعة : «... أحسنها قصورا ومسكن»¹⁰، إلي جانب القصور شيد بني حماد مرافق عمرانية أخرى مثل الأسوار كون المنطقة كانت في حالة صراع دائما وحروب كثيرة، فمن الطبيعي بناء الأسوار لحماية المدينة، وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله أن حماد عندما : «... اختط مدينة القلعة بجبل كيانة ... شيد من بنيانها

¹ الغنيمي، المرجع السابق، ج 4، ص 273.

² عويس دولة بني حماد، ص 113.

³ ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 86.

⁴ الاستبصار، ص 168.

⁵ المصدر نفسه، ص 168.

⁶ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 125.

⁷ بورويبة، المرجع السابق، ص 251.

⁸ إسماعيل العربي دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 129.

⁹ الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

¹⁰ الاستبصار، ص 168.

الفصل الثالث : القبائل الهلالية في إقليم الحضنة

وأسوارها...»¹، حيث وضع سورا كبيرا يحيط بالجبل الحماية القلعة، وقد استدار سورها بجميع الجبل حسب قول الإدريسي²، فأصبحت المدينة حسب ما ذكره البكري: «... ذات منعة وحصانة...»³.

كما اهتم الحماديون ببناء المساجد التي كان لها دور كبير في الحياة العلمية في القلعة، فيذكر ابن خلدون « واستكثر فيها المساجد والفنادق فإستبحرت في العمارة واتسعت في التمدن»⁴، ويعتبر مسجد القلعة (الجامع الأعظم من أهم مباني القلعة هذا الأخير لم يبق منه إلا مئذنته. (ينظر : الملحق رقم 28)

يقع المسجد أسفل المدينة، في الجهة الجنوبية، وبالرغم من وجود عدة مساجد بالقلعة، فإن هذا المسجد الوحيد الذي تعرف عليه علماء الآثار بشكل دقيق ويمتد مبنى المسجد على مساحة تبلغ 64 مترا طولاً، و 56 مترا عرضاً، ويشمل المسجد على مئذنة يبلغ ارتفاعها 25 متراً⁵، وبالتالي فإن ما شهدته الحضنة من ازدهار علمي و عمراني نتيجة طبيعية الحالة الرخاء والتطور الاقتصادي الذي عرفه المغرب الأوسط في عهد بني حماد.⁶

وبطبيعة الحال فإن السياسة التي اعتمدها الدولة الفاطمية في بلاد المغرب اتجاه القبائل البربرية المتمثلة في إعطاء كل قبيلة مهام خاصة بها منفصلة عن الأخرى، ساهم في ظهور قوة محلية في المغرب الأوسط بقيادة قبيلة صنهاجة والتي لم يبرز دورها في بلاد المغرب إلا بعد دخولهم تحت لواء الفاطميين، وقد سمح ساهم بتشكيل إمارة داخل الخلافة الفاطمية بقيادة زيري بن مناد الصنهاجي، وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر، يظهر كيان سياسي جديد بقيادة قبيلة صنهاجة البربرية، التي نابت عن الفاطميين في الحكم ببلاد المغرب وأدى هذا إلى تأسيس الدولة الزييرية بقيادة بلكين بن زيري وهي أول دولة تقوم على الجنس بربرية، إلا أنها عرفت خلافات داخل الأسرة الحاكمة ترتب عنها انشقاق داخل الدولة مما أدى إلى إضعافها فانقسمت إلى قسمين: الدولة الزييرية في إفريقية بقيادة المعز بن باديس، والدول الحمادية بالمغرب الأوسط بقيادة حماد بن بلكين.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227.

² الإدريسي، المصدر السابق، ص 156.

³ البكري، المصدر السابق، ص 49.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 227.

⁵ إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، ص 124

⁶ المرجع نفسه، ص 133



خاتمة



الخاتمة:

في نهاية البحث يمكننا تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في النقاط التالية:

- تمتع إقليم الحضنة بموقع جغرافي إستراتيجي جعل منها مجال حيوي هام فهو طريق رابط بين شرق وغرب المغرب الإسلامي وهو معبر للهجرات البشرية وطريق لتجارة
- إن الأهمية التي إكتسبتها مدينة المسيلة من الناحية الإستراتيجية هي التي دفعت بمؤسسها أبو القاسم المهدي إلى إتخاذها كقاعدة عسكرية لإخماد الثورات بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى كما إعتبرت المدينة كحاجز أمني يمنع الخطر الزناتي الذي هدد إستقرار الدولة الفاطمية مما جعل من المدينة في بداية التأسيس تأخذ طابع المدن العسكرية وهذا يتضح من خلال دوافع بناء المدينة
- تعتبر مدينة المسيلة من أهم المراكز الحضرية التي ساهمت مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإسلامية بالمغرب الأوسط خاصة الأسرة الحمدونية الفاطميتين، حيث تمكن علي بن حمدون أثناء فترة حكمه من تحقيق رغبات الخلفاء الفاطميين وإظهار المستوى الرفيع في خدمة الخلافة الناشئة حيث جعل من مدينة المسيلة مخزنا كبيرا للمؤن وتتكفل بإحتياجات الجيوش
- العوامل الإقتصادية الذي لايمكن اغفاله في الدوافع الفاطمية التي ادت الى تاسيس هذه المدينة فبعد تاسيسها اصبحت هي العاصمة السياسية و الادارية والمركز التجاري و الحضاري للمنطقة الممتدة من باغاية شرقا الى تيهرت غربا كما انتقل اليها الكثير من سكان المناطق المجاورة و ازدهرت اوضاعها في بعض الجوانب فقصدها رجال المال و الاعمال و العلماء و الشعراء
- مدينة المسيلة لم تكن بعيدة عن الصراعات و الاحداث التي حدثت في بلاد المغرب فقد تهدمت عدة مرات من جراء المتواصلة التي عرفتها خلال العصور الوسطى و كان لها الدور الكبير في القضاء عليها مثل ثورة ابي يزيد .

- مدينة المسيلة لم تكن بعيدة عن الاحداث التي حدثت في بلاد المغرب مما جعل اهميتها السياسية تتناقص محليا مع غياب الحكم الفاطيمي المباشر فاخذت القوى السياسية في المغرب الاقصى والاوسط تتصارع على النفوذ وملاً الفراغ و الذي كان على بلكين بن زيري ان ينقل عاصمة الزاب اشير حيث اصبحت مركز قوة صنهاجة.
- ان الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب بكل ما تبعها من تاثيرات عرقية وسياسية و اقتصادية و حضارية انما كانت نتيجة حتمية للطبيعة السياسية و المذهبية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة وبين نوابها الزيين في افريقية وبعد القرن 15م الموافق ل5هـ ستصبح القبائل الهلالية عنصر جديد في سكان بلاد المغرب ويسكنون وذريتهم ويكونون علاقات مستقرة مع البربر حيث يمتزج العنصر العربي شيئاً فشيئاً مع العنصر البربري و بذلك نجد معظم سكان بلاد المغرب هم ثمرة امتزاج وثيق في عصور مختلفة بين عناصر بربرية و عناصر عربية.



الملاحق

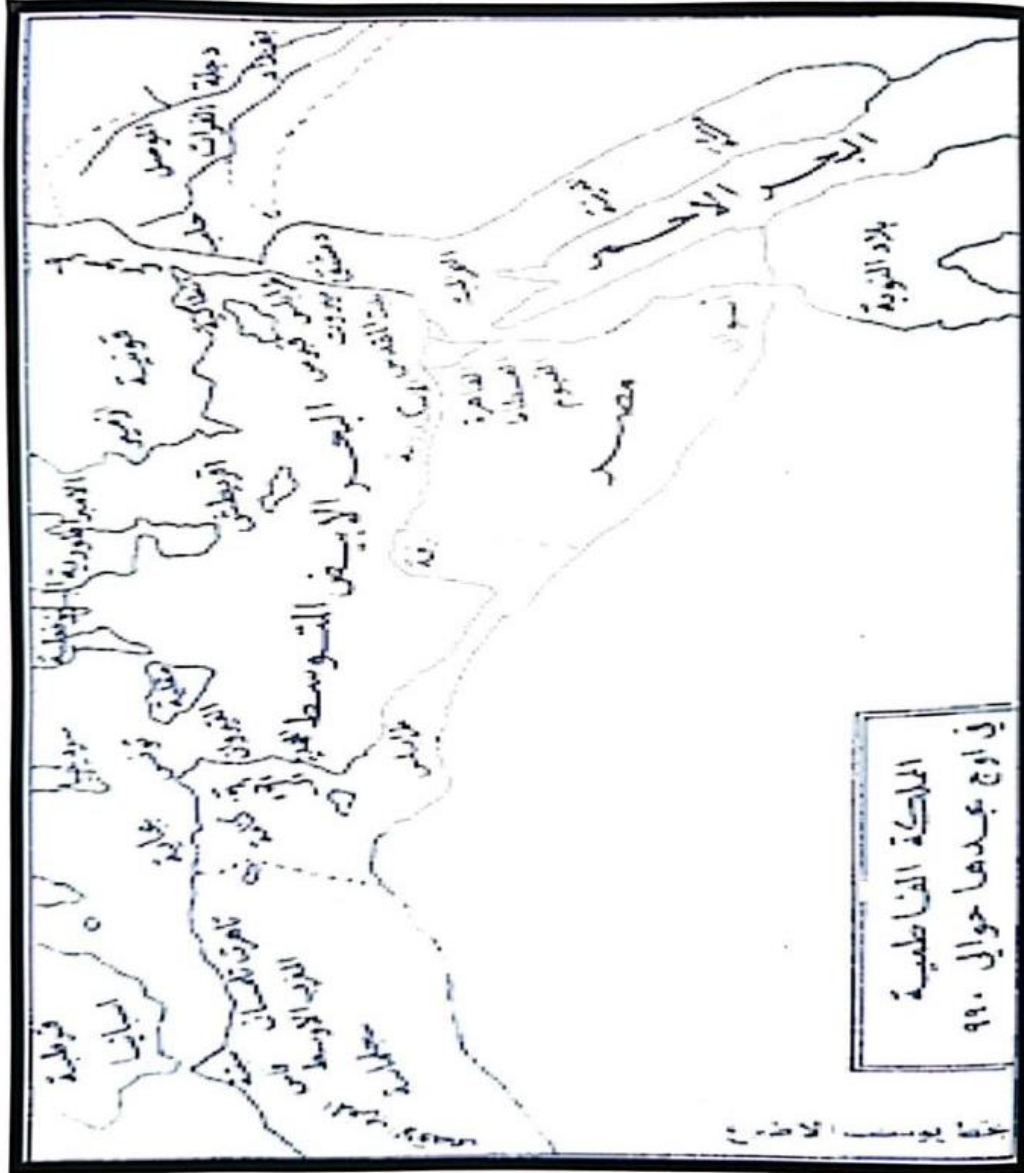


الملحق رقم 01: دولة بني حماد الموقع والحدود



المصدر: عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 97.

الملحق رقم 03: الدولة الفاطمية في أوج توسعها.



المصدر: ابن حماد، المصدر السابق، ص 131.



الكلية الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Affairs

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: إقليم الحرفنة ووجوهته في العصر الوسيط - دراسة
موضوعية للفترة الفاطمية والحملات الخوندية

إعداد الطلبة:

- 1- حرور حنينة رقم التسجيل: 280120432301490857
2- دراي فاطمة رقم التسجيل: 280120232100488698
القسم: التاريخ الشعبة: التاريخ التخصص: العربي الإسلامي
إشراف: حيدر حاصر - الرتبة: أستاذ مساعد

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

ع / رئيس القسم



د. عباس فتحي

Web site : <http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/>
Face book : <https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/>
Tél / Fax : + 213 35 35 3044

الموقع الإلكتروني:
الفايسبوك:
هاتف / فاكس:



Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: 2024/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإتجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): حرور حبيبة

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 206790527

الصادرة بتاريخ: 13/06/2021 عن دائرة: استاد العلوم

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية التاريخ

تخصص: العرب الاسلامي تحت رقم التسجيل: 2801802323014908

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: انظلم الح ضنت ووجعت في العصر الوسيط -
دراسة تنوعها في الفترة الفاطمية والحمادية أخوذيما

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في
انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024/06/05

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.



Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطبية
الرقم: 2024/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): دراري فاطيمة
الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة
الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 201691831
الصادرة بتاريخ: 22/05/2019 عن دائرة: عمام الطلبة
المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ
تخصص: العربي الإسلامي تحت رقم التسجيل: 280120232100182688
والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه)
عنوانها: اقليم الحضنة ووجهته في العصر الوسيط - دراسة
عن أخت الأختة، فاطمة والحمادة - الهودما

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في
انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024/06/05

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 2016-07-28 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها



قائمة المصادر

والمراجع



قائمة المراجع باللغة العربية:

مصادر:

- ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني دار كنان دمشق - سوريا، 1996م.
- ابن أبي بكر أبي زكرياء يحيى كتاب سير الأئمة واخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق: إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1982م.
- ابن أبي دينار كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طاء مطبعة الدولة التونسية تونس، 1986م.
- ابن أبي زرع الفاسي الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- ابن الأبار أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف، الحلة السيرة تحقيق حسين مؤنس دار المعارف، القاهرة - مصر، (د.ط.)، ج 1، ج 2 ابن الأثير أبو الحسن بن علي الكامل في التاريخ، مراجعة: محمد يوسف النفاق، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2006م، ج 3، ج 4، ج 5، ج 6، ج 7، ج 8، ج 9.
- ابن الحكم عبد الرحمن، فتوح مصر والمغرب شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة مصر، 1999م.
- ابن الخطيب لسان الدين الخلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح: البشير الفورني، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، (د.ت.ط) ابن الخطيب لسان الدين تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (من كتاب أعمال الأعلام)، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب 1964م.
- ابن الخطيب لسان الدين رقم في نظم الدولة، طبع بالمطبعة العمومية تونس 1316.
- ابن الشعاع أبو عبد الله محمد بن أحمد الأدلة البيئة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية تحقيق الطاهر بن محمد المعموري الدار العربية للكتاب، تونس 1984م.
- ابن الوردي زين الدين بن عمر تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1996م، ج 1.
- ابن تغري بردي يوسف النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992م، ج 4.
- ابن حزم الأندلسي لأبي محمد بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط5، دار المعارف، القاهرة - مصر، د.ت.ط).

- ابن حماد الصنهاجي، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم تحقيق جلول أحمد البدوي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت.ط).
- ابن حوقل النصيبي أبي القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان 1992م.
- ابن حيان القرطبي أبي مروان المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1965م.
- ابن حيان القرطبي أبي مروان المقتبس، تحقيق: بشالميتا وف.كورينطي وم صبح وغيرهم، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م، ج5.
- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار عرب دمشق، 2004م، ج1
- ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار دار الفكر، بيروت لبنان، 2000 ج3، ج4، ج6، ج7 .
- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان و أنباء الزمان تحقيق إحسان ،عباس دار صادر ،بيروت لبنان، دست ها معاد
- مج 2، مج 3، مج4، مج5، مج 7.
- ابن دحية أبو الخطاب عمر بن حسن المطرب من أشعار أهل المغرب تحقيق للجميع سوريا (د.ت.ط). إبراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة طه حسين دار العلم
- ابن سعيد المغربي لأبي الحسن علي بن موسى كتاب الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.ط).
- ابن صغير المالكي، أخبار الأئمة الرستمييين تحقيق محمد أبو زكرياء وإبراهيم بحاز دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1986م.
- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال ط3، دار الثقافة بيروت لبنان 1983م، ج1، ج2
- ابن عماد الحنبلي شذرات الذهب في اخبار من ذهب المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د.ت.ط)، ج3.
- ابن وردان تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق، محمد زينهم و محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر ، 1988م.
- أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، تاريخ الغداء المسمى المختصر في أخبار البشر تعليق محمود ،ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.ط)
- أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، كتاب افتتاح الدعوة، منشورات موسى الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، 2005م.

- الإدريسي محمد بن محمد القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
- البغدادي صفي الدين عبد المؤمن، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل بيروت - لبنان، 1992م، مج1، مج2، مج3.
- البكري عبد الله بن عبد العزيز المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة- مصر ، د.ت.ط).
- البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى المختار من فتوح البلدان إعداد وتقديم سمير سرحان ومحمد عناني، مكتبة الأسرة، مصر، 1999م.

مراجع:

- إبراهيم إسحاق إبراهيم، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1996م، ص 45 سالم، المرجع السابق، ج 2.
- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 449 سعدون نصر الله تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20-798هـ/640-1492م)، دار النهضة العربي، بيروت - لبنان، 2003م.
- ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، د.ت.ط)، ج 3.
- أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع، سوريا، د.ت. ط).
- أبو العباس أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1980م.
- أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني الأنساب، تقديم: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت لبنان، 1988م، ج5. عبد القادر صالح العقائد والأديان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2003م.
- أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف طبع بمطبعة ببيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م، ج 2.
- الأثافي: الأحجار التي توضع تحت القدر تحمي بينها النيران، أو هي آلة مثلثة تعلق عليها القدر عند الطبخ، تكون من حديد، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 2.

- أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي القاهرة مصر، 1997م، ج 2.
- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980م.
- إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ص 199 بوطارن، تطور العمران الإسلامي.
- بوية مجاني، النظم الإدارية للخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية خلال العصر الفاطمي (296-909/4362م)، (الجزائر ليبيا - تونس - المغرب)، ط1، دار بهاء الدين الجزائر، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2009-2010م.
- تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مراجعة: إبراهيم رمزي، مطبعة المعارف، مصر، 1916م.
- حسن خضيرى علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (362-567هـ / 973-1172م)، مكتبة مدبولي القاهرة، (د.ت).
- الدشراوي، المرجع السابق، ص 84؛ عصام الدين عبد الرؤوف الذقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق. القاهرة مصر، (د.ت.ط).
- ربحان محمد كمال محمد أحمد المغربي التجارة في عصر بني حماد (407-547/1017-1152م)، جامعة دمياط، كلية الآداب قسم التاريخ، 2015م.
- زين الدين بن عمر بن الوردى تاريخ ابن الوردى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1996م، ج 1.
- سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 2003م.
- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت - لبنان، 1980م.
- عبد الحليم عويس دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة، القاهرة، دار الوفاء، المنصورة، 1991م.
- عبد الحميد خالدي الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومه الجزائر، 2003م.
- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون مقدمة ابن خلدون تحقيق عبد الله محمد الدرويش، طلا، دار يعرب دمشق 2004م، ج 1.
- عبد العزيز الفيلاي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

- عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية، القاهرة، 1963م.
- عز الدين أحمد موسى النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق بيروت لبنان، 1982م.
- علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
- عمر فروخ تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس إلى أواخر عصور الطوائف، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1984م، ج 4.
- عمر فروخ تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، 1992م، ج 4.
- عن وفاة بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 207؛ ابن عذاري المصدر السابق، ج 1.
- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ / 909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات ترجمة: حماد الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1994م.
- محمد البشير شنياتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (اللييس الموريطاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ج 1.
- محمد الخضري، الدولة العباسية، ط2، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 2004م.
- محمد الصالح مرمول السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، (د.ت. ط).
- محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1992م، ج 4.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام (297-567هـ / 910-1171م)، ط2، دار النفائس، بيروت - لبنان، 2007م.
- مصطفى أبو ضيف القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبنو مريم ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م.
- معز الدين محمد المهدي الحسيني القزويني، أسماء القبائل وأنسابهم تحقيق كمال سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000م.
- الهاللي اسعد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية للهلاليين وتفاعلاتها في منطقة المسيلة، أعمال الملتقى الوطني السادس تاريخ وأعلام المسيلة، دار الثقافة، المسيلة 2017م.
- وقد ذكرت العديد من المصادر التاريخية رحيل الفاطميين إلى مصر، ينظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج5.

- يونس عبد الحميد الهلالية في الأدب والتاريخ، ط2، دار المعرفة، القاهرة، 1962م.

المجلات والمقالات:

- أم الخير العقون، الموقع الاستراتيجي لمنطقة الحضنة في التاريخ القديم، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران جوان 2012م، عدد خاص.
- سعداني محمد الدور الحضاري لمدينة المسيلة خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، مجلة الحوار المتوسطي سيدي بلعباس - الجزائر 2019م، مجلد 06، العدد 08.
- الطاهر بونابي، "ظاهرة الاندماج الهلالي في المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2011م، العدد 12.
- عبد المالك مغشيش المسيلة حاضرة الفكر والثقافة بالمغرب الأوسط في العهد العبيدي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2012م، العدد 02.
- علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب"، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة، 2009م، العدد 10.
- فافة بكوش الهجرة الهلالية ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن (11/05م) وقائعها وتأثيراتها"، مجلة القرطاس جامعة تلمسان 2018م، العدد 07.
- محمد البشير شنيقي، حوض الحضنة في العهد الروماني، أعمال الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية، المسيلة، 1995م.

الاطروحات والرسائل الجامعية:

- إلهام حسين دحروج، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي (442-665هـ/1051-1247م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي كلية الأدب والدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة القاهرة 2000م.
- بوخالفة عزي تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، رسالة دكتوراه، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي كلية الأدب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2002م - 2003م.
- مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان وسجلماسة نموذجا (دراسة تاريخية عمرانوية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Charles Féraud, « Histoire des villes de la province de Constantine, Sétif Bordj Bou-Arreridj - M'sila et Bousaada » Recueil des Notices et Mémoires de la société archéologique de la province de Constantine, 1871-1872.



فهرس المحتويات



.....	شكر وعرافان
5	مقدمة
6	الفصل التمهيدي
7	أولا : الاطار الجغرافي لإقليم الحضنة:
9	ثانيا - قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب:
23.....	ثالثا : قيام الدولة الحمادية:
27.....	الفصل اول: إقليم الحضنة
27.....	في عهد الدولة الفاطمية
28.....	أولا- تأسيس الفاطميين لمدينة المسيلة
33.....	ثانيا- حكم الأسرة الحمدونية لإقليم الحضنة:
43.....	ثالثا- تطور إقليم الحضنة في العهد الفاطمي:
55.....	أولا: أحوال الحضنة والمغرب الأوسط في العهد الزييري
70.....	الفصل الثالث: القبائل الهلالية في إقليم الحضنة
71.....	أولا: بنو هلال ومواطنهم الأصلية
74.....	ثانيا - دوافع الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب:
81.....	ثالثا - أثر الوجود الهلالي في المجتمع الحضني
94.....	رابعا: تطور الحضنة في العهد الحمادي
104.....	خاتمة
107.....	الملاحق:

114	قائمة المصادر والمراجع
121	فهرس المحتويات
124	ملخص الدراسة:

ملخص الدراسة:

شهد إقليم الحضنة تحولات كبيرة من قيام الدولة الفاطمية إلى نهاية الحكم الحمادي. تأسست الدولة الفاطمية في القرن العاشر الميلادي، مؤسّسةً مدينة المهديّة في تونس ومؤثّرةً على الحضنة. كان الإقليم منطقة زراعية وتجارية حيوية، حيث استفاد من موقعه الاستراتيجي كمعبر تجاري مهم بين شمال إفريقيا وبقية المناطق. في هذه الفترة، شهدت الحضنة تطوراً في البنية التحتية ونموً في النشاط الزراعي والتجاري. بعد ضعف الدولة الفاطمية في منتصف القرن الحادي عشر، انتقل الحكم إلى الحماديين. الحماديون طوروا المنطقة بشكل كبير، وأسسوا مدينة بجاية كعاصمة لهم، مما جعلها مركزاً سياسياً وثقافياً واقتصادياً. شهدت الحضنة خلال الحكم الحمادي نهضة معمارية وثقافية، حيث بنيت العديد من القلاع والمساجد والمباني العامة.

انتهى الحكم الحمادي في الحضنة بنهاية القرن الثاني عشر نتيجة لضغوط داخلية وخارجية، لكن الإرث المعماري والثقافي استمر في التأثير على المنطقة لقرون لاحقة. الكلمات المفتاحية: الدولة الفاطمية، الحكم الحمادي، إقليم الحضنة.

Abstract:

The region of Hodna witnessed significant transformations from the establishment of the Fatimid state to the end of the Hammadid rule. The Fatimid state was founded in the 10th century AD, establishing the city of Mahdia in Tunisia and influencing Hodna. The region was a vital agricultural and commercial area, benefiting from its strategic location as an important trade route between North Africa and other regions. During this period, Hodna experienced infrastructure development and growth in agricultural and commercial activities.

After the weakening of the Fatimid state in the mid-11th century, the rule transitioned to the Hammadids. The Hammadids significantly developed the region and established the city of Béjaïa as their capital, making it a political, cultural, and economic center. During Hammadid rule, Hodna witnessed an architectural and cultural renaissance, with the construction of many castles, mosques, and public buildings.

The Hammadid rule in Hodna ended by the late 12th century due to internal and external pressures, but the architectural and cultural legacy continued to influence the region for centuries to come.

Keywords: Fatimid state, Hammadid rule, Hodna region.